صفورية

تاريخ وحضارة وتراث

الجزء الثاني

تصدير ...

يواجه التراث الشعبي خطر التلاشي أمام تيار الحضارة العصرية الجارف بسبب طغيان الجانب المادي منها على الجانب الروحي ، ناهيك من اقتراب غياب الجيل المسن الذي يدّخر هذا التراث وجهل الجيل الجديد به لعدم تدوينه .

ومما يزيد في تفاقم هذا الخطر كون العديد من القرى الفلسطينية قد اقتلع سكانها منها وتشردوا في أربع زوايا الأرض ، الأمر الذي جعل الكثير من التراث الشعبي مهدداً بالزوال.

إن هذه الدراسة تعطي صورة متكاملة للتراث الشعبي بكل جوانبه في قرية " صفورية " ، وهو نموذج قد يكون مماثلاً ، إلى حد بعيد ، للتراث الشعبي في اكثر قرى فلسطين وما حولها ، وان الغاية من تدوينه هي الحفاظ عليه من جهة ، والمحافظة على الشخصية الوطنية من جهة ثانية ، لأنه يشكل جذورًا صلبة تمتد الى أعماق الماضي ، فيبقى الترابط بين الشعب والأرض مستمرًا ، مهما طال زمن التشرد ،ومهما اشتّدت وطأة افناء الشخصية .

المؤلف

1974/7/15م

صفورية : بلد الوحي والخير والجمال

الأرض الطاهرة : الأرض الطيبة المستباحة ، القطعة الغالية المقدسة من الوطن الفلسطيني ، والتي تبلغ مساحة أراضيها حوالي 159 ألف دونم .
ففي الجبال ، التي كانت معاقل الجهاد، تتجلى لك صفورية بما فيها من سمو وجمال ، فدائرة المشاهد فيها مترامية الأطراف، بعيدة الآفاق ، تطل على أجمل ما خلقه الله من مناظر ، في هذه البقعة الطيبة ، ترى أرض جنة عدن ، ومَشهد أول قتيل في الدنيا ، وأقدم مدينة استوطنها إنسان العصور الخوالي .
ومن أجمل ما تراه العين من الأعالي الحقول ، اما محروثة أو عامرة سنابلها بالحب ، والسهول الخصبة اللطيفة التي تتخلل المرتفعات والأودية والشعاب التي تتموّج في اخضرارها واصفرارها ... كما ترى كروم التين والرمان وقد احتضنت ثمرها ، وغابات الزيتون البهيجة العامرة تداعبها الرياح فتظهر للرائي ، وكأنها مغطاة ببرقع فضي شفاف جميل للغاية ... وتبدو أطلال خربها وكأنها جزر من اللؤلؤ في بحر الزمرد ، أو متنزّه رشيق تَلفّه الأشجار الوارفة الظلال والأزاهير الزاهية الألوان ...
هذه هي عروس الجليل الحافلة بالذكريات المقدسة والتي كان بيتاً من بيوتها قد جمع الطهارة بأكملها ، وأنشأ شابة طاهرة من كل شائبة في وجه دنيا رجس وسوء ... ان كل شبر فيها يحكي قصة ويروي تاريخاً .
هذه نظرة خاطفة على وطننا الحبيب ، على الأرض الطيبة على سهولها وأعاليها ، وعلى روابيها ووديانها ، وعلى ثرواتها وخيراتها وجناتها وفتنتها ... رعاك الله أيّها الوطن العزيز الغالي ! والله ما خَطَوْنا خطوة في تَشَرّدنا إلاّ وذكرناك ! وأنت على البعد والقرب ملء قلوبنا ووجداننا ما دَبّت فينا ، وفي الأجيال التي تأتي من بعدنا ، حياة ...

أنواع الأرض :

تُقسّم أرض صفورية الى خمسة أنواع أو أصناف من الأرض : (1) الجدر ، (2) الكروم ، (3) السليخ ،(4) النقارة ، (5) المشاع أو الأحراش .

1- الجدر :

الجدر هو الأرض القريبة المحيطة بالقرية . وهي أخصب أرض وأثمنها . وترجيحنا أن اللفظة آرامية : ومعناها حائط وجدار وسور .
ولكن ليس هنالك ما يمنع أن تكون قد سُميّت بالجدر ، لكثرة الجذور فيها . غير أننا نرجح أنها سميت بالجدر من اللفظة الأرامية ، لأنها أول أرض

نقبها الفلاح ودَرّجها ، أي بَنى لها جُذْراناً متدرجة ، لحفظ التربة من الانجراف (أي سناسل) .
كان اكثر الجدر مغروساً بأشجار التين والتوت ، لأن التربة حسنة ، وعميقة ، تنمو فيها اشجار التين والتوت نموّاً حسناً ، ويعرف الصفوري ان مقدار السماد في هذه الأرض ، التي بين البيوت والمحيطة بالقرية كبير ، ولذلك كان يغرس فيها التبغ لاستهلاكه الخاص ، أو للانتفاع بثمنه . ونحن نذكر أن آباءنا وجدودنا ، لم يشتروا تبغاً من دكان ، بل كان كل فلاح يفتّش عن " حاكورة " ، خصبة غنيّة بسماد الماعز ، والبقر ، والحمير ، فيزرعها تبغاً ، عندما يصْفرّ الورق ، أو يقارب الإصفرار يقتطفه من النبتة ، ويشكّه في خيط ، ويجففه في الظلّ ، ومساء يصعده الى السطح ليبللّه الندى ، وصباحاً يدخله الى الداخل ، وهو تبغ جيد ، حسن الرائحة ، قوّي يتطاير منه الشرر ، يفرمونه في البيت بالسكين ، ويلفونه لفّافات ويدخنّونه .
وقد علّم الاختبار الفلاح الصفوري ، أن هذه الأرض الثقيلة ، لا تصلح للعنب ولا للتين، فالعنب والتين يفضلان الأرض الخفيفة البعليّة ، كل عنب وكل تين مصدره الجدر عنب حامض ، وتين فاسد .

2- الكروم :

أمّا الكروم ، فإنها تنمو نموّاً حسناً ، وتعطي ثمراً جيداً لذيذاً إذا غُرست في الارض الخفيفة، يعنون بالأرض الخفيفة - الأرض التي تقلُّ فيها المواد العضويّة ، والسماد ، ورطوبتها قليلة . وأحسن العنب ، ينتج في الأرض التي يسمّونها حوّار . الكرمة القريبة من القرية أو من مجاري المياه ، تحتاج الى عناية خاصة ، لتعطي ثمراً جيداً . أمّا دالية البرّية، فلا تحتاج الى اكثر من تقليم وحراث بسيط مرة أو مرتين في السنة .
لكروم القرية ناحية روحيّة جميلة . فالذي يهجر القرية يحنّ دوماً الى كرومها ، فأن الغدوة الى الكروم ، والنزهة مساء صوب الكروم ، والترويقة في الكروم ، وحمل سَلّة ملانة عنباً وتيناً ، يقطفها المرء ويعود بها الى بيته ، هذه وأخرى ، تجعل من الكروم بقعة مباركة ، لها جمالها ، ولها ذكرياتها . وكثيراً ما يدعو الرجل أصحابه أو المرأة صاحباتها، ويذهبون الى الكروم قصد التنزّه . أمّا موسم العنب من جهة اقتصادية ، فعلى كثير من الأهمية ، فالعنب فاكهة الصيف الرئيسية ،ومنه يصنع الفلاح دِبْسَه وخَلّه للشتاء .

3- السليخ :

السليخ هو الأراضي الممهدة غير المشجرة ، التي يعدّونها لزرع الحبوب : القمح ، والشعير، والعدس ،والكرسنّة ، وتصلح أن تكون مراعي . وهي أرض بعيدة عن القرية ، لم تتناولها معاول الفلاحين بالنقب ، فهي أرض بور موات . ولكن قد يكون هنالك سليخ حسن التربة عميقها ، ولكنها ليست منقوبة . ولا يعني قولنا هذا ، أن الفلاح الصفوري أهمل أو يهمل هذه الأرض ، بل الأمر على نقيض هذا ، فإنه يعدّها لزرع الحبوب الشتوية .
قبل أن يَبذر الفلاح سليخه بعد سقوط المطر ، يكون قد قشقش الأرض في أواخر الصيف. والقشقشة جمع الشوك ، والعشب ، والهشيم ، والعليق وحرقه . وقد لا يحرق الشوك بل يدرسه في البيدر لأن تِبْن الشوك علف للماشية ، يخلط مع بعض الحب . وحَرْق الأرض ، يكسبها خصوبة ، ويسّهل أمر فلاحتها . وهذه الأرض السليخ ، إذا نقبت تصبح صالحة لغرس الأشجار المثمرة .
ومن عاداتهم أن الذي يملك سليخاً ولا يستطيع نقبه ، واستغلاله ، يعطيه لفلاح يتعهده بالنقب فالغرس ، الفلاح يقدّم تعبه ، ويستغل الأرض المغروسة سنوات يتّفقون عليها ، ثم تعاد الأرض الى صاحبها الأصلي ، ولهم في تقرير التعويض عُرْفٌ وشروط ، ليست ثابتة ، بل تتوقّف على جودة الأرض ، وحسن معاملة المالك ، وأمانة الفلاح .

4- النقارة :

أما الصنف الرابع من الأرض فهو النقارة . والنقارة في مصطلحهم تطلق على الأرض الوعرة الصعبة التي يعلو وجهها الصخر ، والاشجار البرية ، والتي نفقات نقبها ، لا توازي قيمة غلّتها ، ولذلك تُهمل . غير أنّ أشجار السنديان والبطم ، والمل ، تنمو فيها نمواً حسناً . والى جانب هذا فإنها تصلح للمراعي . وهي أرض مملوكة . وأحياناً يعتني صاحب الأرض بنقبها فينفق شيئاً من المال في عرس أشجار الزيتون ، والخرّوب في البقع الحسنة ، وفي تطعيم البرّي ، وتَقْنيبه ، لكي يحسن نموّه . وإذا كان صاحب النقارة غَنيّاً ، فإنه ينقب الأرض ، ويخلق منها كرم زيتون ، أو كرم عنب، رغم أن تكاليف النقب تكون أحياناً باهظة .

5- المشاع :

مشاع القرية أرض تملكها القرية كمجموع وهي أرض موات، أو صخرية، أو حرشية، أو مراع لهم لم يتعهدوها بالنقب والفلاحة والغرس ، إما لعدم صلاحيتها ، أو لبعدها ، أو لعدم تمكنهم من إحيائها عند نشأة القرية الاولى ، لبلوغهم درجة الاشباع من جهة الارض .

كان من الطبيعي ، عند نشأة القرية الاولى ، أن تُحيا الأرض الجيّدة الخصبة المحيطة بالقرية، ومن العمران ، فمهدوا الارض ، ودرّجوا السفح ، وبنوا السناسل لحفظ التربة ، وغرسوها أشجاراً مثمرة و مفيدة . هذه الارض المحيطة بالقرية تعرف " بالجدر " وهي أرض خصبة ثمينة .
ولكن عند ازدياد السكان ، يأخذ بعضهم باستغلال الأرض التي تليها قرباً وجودة ، ثم التي تليها ، الى أن يصلوا الى أماكن وعرة صخرية ، متحدرة عاصية ، بحيث يصبح إحياؤها أمراً اقتصادياً خاسراً . قد يظل في القرية أناس فقراء ، يندفعون الى أطراف هذه الأراضي ، فيتعهدونها بالنقب ، والفلاحة ، فتصبح ملكاً لهم .
لقرية صفورية أراضٍ مشاع شاسعة المساحة غنية بالاشجار والمراعي ، وتعود على القرية بنفع اقتصادي كبير .
يحق لسكان القرية أن يحتطبوا من المشاع ، شرط ألاّ يقطعوا شجراً من جذعه ، أو أغصاناً وفروعاً غليظة ، وإذا فعلوا هذا ، أوقفهم الناطور .
ولكل فرد من أفراد القرية الحق بأن يذهب الى المشاع ، فيطعّم البري من الخروب والزيتون ، وينقب الأرض حول الشجرة ، ويتعهدها بالنكش والتسميد ، فيصبح له حق بأخذ نصف الغلة اذا لم تكن الأرض له. واكثر من يقوم بهذه الاعمال الفقراء النشيطون ، أو الاغنياء الشرهون ، وأنت إذا مشيت في أرض الوعر ، تجد كثيراً من هذه الأشجار المثمرة ، وسط ذلك الوعر حسنة النمو ، أرضها مفلوحة ، وحولها جدار يحفظ تربتها ، نصف غلّة هذه الاشجار يعود الى الذي يتعهدها ، والنصف الآخر للبلدية . وهو تقليد قروي حسن ، ذلك لأنه يشجع الناس على تحسين المشاع ، وفي الوقت ذاته يفسح المجال أمام الفقراء ، لشيء من الكسب بعرق الجبين .
ومشاع صفورية غني بأشجار السنديان ، والملول ، والبطم ، والشجيرات المتنوعة ، وهو مرعى لماشية أهل القرية .

نقب الأرض وحرثها :

يستعملون لفظة نَقْب لنوع خاص من عَزق الأرض . يكون النقب في الدرجة الأولى للأرض السليخ ، أو النقارة ، التي لا تزال على حالتها الطبيعية . وقد يجدّد الفلاح نقب أرضه مرّة ثانية ، إذا لَحَظَ أن غلتها أخذت بالنقصان . والنقب يكون على عمق يتراوح بين 60-75سم (أحياناً متر) .
وشرط النقب ، أن تُنقّى الأرض من الصخور والحجارة الكبيرة والحشائش والجذور الضارّة . وتربة الأرض المنقوبة تربة بكر ، تنمو فيها الخضراوات نمواً حسناً . ويحرص الفلاح الصفوري ، على أن ينقب قطعة

من أرضه كل سنة أو سنتين ، ليزرعها خضراً " بعلية " أي دون سقي في الصيف . وقد يزرعها خياراً ، وقثاءً ، وبطيخاً ، فتعطي غلّة حسنة .
لنأخذ فلاحاً أرضه السليخ متحدّرة ، إذا كانت سهلة ممهّدة ، فإن نقبها لا يحتاج الى كبير عناء ولا تحتاج الى بناء مدارج على سفح التل لحفظ التربة . يبدأ نقب أرضه من الجهة السفلى . يبني أولاً جداراً بالحجارة (الغشيمة)(الحجر الغشيم : غير المدقوق وغير المصنع) ، واذا كان هذا الجدار الذي يبنيه عريضاً عالياً ، لتسوير الأرض ، فانهم يسمونه (سِنْسِلَة) . ثم ان الفعلة الذين ينقبون الأرض على عمق ذراع يُنقوّن التربة من كل شيء غريب : صخور ، وحجارة كبيرة ، وجذور نباتات برّية ، ويقتلعون كل شجرة وشجيرة برّية ، تهيئة لغرسها بالاشجار المثمرة . وعلى بعد مترين أو ثلاثة (يتوقف ذلك على معدل انحدار الأرض) يُبنى جدار آخر لرباع ثانٍ ، وهكذا دواليك الى أن يأتي الى آخر أرضه .
يحرث الفلاح أرضه مرتين على أقل تعديل . أما الاغنياء منهم فثلاث مرات ، وأحياناً قليلة أربع ، فأنه قد تعلّم بالاختبار ، ان كثرة الحراث ، تُسْفر عن نتاج اكثر وأفضل .
يلاحظ الفلاح ان شجرة الحقل المحروث ، تختلف نضارة وإنتاجاً عن شجرة الحقل البور . تحرث الأرض أولاً بعد الشتْوة الأولى في أواخر تشرين الثاني أو كانون الأول ، ويسمونها إمّا " شْقاق " أو كونَنِة " من شق الأرض أو كوننها (حرثها في كانون) . ولا تكون الأتلام في هذا الحرث متراصّة متلاصقة ، بل يشق بضعة اتلام في الرباع الواحد ، ولشقاق الأرض ، أو حرثها الأول : منفعتان رئيسيتان : أولاً لقتل الأعشاب ، والحشائش ، التي تكون قد أفرخت بعد الشتوة الأولى ، فأن هذا الحرث يقلّل من العشب ، والمنفعة الثانية أن الأرض إذا شُقّت وتلّمت ، فإن ماء الشتاء يُختزن في الأرض فلا ينسَح أو يسيل هدراً الى السواقي .
أمّا الحراث الثاني ، ففي أوائل الربيع ، عندما تأخذ التربة بالجفاف ، يجب ألاّ تكون موحلة لَزِجة ، ولا جافة يابسة شديدة ، والفلاح يعرف متى يجب أن يبدأ بفلاحتها ، وبعد أيام يعيد فلاحتها ويسمّيها تَثْنية ، وبعضهم يحرث أرضه ثالثة . ويعلم الفلاح بالاختبار ، ان الحرث يبقي الأرض رطبة ، فإنهم يلاحظون أن الأغراس المحروثة مرتين أو ثلاثاً ، أحسن نموًا ونضارة من الأغراس في الأرض البور . أمّا أدوات الحرث التي يستعملها الفلاح العادي ، فلا تختلف عن الأدوات التي كان الفلاح العربي الكنعاني منذ آلاف السنين ، فهناك السكّة والبرك ، والنير ، والصَّمد ، والمنساس ،

والقطريب ، واكثرها ألفاظ آرامية (سكاتا ـ نيرا ـ مَساسا ـ قطريبا ـ سيمدا) .

البيدر :

واللفظة آرامية (بيت دَرايا) أي مكان التذرية . والبيدر مكان لدراسة الحبوب . ينتقي الفلاح قطعة أرض ، يسهل وصول الماشية اليها ، ويجب أن تكون قطعة أرض مستوية ، ممهدة ، مُعرّضة لمهابّ النسيم ، فلا تكون في منخفض ولا في مكان يُصّد عنه النسيم ، ولذا تجد أن البيدر يقع على هضبة من الأرض ، معرضة للشمس والهواء ، وبالقرب منه شجرة (سنديان ، بطم أو تينة عظيمة أو سدرة) تُظلل العَمَلة وقت الراحة . لا يحتاج بناء البيدر الى كبير عناء أو الى نفقات ، البيدر أرض مستديرة ممهدة تحيط بها دائرة من حجارة غشيمة ، أرض البيدر قاسية جافة شديدة تقشقش قبل فصل الدراسة ، وبالقرب من البيدر ، سهلة تُعرّم فيها أكداس الحبوب ، والبيدر ، رغم أنه خاص ، فإن كثيرين يشتركون في دراسة حبوبهم ، بعد أن يعطى صاحب البيدر المجال لدراسة حبوبه أولاً فإذا فرغ دَرس غيره .

الحصاد :

يحصد الحصّاد الحبوب ويضعها شملات شملات وراءه . فيأتي آخر ويجمعها أغماراً ، وحزماً ، ثم حملات . تنقل الحملات على ظهر الدواب الى البيدر وتُترك هناك زمناً قصيراً الى أن يتم جفافها . آلَة الدراسة النورج (لوح) ، وهو كناية عن لوحين من الخشب العتيق الملقّش . يقطعون جذع شجرة الى قطع طولها قرابة مترين ، وينشرونها الى ألواح سميكة 7-8 سم وعرضها قطر الشجرة : 40 -50 سم ، ثم انهم يحفرون في أسفل الألواح ، نقراً يدخلون فيها قطعاً من حجر الصوان ، أو الحجر البركاني الخشن . لكي يقطع القش الى قطع صغيرة (تبن) .

يُسمّون مقدار القمح ، الذي يدرسونه دفعة واحدة " طَرْحَة " . وكبر الطرحة وصغرها يتوقف على حجم البيدر . ولكن المعدّل 4 أو 5 أحمال من القش . ثم أنهم يربطون النورج الى زوج ثيران ويجلس صبّي ، أو فتاة صغيرة (وهو عمل مُحبّب عند أطفال القرية) وتأخذ الثيران بالدوران على القش الى أن ينعم أي الى أن يصير تبناً . ويضعون على أفواه البقر بَلامة لكي لا تأكل السنابل . وعلى السائق أن ينتبه الى إفراز البقر ، فيتلقّى الافراز برفش معدّ أمامه . أمّا البول فلا يهتمون به .

تنعم الطرحة بعد يومين من الدراسة . ثم إنهم يجمعون الدريس ، عُرمة في وسط البيدر ، وينتظرون هبوب نسيم النهار (عادة من العاشرة صباحاً الى بعد الظهر عندما يسكن الهواء. هذا في أيام الصيف العادية) فيذروّنه بالمذراة . وستحسن ألاّ يُذرّى إذا كان الهواء شديداً ، لأنه يطيّر التبن خارج البيدر . والمذراة شوكة خشبية كبيرة ، يأخذ الفلاح بها مقداراً من التبن ، ويرميه في الهواء ، فتطير العُصافات الدقيقة الى مسافات بعيدة . وأما التبن فيسقط في ارض البيدر . وأمّا الحب فيقع عند رجلي المذّري .
تنقية الحب عمليّة مضنية ، ورغم حرص الفلاح ، أن يكون حَبُّه نقيّاً خالياً من الأجرام ، فإن الحب المنقول من البيدر الى البيت يحتاج الى عمليات تنظيف وتنقية أخرى ، سنتكلم عنها عند كلامنا عن تصويل القمح .

التقسيمات الزراعية في أسماء المناطق :

1- الحاكورة : قطعة أرض فسيحة بجانب القرية خصبة وتزرع خضروات، وفيها أشجار لوز - تين - كرمة - زنزلخت ، كان روث الحيوانات يستعمل لتخصيبها كسماد .
2- القاطع : قطعة أرض صغيرة بجانب أرض كبيرة .
3- المعناة : أرض تكون بطول خمسين متراً وعرض عشرة أمتار .
4- الحَبِل : تشبه المارس إلاّ أنها قطعة اكثر عرضاً .
5- الكرم : قطعة أرض مشجرة .
6- الخَلِّة : قطعة أرض بين تَلّين .
7- المراح : قطعة أرض سهلية منبسطة .
8- الدّبة : أرض سهلية مرتفعة قليلاً .
9- البورة : أرض سليخ مستوية .
10 - النعصة : أرض غير منقوبة ولا مزروعة ، يكثر فيها الحشيش والنبت ، والنعصة تكون قريبة من الماء .

أسماء المواقع حسب السجلات :

1- المنطقة الجنوبية :

أبو رَحّال - أبو مْسَنْسَل - أبو الكُسْبَر - القسطل - بُرّو - باب المطّلة - بير نصر - جَحْلَش - جبل العين - جبلة النص - الحنّانة - الخربة - خلة الوتد - خلة أبو مرعي - خلّة الشيخ حسن - خلة أبو خضر - خلة عباس - خلايل الرشيد - خلة البعيصي - خلة الشُّغْري - خلة العبد - دَرب عين حسن - راس العين - رباعين حريز - رباعين العَلّوش - الزطية - الشّطاح - الشغري - شمشيه - الطاحونة - عين الورد - عين حسن - عين العلّوش -

العين البيظا - مرج الذهب - النبي اقبال - خلايل الجامع - واد لِعْمى - واد العين - السِدّر - الشيخ مْسَلّم - المقبرة العمومية - مقبرة السعدية - مقبرة الزطية - جبل الرحمة - مدرسة الذكور - مدرسة البنات - خربة العين - الجابية - البيادر الشرقية - البيادر الغربية .

2- المنطقة الشرقية :

أبو غزال - أبو مدوّر - أم الرجوم - أرض الحمّارة - بورة عيسى - بين الرجوم - بورة أبو غزالة - بلاطة الحيّة - بركة مِسْنَد - التلّة - جُرن عيسى - جلمة القبلاوي - جورة عيسى - خلة المشهد - الخنّوص - خلّة العبهر - خلة موعد - دَبّة نَعْسِة - درب الرينة - درب المشهد - ذراع عيسى - ذراع فرنسيس - رباعين أبو السرّيس - الرجوم - رجوم العبهر - زتون لِكْتَع - صيرة عرابي - الصالحية - الفروش الشرقية - المسيلة - المغراقة - الميدان الشرقي - مغارة الويسي - مغارة بَسّيم - مغارة عرابي - مغارة الحلس - ملات السوق - المحافر - النقارة - النخرور - برك الخروب - وعرة الشومر - المدافن الأثرية .

3- المنطقة الشمالية :

أبو عُرّو - أبو السريس - أم غانم - أم رجمة - اشلول الميدان - أرض زبن - بنات يعقوب - بانية - بير إبداوّية - بين الجلام - براك الرهو - براك الرهو الشمالي - براك الرهو الشرقي - براك الرهو الغربي - بير الشمالي - بين الجلام الشمالية - تينة السبيل - الثنايا الشرقية - الثنايا الشمالية - جبل الخروب - الجندي - جبالة العمدة - جورة قرع - الجواز - جلمة القطين - الجلمة - جلمة أبو شحادة - جبل القط - جبلة أبو شحادة - جورة الزعتر - الجلمة الشمالية - الحواز - خربة إبداوية - خلة الشيخ مزيّر - خلة عامر - خلة أبو شحادة - خلة الميدان - خلة طافش - خربة نصر الله - خربة الكساير - الدّوار - ذراع أبو حسن - ذيل العش - ذراع الحاج خليل - الرومة - رباع أبو شحادة - رجوم وادي النصارى - الزعرورة - الزيرة - الزير - زتون عطوة - زيرة ابداوية - الزنيد - السلطاني - السيّار الشمالي - الشماسات العوجا - الشيخ مزيّر - طيحة الغزالة - طريق التل - الطيابين - طافش - ذيل العش - ظهر جابر - العبهرية - العريض - العرضان - الغيلاني - الفرش - قفا الخربة - القسّيسة - الكيل - المحما - المزيّرِة - الميادين - المصيفة - المنزلة - مقتل مريم - المحمودية - الميدان الشرقي - ميدان ناطح - الميدان الغربي - النخوليات - الهوّة - وادي النصارى - وادي سالم - واد لَشَرْد - عين عكسان .

4- المنطقة الغربية :
أبو خرزة - أبو صحن - أبو صيّاح - أم الروزنة - أم حميد - أم غرارة - أم أحمد ، المصلّبة - أم أحمد السدري - أرض جرجورة - احجابة خزارين - أرض الشيوخ - أرض البستان - البركة - البرانس - البياظة - تل الحطّابات - جبل السنديان - الجويدة - جرونة السبعة - جلمة الحواز - جلمة عتابا - جلمة كردية - جلمة أبو حيط - جلام السوّيد - الجلخ - الجريدة - حميص - حاكورة الناطح - حجابة الشمّاسات - خلو الردك - الخلادية - خزارين - خزارين القبلية - خلة أبو الحجل - خلة الوعاوع - خلة بير الغزال - خلة الحدايدة - خلة الغجري - خلة شريفة - خرامة - خلة الزتونة - خلة قرطام - خلة البواب - خلة البرنس - خلة الكحتة - خلة الجار - خلة الخضيرية - خلة أبو حيط - خلة أم أحمد - خلة العبهر - خلة الشجراوي - خلة أبو دقن - خلة حليب - خربة حليب - خلة الشقيف - خلة الشاعر - خلة خزارين - الخضيرية - الديدبة - دبة الغولة - ذيل المدابس - ذراع أبو حسن الغربي - رباعين الشيخ - راس هاشم - زتون الخطيب - الزريب - الزربوق - الصوّانة - صور المشيرفة - ظَهْرَة حرب - ظَهْر حمار - العميا - عيون أم حميد - عكسان - عرابي - الفظلة - قرطام - قود الهدلان - الكحتة - اللبيدة - مدق البارود - المقاشير - مارس الحيّة - موارس التين - مغارة الجمال - المخاضة - المدابس - المشرع - مسيطبة - المديد - مقشور عرابي - مدق سرحان - المصلّبة ملاّت الشيخ علي - ملات المزار - المخبات - المتناني - المِنْدَسِّة - المشيرفة - معاصر أبو صيام - هشة إبليس - قبر العبد - واد العين الشمالي - واد العين القبلي .

البساتين :
اشتهرت صفورية منذ العصور القديمة حتى عام النكبة بكرومها وبساتينها . وكانت هذه البساتين مقسمة على النحو التالي :
1- منطقة بير نصر . 2- الخط الشمالي . 3- الخط الجنوبي . 4- بساتين الخلادية . 5- بساتين الجلخ . 6- بساتين المشيرفة . بستان ام حميد . بستان ابداوية . بستان العين البيظا . وكانت تُسقى هذه البساتين على النحو التالي :
أ- أرض القسطل تروى بمياه عين الجابية وبير نصر . ب- الخط الشمالي والخط الجنوبي يروى بمياه عين القسطل وعين الحنانة . ج- بساتين الخلادية تروى من مياه عين العسكر (عين الخلادية) ، وكذلك بساتين الجلخ تروى بنفس المياه ومياه واد العين . أما بساتين المشيرفة فكانت تروى من مياه عين المشيرفة ومياه وادي العين . وبستان ام حميد من مياه

عيون ام حميد . وبستان ابداوية من مياه بير ابداوية . وبستان العين البيظا من مياه العين البيظا .
وقد عرفت هذه البساتين عند أهل صفورية بالاسماء التالية :
- البستان الوسطاني - بستان البصة - بستان الموارس - بساتين المشيرفة - بساتين الجلخ - بساتين الخلادية - بستان معناة البصة - بستان العين البيظا - بستان التين - بستان الدّوار - بستان البّجة - بستان البرج - بستان أم حميد - بستان ابداوية - بستان الحاج اعمر - بساتين الاشراف - بستان أبو درويش - بستان عرابي - بستان علاء الدين - بستان العلادني - بساتين العوايسة - بستان عتابا - بستان عباس - بستان عبد الرحمن - بستان الحاج رشيد - بساتين الحدايدة - بستان الزغايري - بستان غنيم - بستان الغلبان - بستان كيوان - بستان إمْبَدّا - بساتين المواعدة - بستان محمد ابراهيم - بستان دار بكر - بستان صبري - بستان شحادة - بستان القبلاوي - بستان رضا - بستان الجامع .

اللقاط :

ويعني التقاط السنابل التي تسقط وراء الحصادين ، فيتركونها للأرامل والفقراء . ويطلقونها على غير سنابل القمح والشعير ، فيقولون لقط الزيتون والتين وحقول الخضار ، أي جمع ما يتركه الفلاح قصداً كان ذلك أم غير قصد.
وعادة اللقاط كنعانية قديمة لها صداها في التوراة ، فالذين قرأوا قصة روت الموآبية (1) ، أدركوا ان هذه القصة كانت تحدث كل سنة ، في ربوعنا الفلسطينية . كان الفقراء يذهبون الى المروج ، فيشتغل منهم في الحصاد من يشتغل ، ويلقط منهم من لا يستطيع العمل من الأولاد والبنات والنساء .
قلنا أن الحصّاد يحاول أحياناً ألاّ يلتقط السنابل ، التي تنقصف من أعلى ساقها . وقد يكون عدم التقاطها أحياناً سهواً أو كسلاً ، إنما لا يلتقطونها أحياناً شعوراً أن " الله خلَّ الفقير يأكل " . وكذلك عند جمع الزيتون فإن " الحوّاشين " أي الذين يجمعونه ، يتركون سهواً أو قصداً ، حبة زيتون هنا ، وحبة هناك في الأطراف الصعبة المنال ، فيأتي الفقراء ويجمعونها .
وليس للناطور أن يمنع اللقاطين من اللقاط . ولا يعترض صاحب الملك إذا رأى فقراء في ملكه ، بعد أن يكون قد جمع غلاله ، لا بل ، يرون في غض النظر ، عمل إحسان يجازون عليه . وإن المرء ليعجب من كمية اللقاط من الغلال . فإن بعض الفقراء ، يجمعون مؤونة الشتاء .

وكثيرون من الملاكين الأغنياء الكرماء ، يشفقون عليهم ، فيعطونهم شيئاً ، عندما تكون الغلّة بعد على البيدر .
ومن العادات المستحبّة عند أولاد القرية ، زيارة الكرم ، الذي جُمِع نتاجه للتفتيش عن عنقود مختبىء بين الورق لم يره الجامع ، أو زيارة المقثاة للتفتيش عن القثاء ، والخيار ، والبطيخ الذي أهمله الجامع .
(1) - يستمد سفر روت اسمه من بطلة الرواية ، وهو يروي قصة أسرة من مدينة افراتة الفلسطينية هاجرت الى أرض موآب .
لم يلبث ، زوج نعمي ، أن مات هناك ، هو وإبناه مَحْلون وكليون اللذان كانا قد تزوّجا امرأتين من موآب : روت وعرفة . وبعد عشر سنين ، عادت نعمي الى افراتة ترافقها روت ، في حين ان عرفة عادت الى اهلها . ذهبت روت تلتقط السنابل في حقل بوعَز ، فاستقبلها بوعز بعطف . كانت نعمي تعلم بان لبوعز على روت حق القرابة ، فأشارت على روت أن تحث بوعز على الزواج منها . فلبّى بوعز طلبها ، وبعد أن تخلّى عنها قريب أقرب منه ، اتخذ روت زوجة له ، فولدت له ابناً ، وهو عُبيد ، أبو يسّى ، أبي داود .
في الكتاب المقّدس العبري ، تنتمي قصة روت الى " الكتابات " أو المؤلّفات وموضعها في الكتاب المقدس اليوناني واللاتيني بعد سفر القضاة ، ولعّل السبب يعود الى الإشارة الزمنية الوارد ذكرها في الآية الأولى .
لا يزال تأريخ النص موضوع جدال شديد . هناك أسباب كثيرة يستند إليها بعض النقّاد للقول بأن المؤلّف يرقى عهده الى ما قبل الجلاء ، فالعادات القضائية التي يتكلّم عليها الكتاب (حق القرابة والزواج وفقاً لشريعة أخي الزوج) تعكس شرعاً سبق تثنية الاشراع، وإنشاء الكتاب يشبه النثر التقليدي في العهد القديم ، ودرس أسماء العلم يوحي بأصل كنعاني قديم .
ومع كل ذلك ، يبدو أن ارتقاء الكتاب الى ما بعد الجلاء هو الأرجح ، فالكاتب ينظر الى زمن القضاة نظره الى زمن بعيد جداً . وهو مضطر الى تفسير عادة قديمة سقط العمل بها ، كما أن هناك ميزات لغوية توحي بزمن متأخر . يضاف إلى ذلك ان تفكير الكتاب اللاهوتي (الشمولية والنظرة إلى المكافأة ومعنى الألم) يكون أقرب الى الفهم ، ان وضع في زمن بعد الجلاء . فالزمن الذي عاش فيه عزرا ونحميا يناسب ظروف القصة وهي تحبّذ الزواج من النساء الأجنبيات ، مخالفة ما أقدم عليه عزرا ونحميا من اصلاح شديد (عز 9 ونح 13) .
يعرض الكاتب علينا مثل جدّة داود ، وهي أجنبية ، فيقول إنها مثال تقوى قد دخلت دخولاً شرعياً في اسرة داودية ، وذلك بفضل زواج موافق

لشريعة أخي الزوج ثم بعناية إلهية ، في 1صم 3/22-4 إشارة إلى روابط بين داود وموآب .
وإذا استثنينا النسب (18/4-22) الذي ورد ذكره في 1 اخ 5/2 - 15 والذي يبدو أنه قد أُضيف ، تبقى لسفر روت وحدته الأدبية . فسياق الرواية يتم في انسجام كامل : هناك أربعة مشاهد (6/1-18و 1/2-17و 1/3-15و1/4-12) يسبقها مدخل (1/1-5) وتليها خاتمة (13/4-17) وهو مليء بالتوازي والمقاطع المسجّعة والمجانسات الصوتية ، ممّا يجعله رائعة من روائع الأدب . ولنشر أيضاً إلى الجناس في أسماء العلم : فهناك جناس بين أليملك (إلهي ملك) ونعمي (جميلة) وبين مَحْلون (مرض) وكِلِيْون (زوال) الذين يُنذر اسماءهما بموت قريب . أما عُرفة فقد توحي بِ " قفا العنف " الذي يُديره الانسان عند الانصراف وترمز الى الارتداد ، في حين ان روت التي تقارب معنى "المشددّة " تنبىء بالتعلق والتأييد . اسم بوعَز (فيه قوة) يبعث الأمل واسم مُرّة يعبّر عن الشدّة . أمّا عُبيد فيعني العبد ، أي عبد الله . لا شك أن تغيير نعمي الى مُرّة في 20/1 يدل صراحة على أن الكاتب يضفي على أسماء العلم هذه قيمة رمزية .
سفر روت هو أحد الأسفار الخمسة التي تُقرأ في أهم الأعياد اليهودية . وهو مستعمل في عيد الخمسين . وعيد الخمسين هو أحد أعياد الكنعانيين التي كانت تجري فيه الاحتفالات في مطلع حصاد القمح والشعير . وسفر روت يعمّم هذه العطية على الأمم الغير يهودية ، وان النسب الوارد في الخاتمة يجعل من امرأة أجنبية جدّة داود . ومن الصعب جداً البثّ في هذا الأمر .
يرد ذكر روت في نسب يسوع بحسب انجيل متى (5/1) . وفي ذلك إشارة الى الطابع الشمولي الذي تتسم به الحكاية .

الناطور :

أملاك القرية ، تحتاج الى حارس يقيها شرّ السارق ، المواسم الزراعية عرضة للسرقة ، والأرض المغروسة أو المشجرة ، تحتاج الى حراسة ، فإن المعّاز والطرّاش قد يطلق قطيعه ، فتأكل الماعز كل أخضر فيها . ولذلك تحرص القرية على استخدام حارس يسموّنه الناطور أو المخضّر .
تعيين الناطور أو انتخابه ، أمر يشغل بال جميع أهل القرية ، فإن مهمة الناطور مهمة خطيرة ، وشاقة ، ومحفوفة بمشاكل قروية عديدة : من أي عائلة ننتخبه ؟ هل يكون حزبيّاً متحيزاً ، أو مستقلاً حياديّاً ؟ إذا كان فقيراً

معدماً ، فالأفضل ألاّ ننتخبه ، فإنه قد يسرق! هل هو طاعن في السن ، فينام عند الغياب ، ولا يستطيع التجوال عند الظهيرة ؟ أيكون شديداً عنيفاً لا يهاب أحداً ؟ و... و...

ولذا كان الناطور وانتخابه من مشاكل القرية التي يضرب بها المثل . ويكون أحياناً للقرية ناطوران أو اكثر : واحد للصيف ويسمّونه ناطور الصيفي ، وواحد للشتاء ويسمّونه ناطور الشتوي ، أما الصيفي فيحرس الكروم ، والفاكهة ، والخضار ، وعند نهاية شهر تشرين الأول تنتهي مهمته ، فيلملم عرزاله الذي شاده على أحسن رابية مطلة ، فيتنادى أولاد القرية دشّرت ! دشرت ما في ناطور ! وهو يوم عيد للأولاد ، لأن الذي أخافهم طيلة الصيف ، قد خلّى لهم الكروم والمقاثي ! .

ولكن الناطور ليس قاسياً عبوساً ، كما يتوهّمه أطفال القرية ! قد يكون الناطور قاسياً عليهم لأنهم من صنف الثعالب التي تفسد الكروم ! بل أشد إفساداً . ولكنه الى جانب هذا كريم ، يحتفظ بعادات قديمة جميلة : لا يمنع غريباً عن عنقود ، ولا ينهر امرأة ، اشتهت إجاصة رأتها على شجرة ! ولكنه يمنع من يملأ جيوبه ! .

اما الناطور الشتوي ، فمهمته حراسة الأملاك البعيدة عن القرية ، عليه أن يحافظ على الأملاك من أن تغزوها قطعان الماعز ، أو ماشية القرية ، عليه أن يمنع المحتطب من قطع الأشجار ، وعليه أن يحرس كروم الزيتون التي ينضج ثمرها في الخريف المتأخر .

عند انتهاء مهمة الناطور ، يتأبط دفتراً عتيقاً ، يتوارثه النواطير ، فيه قائمة بأصحاب الأملاك ، والضريبة المفروضة عليهم . وقد يُكرَم الناطور ، فيُدفع له أجرة عن طيبة خاطر مع إكرامية ، وقد تقع مشادة بينه وبين من سُرِق له شيء ، وهنا يتدخّل المختار ، وينتهي الأمر عند هذا الحدِّ .

طاحون الماء :

تجر المياه في قناة ، إلى مكان يصلح علّوه لتساقط المياه فإدارة حجر الرحى . يتألف الطاحون من قناة ، تنتهي بكور عال ، قطره 50-60سم ، وينتهي عند أسفله بفوهة لا يزيد قطرها عن 10 سم . يُسلّط منفذ هذه الفوهة على الفراش . والفراش عجلة كبيرة قائمة على نقطة ، ومجهّز بأضلاع خشبية عريضة مائلة ، بحيث ينصّب عليها الماء ، فيحّرك الفراش . يقوم في وسط الفراش عمود ، ينفذ الى وسط جورة الطاحون ، حيث هنالك حجر

ثابت كبير مستدير ، قطره بعض المتر أو اكثر قليلاً ، ومثقوب في وسطه ، لينفذ منه العمود المركّز على الفراش . ثم إنهم يضعون حجراً آخر فوقه مربوطاً الى رأس العمود . فإذا تحرّك الفراش بواسطة ضغط الماء المتساقط ، تحرّك الحجر المربوط الى رأس العمود القائم على الفراش . ثم إنهم إذا أرادوا منع الماء من الانصباب على أضلاع الفراش ، وضعوا عند الفوهة لوحاً خشبياً عريضاً ، ينزلق عنه الماء الى خارج الفراش . هذا اللوح مربوط بحبل ، أو عود طويل ، يُسمّى الدالية (لأنه اكثر ما يكون جذع دالية) ينتهي في غرفة الطاحون ، فيجّره الطحّان عندما يريد إدارة الفراش ، ثم يعيده الى مكانه إذا أراد وقف إدارة الفراش . هذا هو المبدأ الذي يقوم عليه إنشاء الطاحون .

يوضع القمح أو الشعير أو الذرة المنوي طحنها في الكور . وينتهي الكور بمنفذ يتساقط منه الحبّ في نقرة في وسط الرحى . ويضعون فوق الرحى خشبة صغيرة مربوطة بخيط الى الكور ، تسمّى الطرطاقة ، فإذا تحرّك الرحى اهتزت الخشبة وتراقصت . وهذا الاهتزاز يتصل بالكور ، فيحّركه حركة خفيفة جداً ، مما يسهّل تساقط الحبّ بانتظام .

يقع الطحين في جورة الطاحون ، وعند الفراغ من الطحين ، يوقف الطحان الفراش ، ويجمع الطحين ويضعه في كيس .

وفي الثلاثينات من هذا القرن استبدلت طواحين الماء بمطحنتين حديثتين .

المياه :

حتى عام 1934م كانت مياه الشرب تؤخذ من عيون القسطل ، وعين الورد ، وعين حسن ، أما وسيلة نقل مياه الشرب فهي الجرة التي تحملها المرأة أو الفتاة على رأسها بعد أن تملأها بالماء . ولقد كانت العادة أن تؤمن ربة البيت مياه الشرب يومياً بحيث تحفظ في الجرار ، ووسيلة الشرب الإبريق والهشّة أمّا إذا كان السكان بحاجة الى مياه اكثر ، كانوا ينقلون المياه " بالتنكات " على الدواب ، إمّا من عيون حسن والورد التي تبعد عن البلدة قرابة الكيلومترين من الغرب ، وإمّا من عيون القسطل التي تبعد عن البلدة اكثر من ميل من جهة الجنوب .

امّا مياه الغسيل والطبخ والماشية ، فكانت ، في الغالب ، تؤخذ من الآبار التي تملأ من مياه الأمطار ، واحياناً كانت تسقى الماشية من عيون القسطل ومن آبار وعيون قديمة في خرب صفورية ، كما كانت النساء يأخذن "

الغسيل " أحياناً الى عيون القسطل أو عيون حسن والورد ، ويشعلن النار ، إذ أن الحطب متوفر ، وينشرن الغسيل على الشجيرات ، وبعد أن يجف يَعُدن به الى المنزل . وتجدر الاشارة الى ان الصابون المستعمل في الغسيل كان بكامله يتم تصنيعه في البلدة ، حيث زيت الزيتون متوفر بكثرة . ولم يكن آنذاك غسالات ولا كهرباء . لكن المياه أصبحت متوفرة بكثرة ابتداء من العام 1934م (1) بعد أن جُرّت المياه بأنابيب من عيون القسطل الى عين البلد ، وهكذا أصبحت المياه متوفرة في كل بيت.

ومن الأغاني التي تتعلق بالمأكولات والماء :

قامت من النوم تعجن بالعجين
الخواتم باليسار وباليمين
قوم يَابن العم تا نحلف يمين
ما يْخُش البيت غير انت وأنا

* * *

يا خالتي ملّي الجرة — وعيون جوزك لبّرة
يسهر الليل بطوله — وبيجي عيونُه محمّرة
يا خالتي جوزي فرّان — عيونه بتلعب ع النسوان
يطعمهن لحم الخرفان — ويطعمني البصلة الحارّة
يا خالتي جوزي حلاق — بعبر وبخرج بتخلّق
وكم مرّة قلتلّهُ طلّق — بحسبها سيبة من مرّة
يا خالتي جوزي عشّي — شاطر بطبخ المحشي
ولمّا فرشت الفرشة — طار عقلُه من مرّة

* * *

يا شوفتن شفتها بتخبز على الصاجِ
مدقوق ع صديرها خرفان ونعاجِ
لا تزعلوا يالسُّمُر والبيض غنّاجهِ
والبيض شحم الكلى والسُّمُر عينيَّه

* * *

نزلت ع العين وحملت جرتها — سالت الجرة وبانت غُرّتها
مِسْعد زمانك يا اللي حبيتها — قصرك في الجنة اتناشر بلكونا
نزلت ع العين تملي جرتها — يا ديك الحجل يحجل حجلتها
ولما شافتني حَلّت دكتها — وقالت لُه إسْحَل يا بنطلونا

ومن الأغاني ما يرتبط بالصيد ، لكن هذا الصيد لا يبقى محصوراً بغزلان البراري بل يتحول لظبيات البلدة :

ثلاث غزلان يرعن بجبلهن   جفاري صغار ما بيّن حبلهن
بالله يا فلان توصف لي خبرهن   بعيدين النُزل وإلاّ قراب

*   *   *

ثلاث غزلان نحو العين ماضين   بقلبي ناصبات جراح ماضين
كشف جرحي الطبيب وقال ما ظن   ما ظني يطيب مجروح الهوى

وهكذا نرى من خلال الأمثال والأغاني المرتبطة بالأكل والماء جوانب متعددة من الحياة الاجتماعية المتنوعة ،والتقاليد والاعراف السائدة التي تمثل مواقف معينة وتعكس صوراً لحياة السكان ومفاهيمهم وعاداتهم . على ان هذه الصور رغم النزوح والتشتت وانقضاء أربعة عقود ، لا تزال كما هي الى حد بعيد .

(1) - في أوائل عام 1934م ، تمَّ تدشين خزان المياه في حي السدر قرب المدرسة الاعدادية للبنين ، وجُرّت المياه من عيون القسطل الى الخزان ثم الى عين البلد . وقد دعي المندوب السامي البريطاني في فلسطين لافتتاح حفل مشروع المياه ، واصطفت جموع الأهالي من رجال ونساء واطفال على طول الطريق من عين البلد ، حتى عيون القسطل "مسافة ميل من الأمتار " لأستقبال المندوب السامي ، مرحبّة بقدومه ، وكان أمل هذه الجموع أن يحضر المندوب السامي حفل الافتتاح ، لكي يقدموا له طلب استرحام وعفو عن أحد مناضلي الثورة من أبناء البلد ، " والذي حكم عليه بالاعدام شنقاً " ، لكن المندوب خيّب أمل أهالي البلد ولم يات لحضور حفل افتتاح مشروع المياه ، بل أصدر أوامره بإعدام المناضل " مصطفى علي الاحمد " كهدية تذكارية منه لافتتاح المشروع .

وبعد فترة زمنية من صدور حكم الاعدام وتنفيذه في المناضل " مصطفى " قرر المندوب السامي المجيء الى صفورية كي يقدم التهنئة والتبريكات ويترحم على روح شهيد المشروع.

فكان رد فعل قيادة الثورة في البلدة أن أصدرت بياناً عاماً لجميع السكان بأن يلتزموا البيوت ، وعلى كل من يمتلك دابة أو بهيمة أو كلباً يأتي به الى البيادر ، وأغلقت المتاجر والمحلات ، والتزم الأهالي البيوت ، وخيم السكون على البلدة ، كأنها خاوية لا حياة فيها، وعندما وصل موكبه الى ساحة عين البلد ، نظر يمنة ويسرة فلم يقع نظره إلا على البهائم التي تنهق والكلاب التي تَعْوي ، فعاد أدراجه من حيث اتى كالكلب الذليل يجر ذنبه وراءه . هذا جزاء الظالمين !

الطابون والصاج والفرن :

الخبز مادّة القوت الرئيسية . هو قوام الحياة القروّية ، ولذا كان الاهتمام بالطابون والصاج والفرن . وقد لحظنا أن اكثر الصفافرة يفضلون خبز الطابون على غيره من انواع الخبز . ولا شك في أنّ الطابون أقدم عهداً من الصاج والفرن .

قد يكون للعائلة طابون خاص ، ولا يمنعونه عن الأقارب والجيران . وقد يكون الطابون الواحد مشتركاً بين عائلات قليلة (طابون الحارة) . أمّا الصاج ، فمن متاع البيت ، يستطيع كل امرىء أن يقتنيه ، والفلاحون الذين يتوفّر لديهم الحطب من أرزاقهم ، فإنهم يحرصون على اقتناء صاج ، لما في ذلك من توفير في أجرة الخبز .

أمّا الفرن فإنه مؤسسة تجاريّة ، وتكاليف بنائه كثيرة ، ولذا يكون للعموم . يحق لكل فرد من أفراد القرية أن يأخذ عجينه الى الفرن ، ليخبز ، لقاء أجر معيّن : طحين ، أرغفة ، أو نقود .

الطابون :

غرفة صغيرة (خُشّة) ، منخفضة السقف ، مبنية من الدبش ، (الحجر الغشيم) لا نافذة لها ولا مدخنة . يحفر في وسط هذه الغرفة حفرة مستديرة ، لا يزيد عمقها عن 10 سم . ثم إنهم يُنزلون في هذه الحفرة (ويسمّونها جورة الطابون) الطابون . والطابون نوعان : طابون وَقّادي ، وطابون زَبّالي . (أي وقود الأول الحطب والثاني روث البقر " زبل " ويسموّنه جَلِّه) ، وللطابون غطاء يدعونه صْمامِة . تحمل المرأة عجينها وطبليّتها ، وتذهب مع ابنتها ، أو جارتها لتعينها في الخبز . تُحمّي أولاً الطابون بإشعال الحطب في الموضع المُعدّ للنار داخل الطابون . ثم تَرُقّ قرص العجين ، وتهله وتضعه في داخل الطابون على الحصى (ويدعونها رُظُف) ، لينضج فتخرجه . في هذه الأثناء تكون قد أعدّت قرصاً آخر . وعليها أن تحتفظ بحرارة الطابون على درجة معلومة . ولذلك تْوِز حَطَب بين الفينة والأخرى .

الصّاج :

والصاج لوح من الحديد مستدير مقعَّر ، وهو رخيص الثمن ، يستطيع من عنده الحطب الكافي أن يقتنيه ، ويخبز خبزه في بيته . يبنون للصاج موقداً مستديراً من حجارة تسيَّع بالدّلغان . وكثيراً ما يبنى موقد الصاج في حوش

الدار ، أو تحت القنطرة ، أو تحت توتة الحوش . ولا تبخل المرأة على جارتها ، أو قريبتها باستعمال الصاج والموقد ، وإذا كانت صاحبة الصاج ممن عندهن حطب كثير فإنها تعطف على المرأة الفقيرة وتزودها بالحطب .

الفرن :

أما الفرن فبناء اكبر حجماً من الطابون . واكثر ما يكون موقعه في ساحة القرية . والفرن كناية عن غرفة كبيرة ستة امتار ، بخمسة أمتار ، وأحياناً اكبر من هذا ولا يختلف بناؤه عن بناء العَقد . تقسّم هذه الغرفة الى قسمين . في القسم الواحد يخزن الفرّان حطبه ، وفي القسم الثاني يبنى الفرن .
أمّا الفرن حيث يُخبز الخبز ، فكناية عن غرفة صغيرة متر ونصف بمترين . سقفها ارتفاعه حوالي المتر ، ولها داخون يخرج من سقف الغرفة . ولها باب طوله يزيد على النصف متر . أرض هذه الغرفة مبلّطة بحجارة ناعمة رقيقة . تحت البلاط يضعون طبقة سميكة من الملح لحفظ الحرارة واستمرارها . يحرق الفران البلاّن والقيشة في الفرن الى ان تُحمى جميع البلاطات ، ثم انه ينظّفها من الرّماد والشحبار بخرقة . وبعد هذا يشعل الحطب الى جانب واحد من الفرن ، مبقياً بعض البلاطات نظيفة للخبز . ثم ياخذ بوضع رقاق العجين على هذه البلاطات . وعليه أن يَوِز الحطب ، كلما شعر أن البلاطات ليست حامية ، كما يجب أن تكون .
أمام باب الفرن جورة ، يقف فيها الفرّان ، وأمامه مصطبة مبلّطة بحجارة ناعمة صقيلة ، تَرقّ عليها النساء أقراص العجين . يأخذ الفرّان الرغيف العجين الذي رقّته المرأة ، ويلوحه بقدر ما تتحمّل لزاجته ، ثم يضعه على الراحة ، ويدخله الى الفرن . ويتقاضى الفرّان أجره طحيناً أو خبزاً ، أو نقوداً .

الانتاج الزراعي :

عرفت صفورية أنواعاً مختلفة من المحاصيل الزراعية المعروفة في أقليم حوض البحر المتوسط، كالحبوب ، والفواكه والخضراوات ، والزيتون ، والكتّان . وكانت زراعتها موزعة ما بين منطقة وأخرى تبعاً لتنوع التربة ، وتباين أشكال التضاريس .

الحبوب :

القمح والشعير كان يزرع بكثرة في عدة مناطق من أراضي صفورية الواسعة ، وانه لا حاجة للإشارة الى اماكن زراعتهما . خاصة إذا تذكرنا أن هذين المحصولين من أهم المحاصيل الزراعية في قرى فلسطين عموماً في مختلف العصور . وتشير نتائج المسح العثماني الأول الذي أجري في فلسطين سنة 1525-1526م ، الى أن هذين المحصولين ، كانا من أهم المحاصيل ، وكانا يزرعان في جميع القرى والمزارع الفلسطينية ، لا بل يحتّلان اكثر الأراضي الزراعية فيها . وذلك لأن القمح هو المادة التموينية الأساسية للناس . أمّا الشعير فكان يستخدم كعلف للحيوانات ، إضافة الى أنه كان هناك من يعتمد عليه كغذاء لا يقل في أهميته عن القمح .
وقد أخترنا من حسن الشعر ما قيل في القمح البيتين التاليين :

بُوركَ في بُرِّنا ومن زرَعَه   والحمدُ والشُّكرُ للذَّي صنَعَهْ
كأَنما كُلٌّ حبَّةٍ منه في الشكلِ   وفي اللَّوْن والخِبا ودَعَهْ

القطاني :

وهو العدس والحمص والكرسنّة ، وتشير نتائج المسح العثماني الأول الى وجود هذه المحاصيل في صفورية وعدد كبير من القرى والمزارع الفلسطينية .

السمسم :

كان من المحاصيل التي تزرع بشكل محدود في صفورية .

الكتّان :

وهو نبات معروف يستعمل في نسيج بعض الأقمشة . كانوا يعملون منه فتايل للقناديل ، كما كانت النساء يقمن بغزله ، وأشهر مزارع الكتان الفلسطيني ، منذ اكثر من ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة ، كانت في قسطل صفورية ، ولكن فلسطين لا تعرف زراعته اليوم.
وقد ورد نص في التلمود البابلي يمجّد كتان صفورية إذا انه يفوق كتان كثير من بلاد العالم ، ويبدو أن انتاج صفورية من الكتان كان وافراً ، بدليل انه يعد للبيع للتجار الاجانب في ميناء صور .
" وها هُويا صفوري ميلاتا دِعَديفا طوبا ، نص تلمودي " .

كما قيل شعر حسنُ ُ في هذا المعنى :

ذوائبُ كتّانٍ تَمايَلْنَ في الضحُّى على خُضْر أَغْصانٍ من الرّيّ مُيَّدِ

كأَنَّ اصفِرارَ الزَّهْرِ فَوْقَ اخْضرِارها مداهنُ تِبْرٍ رُكّبَتْ في زَبَرْجَدِ

الزيتون :

عرفت صفورية زراعة الزيتون بشكل كثيف في عدة مواقع من أراضيها ، وكان اكثر تركزه في أرض البرانس ، ووادي سالم ، ووادي النصارى ، ومرج الذهب ، وأرض الحمارة وخربة ملاّت السوق .

قال مؤلف شجرة الزيتون : " صفورية ، اكبر قرى القضاء ، وتملك مساحات واسعة من الزيتون المغروس في أحسن أنواع الأراضي ، فأنه ينتج انتاجاً عالياً ، يعتبر من أعلى أرقام هذه البلاد (120-125) كيلوغرام زيت في الدونم . (الطاهر علي نصوح ص 93) .

وشجرة الزيتون ، شجرة مقدّسة وزيتها مقدّس . ولها ذكر في القرآن الكريم :

{ وَجَنّاتٍ مِنْ أعْنابٍ والزَّيتُونَ والرُّمانَ مُشْتَبِهاً وَغيْرَ مُتَشابِهٍ اُنْظُروا إلى ثَمَرِهِ إذا أَثْمرَ وَيَنْعِهِ إنَّ في ذلِكُمْ لاياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُون } . الانعام : آية - 99 .

{ وَهَوَ الذّي أنْشأَ جَنَّاتٍ مَعْروشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشاتٍ وٱلنَخْلَ وٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ والزَّيتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُـتَشابِهاً وغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلوُا مِنْ ثَمَرِهِ } . الانعام : آية 141 .

{ اللهُ نُورُ السَّمواتِ وَٱلأَرْضِ مَثَلُ نوُرِهِ كَمِشْكَاةٍ فيها مِصْباحُ ُ ، المِصْباحُ في زُجَاجَةٍ ، الزُّجَاجَةُ كَأَنَّها كَوْكَبٌ دُرّيٌ يُوقَدُ مِنْ شَجَرةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَ شَرْقِيّةٍ ولاَ غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُها يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي ٱللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ } النور : آية 35 .

{ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وٱلزَيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ ٱلثَّمراتِ } . النحل :آية 11 .

{ وَزَيْتُوناً ونَخْلاً } . عَبَس : آية 29 .

{ وَالتّينِ وَٱلزَّيْتُونِ } . التين : آية 1 .

وتعيش شجرة الزيتون في الوعر ، وفي قلب الصخر . ويُسمّونها " شجرة الأرامل " لكرمها ، وقلّة اكلافها . وشجرة الزيتون تُعمّر طويلاً (مئات السنين) ، وقد أثبت التنقيب الأثري ان الانسان استغّل ثمرها وزيتها قبل أثني عشرَ الف سنة سبقت ميلاد المسيح عليه السلام ، وانها فلسطينية

المَنْبَت . وقد أَوْرَد الطبري في تاريخ الرسل والملوك ، ج6-ص502 ، رواية تؤيد أن فلسطين هي منبت شجرة الزيتون ، وهذه روايته :
" عندما وصل قتيبة بن مسلم بجيشه الى حدود الصين بعد فتحه سمرقند ، أرسل وفداً الى ملك الصين الاكبر يدعوه الى الاسلام أو دفع الجزية وإلاّ فليستعد للحرب . فلما وصل الوفد وبلّغ الملك الرسالة عجب من قوّة نفس العرب وقال للوفد :
" قولوا لقائدكم ان ملك الصين يعلم قلّة عددكم وحرصكم على الحياة . وان الاحسن له أن ينصرف ويعود الى بلاده ، لئلا أبعث اليه من يهلكه ويهلك جنده " .
فقال له رئيس الوفد العربي : أيها الملك ، ان من كان أوّل خيله في بلادك وآخرها في منابت الزيتون (يعني فلسطين) لا يكون قليلاً ، وان من يترك بلاده ويغزوك في بلادك لا يكون حريصاً على الحياة . وان لنا آجالاً إذا حضرت فأكرمها القتل : ولسنا نكره الموت أو نخافه " .
وتعيش شجرة الزيتون في المناطق الدافئة ، والمتوسطة الدفء . وهي شجرة بريّة ، أي إنها تحتاج الى تطعيم ، وإلاّ إذا زُرعت ، فإنها لا تعطي ثمراً ، وإن أعطت ، فثمراً صغيراً رديئاً.
وأشهر أنواع الزيتون الجوّي : الصوري ، والبلدي ، والشتوي . أما الصوري فأحسن الأنواع : ثمره كبير الحجم ، صغير النواة ، سميك القشرة ، ويصلح للأكل . وأما الشتوي، فلونه أسود وحبّه أصغر حجماً من الصوري ، ونواته كبيرة ، وقشرته رقيقة . ويُسمّى شتوياً ، لأنه ينضج متأخراً في فصل الشتاء . واذا سقط المطر باكراً ، نضج الثمر ، واعطى مقداراً من الزيت حسناً ، وأمّا إذا جاء الخريف جافاً ، فإن غلّة الشتوي ، لا تكون حسنة. والبلدي هجين بين الشتوي والصوري وحبّه صغير .
نموّ شجرة الزيتون بطيء جداً . لا تعطي الزيتونة ثمراً ، يُعَدّ غلّة ذات قيمة اقتصادية ، قبل ثماني أو عشر سنوات ، في الاراضي الطيّبة . ولذلك يعمد الفلاح الذي ينقب أرضه ليزرعها زيتوناً ، الى زراعة أشجار مثمرة بين غرسة الزيتون وأخرى ، فإنه يستفيد منها ، الى ان تبدأ الزيتونة باعطاء غلّة لها قيمتها .
في أواخر شهر أيلول ، يبدأ منتج الزيتون ، بجمع الغلّة . أولاً الزيتون الأخضر للتسبيح ، ويسمّونه زيتون مسبّح . يجب أن تكون الحبّة خالية من كل مرض أو عيب . يُغسل هذا الزيتون بالماء البارد ، ثم يحفظ بماء الملح ، ويضاف الى الماء ما يُعطّر الماء : ورق ليمون أبو صفير ، وقليل من ورق الغار ، وقرن أو أكثر من الفليفلة الخضراء الحارة . ويُترك أشهراً في

خواب ،او مراطبين كبيرة ليطيب . يبقون هذا النوع من الزيتون الى أن تكون مونة الزيتون الأسود قد نفدت من البيت .
أمّا الحبّة التي أضرّ بها السوس ، أو التي فيها عيب ما ، فإنهم يبقونها للرّص . والزيتون المرصوص ، يكون أخضر ، ويكون نصف ناضج أو أكثر . يأخذون حبّات الزيتون ، ويضعونها على بلاطة ، وترضّ بمدلكة ، رضاً يسيراً ، لكي تتشقق الجلدة قليلاً . ثم أنهم يضيفون إليه الملح ، والزيت ، وقطع الليمون الحامض ، (والفليفلة الحارة أحياناً) ويتركونه الى أن يطيب . ولا يحتاج الى أكثر من بضعة أيام ليطيب . وفي شهر كانون أول، يكون الزيتون قد نضج على أمه ، وتكامل زيته . فيجمع ، وتُنقى منه الحبة الصالحة التامة النمو ، والخالية من العيب ، وتغسل بالماء . ثم انهم يضيفون اليه الملح ، والزيت ، وقليلاً من الليمون الحامض (وبعضهم لا يضيفونه) ، ويحفظ في جرار وخوابٍ ، والباقي من الزيتون يؤخذ الى معاصر الزيت .
والزيتون مؤونة أساسية يهتم بها الفلاح كثيراً . واذا لم يكن منتجاً ، فإنه يشتري مقادير كبيرة منه في الموسم ، ويخزنه للشتاء .
يسمّون الزيتون " شيخ السفرة " ، فهو على المائدة صباحاً وظهراً ومساء . وإذا تَعَصْرَن أحدهم ، فإن عصرونيته تكون رغيف خبز ، وزيتونا وشيئاً من الخضَر الذي في داره (ورق بصل ، نعنع ، بقدونس ، فجل) . يزرع شجر الزيتون على طريقتين : إمّا أغصاناً من شجرة حسنة النوع ، تغرس في الأرض رؤوسها ، وأعقابها على وجه الأرض ، أو أغصاناً بريّة تنمو على جذع شجرة بريّة ، تقطع هذه الأغصان مع جزء من الجذع ، وتغرس في أيام الشتاء ، ويُسمّونها قُرميّة . والطريقة الثانية تتطلب تطعيماً في السنة الثانية أو الثالثة ، ويعتقد الفلاح ، أن شجرة تُغرس ، على هذا الشكل ، وتُطعّم فيما بعد ، تكون أفضل من الشجرة ، التي تنمو من غصن مزروع على الطريقة الأولى ، التي ذكرناها.

التطعيم :

يقسّم الفلاح الصفوري أشجاره المثمرة ، وذات المنفعة الاقتصادية (كالتوت) الى نوعين: برّي وجوّي . والبرّي هو النوع الرديء ، أي النوع الذي ينمو على طبيعته من بذرته . عَلّمه الاختبار ، أن الكرمة التي تنمو من بزرة العنب ، لا تعطي ثمراً جيداً حسناً شهياً ، بل تعطي عنباً صغير الحبّ ، لا قيمة له ، ولذا ، يزرع كرمه قضباناً من أنواع جيّدة ، أو انه

يطعّمها . وكذلك يعلم بالاختبار ، أن شجرة الزيتون التي تنمو من البزرة ، تكون بريّة ، حبّها صغير ، وقشرته رقيقة مرّة ، وزيته قليل . فيطعّم أشجاره بمطاعيم من جنس حسن . وكذلك التوت ، فإن نصوبه ، تكون من النوع البرّي ، وعليه أن يطعم شجر التوت في سنته الثانية أو الثالثة .
والتطعيم على نوعين : قمحة ومزلوف . أمّا القمحة ، فهي رقعة من غصن ، تحتوي على برعمة . تشقّ قشرة الغصن البرّي ، قدر 2سم أو 3 ، ويفتح لرقعة المطعوم ، مكاناً بين القشرة والصلب من العود ، وتُنزّل الرقعة في الشق ، ثم تُعاد قشرة الغصن البري الى مكانها ، وتربط ربطاً محكماً . وفي الربيع التالي ، إذا " لحمت " الرقعة ، تُفتّح البرعمة الجديدة ، وتصبح جذع الشجرة المطلوبة . أما المزلوف ، فغصن من شجرة جويّة ، يُنزل بين قشرة الغصن البرّي ، وجزئه الصلب يُبْرى المزلوف كما يُبرى الغزّاز قلماً للكتابة ، ويقرم الجذع البرّي ، ويفتح بين قشرة البري ، والصلب من العود ، ويُنزل المطعوم ، ويُربط ربطاً محكماً . وبعضهم يطلونه بتراب ، أو بروث البقر . وإذا لَحَمْ المزلوف أورق في الربيع التالي . يطعّم بالمزلوف الزيتون ، والكرم ، وبعض أشجار الفاكهة . أما التوت فيطعّم بالقمحة . أما زمن التطعيم فيختلف باختلاف الشجر . فإن التوت مثلاً يطعم في أبان الصيف . وبعض الاشجار تُطعّم في الصيف ، وبعضها في أوائل الربيع .

التينة :

وهي شجرة مقدسة ذكرت في القرآن الكريم مقرونة بشجرة الزيتون : { والتّينِ والزيتونِ، سورة التين ، آية 1 } . ومن الشعر الحسن الذي قيل في التين :

يُشبهُ في اللّوْنِ وطيبِ الأَرْجِ   نوافِحَ المِسْكِ وَطَعْمَ الثَّلْجِ
مثلُ رُؤوسِ الغُلف سودِ الدَّعْجِ   أو كثُدايا ناهِداتِ الزّنْجِ

والتين فاكهة محبّبة ، وطعام أساسي أيام الشتاء عند الفلاح الصفوري . وهي شجرة ، إذا تعهدها الفلاح ، تعود عليه بغلّة حسنة . والتين أنواع نذكر منها الشائع المعروف الذي يزرع بكثرة ، والذي لغلّته قيمة اقتصادية ، وهي : التين البياظي ، أو السكري ، وهو أغلاها ، وأحسنها فاكهة ، وأكثرها سكراً . السوادي - الخضاري وقشرته خضراء ، وقلبه أحمر ، ويؤكل في الصيف إذ إن المجفف منه ، غير صالح للطبخ ، أو الأكل بسبب شيء من الحموضة فيه . الخرتماني - الصفاري - العمودي - الجلاطي - الاشتاوي .

يُجفف التين عندما يحسن نضجه ، وفي لغتهم عندما " يذبل على أمه " فإن مادته السكرية، تكون قد استوفت شروطها ، يُطبّع ، أو يُشرّح ، ويوضع على أطباق القش . وتطبيع التين ، يتم بالضغط عليه قليلاً ، أو ، حسب مصطلحهم ببعجه قليلاً ، وتركه ليجف . والتشريح هو شقّ التينة ، وتعريض داخلها ليجف . والندى في الليل يفسد التين، ولذلك يحرصون على تغطيته ليلاً . والتين المشرّح يطبخ بالسكر ، ويضاف اليه قليل من حامض الليمون ، لكيلا يسكّر ، والتين المطبوخ زوّادة الفلاح ، ويسمّونه أبو عَصَبين . والأولاد يضعونه في رغيف من الخبز المرقوق ، ويأكلونه بين الوجبة والأخرى . أما التين الذي لا يُطْبخ فإنه يسلق في آخر الصيف ، لكي تموت الديدان والحشرات والسوس فيه ، فإنه لا يستقيم إذا لم يسلقوه بل إنه يدوّد . وطريقة السلق هي صبّ الماء الغالي عليه صباً (لا يُغلى التين في الدست) مرّة أو مرتين ، ثم يُرفع الى السطح لكي يجف ثانية . ثم إنهم يختزنونه في كواير ، أو جرار خزفية كبيرة . ويأكلونه أيام الشتاء .

الكرمة :

شَرِبْتُ مُجاجَ الكرْم تحت ظلالهِ على وجْهِ مَعْشوقِ الشَّمائِل أَغْيَدِ

كأَنَ عَناقيدَ الكرومِ وظِلها كواكبُ درٍّ في سَماءِ زَبَرْجَدِ

* * *

كأَنَّ الرَّازِقيَّ وقد تَناهى وتَاهَت بالعَناقيدِ الكُرومِ

قواريرٌ بماءِ الوَرْدِ مَلْأى تَشِفُّ ولُؤْلُؤٌ فيها يَعومِ

وتَحْسَبُه من الشَّهْدِ المُصَفَّى إذا اخْتَلَفَتْ عليْكَ به الطُّعُوم

وكلُّ مجمَّع منه ثُريّا وكلُّ مُفَرّقٍ منه نُجوم

الكرمة كالزيتونة نبتة مقدسة عند الفلاح الصفوري . فمنها فاكهته الصيفية المفضّلة ، ومنها دبسه وزبيبه . يأكل ورقها عندما يكون طرياً ندياً أخضر (مع التبولة) ، ومطبوخاً. وبعضهم يكبس الورق الأخضر الندي بماء الملح ، لكي يؤكل شتاء ، وماشيته تأكل ورق الدالية . وقضبان الكرمة وعقلها وقود لصاجه وطابونه .

تعلّم الفلاح الصفوري بالاختبار ، أن ينتقي انواع العنب ، التي تلائم أرضه . يغرسُ الفلاح كرمته قضباناً أيام شباط . يغرسها عند حافة الرباع لكي لا تدوسها أرجل البقر في الحراث ، ولكي تتدلّى العريشة من على الرباع ، فلا يحترق عنقود الحصرم أو العنب ، لأنه إذا لامس التربة الحارة ، أيام

تموز وآب ، فإنه يجف ويذبل . وبعضهم يرفع الدالية على عَمد أو على عريشة .
يجمّ الفلاح النبتة الجديدة السنة التالية ، على عمق بضعة سنتيمترات من وجه الأرض ويقبّبها ، فتفرخ ويربّي غصناً واحداً ، يكون الجذع الرئيسي للعريشة ، فيما بعد ويسمّونه عقلاية . وفي السنة الثالثة تكبر ، ويصبح لها فروع يزبرها مرتين ، أولاً في أواخر ايلول ، عندما يقلّل من عدد الأغصان الضعيفة ، ويقتطع منها تلك التي لا يعتقد انها تحمل ثمراً ، ويسمّون هذا تقليماً تشرينياً . وثانياً الشحالة النهائية في أوائل الربيع ، عندما يزبر الأغصان على طول معيّن ، تبعاً لحسن نمو الدالية أو ضعفها . والمشحِّل الماهر يعرف الغصن الذي يعطي ثمراً في السنة القادمة .
يحرث الفلاح كرومه مرتين ، واذا كان عنده بقر أو إذا كان غنياً ، ثلاث مرات : كوننة في أوائل الشتاء ، وشقاقاً وتثنية . وفي أوائل الربيع يبرّك كرمه أو يدرّجه . والتبريك أو التدريج كناية عن حفر خندق ، وطمر غصن من الدالية الى بُعدٍ معيّن ، فتنشأ عنه كرمة جديدة . والتبريك طريقة لزرع دالية محل دالية أخرى ضعفت أو ماتت .
يبدأ الفلاح بالاستفادة من كرمته عندما يكبر حب الحصرم . فإنه يقتطف منه مقداراً لصنع " شراب الحصرم " ، وهو شراب لطيف منعش له نكهة طيبة .

القطاف :

نُضج العنب يتوقف على علو المنطقة . في المناطق المتوسطة العلو ، ويسمّونها " وسط " ، ينضج العنب ، ويصبح صالحاً للزبيب والدبس في أواخر آب ، أمّا في المناطق العالية ، فانهم يقطفونه في أوائل شهر تشرين الأول ، وأحياناً في النصف الأول منه ، أو في أواخره.

صنع الزبيب :

عندما يحلو العنب جيداً يقطفونه ، ويسطحونه ، إما في الكروم أو على سطح البيت . إذا كان السطيح في الحقل ، مهّدوا بقعة من الأرض ، وأزالوا منها العشب والشوك والحصى، ويسمونها المسطاح . ثم إنهم يعدّون " الصفوة " ، والصفوة ماء يُغلى بالرماد . يأخذون مقداراً كبيراً من الرماد ، ويضعونه في الدست الكبير ، ويغلونه قدر ساعة من الزمن ، ثم يتركونه الى ان يروق . ثم يُصفى الماء بقطعة من الشاش ويضاف إليه الزيت

فيحصل عندهم سائل حليبي اللون ، مائل الى الصفوة . في هذا السائل يغطسون العناقيد ، وينشرونها على المساطيح لتجف . يُرش الزبيب بماء الصفوة بضع مرات قبل جفافه ، مرتين في اليومين الأولين ، ومرة في اليومين التاليين ، ثم يترك في الشمس إلى أن يصبح زبيباً . يَرُشّون الزبيب بظمة من أغصان الطيّون ، والمدة كلها تتراوح بين 7و10 أيام ، غير أن ذلك يتوقف على العدّان . (عدّان الزبيب في لغتهم : الطقس الحار الجاف . في منتصف شهر أيلول وفي أواخره تهب رياح حارة جافة ، أحياناً يعقبها المطر الأول فيقولون " أيلول طرفه بالماء مبلول " . فإنّ العملية لا تحتاج الى اكثر من أسبوع واحد . يؤخذ الزبيب ويُنزع منه العملوش . أمّا الحبة الصافية النقية الشقراء ، فتوضع على حدة ، للأكل وللنّقل أيام الشتاء ، والذي لا يُنقىّ للأكل ، يؤخذ للمعصرة ليصنع منه الدبس أيام الشتاء ، بعد أن يكون صاحب المعصرة ، قد فرغ من موسم الزيت ، ودبس الخروب .

صنع الخل :

تعتقد بعض النساء القرّويات خطأ ، أن نفايات العنب المهتري ، والحامض منه ، والمسّوس، والمخّبص ، وما يتبقى من العنب في أسفل السلّة تصلح للخلّ ، ولذلك عندما ينضج العنب ، يهيئن خابية الخل أو الزير ، في هذه الخابية (أو في هذا الزير) يضعون نفايات العنب ، ويتركون ما يتجمع فيها الى أن يتخمّر (وأحياناً يفسد فلا يتخمّر لخلّوه من المادة السكرية الضرورية للتخمر) ، وأحياناً يضيفون الى الخابية الماء الحلو ، الذي فيه يسلقون العنب ، واذا كان العنب من النوع الاسود ، أعطى الخل لوناً خمريّاً جميلاً . تأخذ المرأة العصير المخمّر ، وتصفيه من الجماش ، وتضعه في زجاجات ، او في خواب ، وتحكم سدّها . وبعد مدّة يتحول هذا العصير الى خل . وكما قلنا آنفاً كثيرات من النساء ، لا ينجحن في صنع الخل ، بل يفسد العصير ، ولا يعود يصلح لشيء ، ولكن النساء المختبرات يعرفن أن الخل من العنب الجيّد لا من نفايات العنب .

الرمّان :

شجر مثمر من فصيلة الآسيّات . تحوي ثمرته ضمن قشرٍ كثيف ثماراً صغيرة كالحبوب ، وردّية اللون فيها سائل منعش ، زرع بكثرة في أراضي صفورية على مساحة تزيد عن ألفي دونم ، وهو أنواع ، منها :
" المليصي ، والحامض ، واللفّاني والبغّالي " .

والرمان من الاشجار المقدسة عند الكنعانيين ، وكانوا يستخرجون من عصيره خمراً لذيذاً، وقد زيّنوا بصورة زهره ثياب كهنتهم ، كما انهم أطلقوا اسم الرمان على كثير من مدنهم: " بيت رمون " تعرف اليوم بتل الواويات ، تقع في سهل البطوف شمال شرق خربة الرومي . " رمونو " وقد أقيمت على انقاضها قرية رمّانة في نفس الناحية .
ذُكر الرمّان في عدة مواضع من اسفار التوراة : " عد 13: 23 وتث 8: 8 و1 صم 14: 2 نش 6: 11 و17: 12 يؤ 1: 12 حج 2: 9 " .
وكذلك ذكر الرمان في القرآن الكريم في سورة الأنعام ، آيات : 99و141 .
ومن الشعر الجيّد الذي قيل في الرمان :

ولاح رمَّانُها فَزَيَّنَها بين صحيحٍ وبيْنَ مفْتُوتِ
من كلِّ مصفَرةٍ مزَعْفَرةٍ تفوقُ في الحُسْنِ كلَّ منْعُوتِ
كأنَّها حُقَّةٌ فإنْ فُتِحَتْ مُصرَّةٌ من فُصوص ياقوتِ

نباتاتها :

أحسن ما وصفت به تربة أرض صفورية وخصبها هو وصف العربي الكنعاني لها إذ قال:"أرض خصبة ، أرض عيون وينابيع ، أرض حنطة وشعير وكرم وتين ورمان ، أرض زيتون زيت وعسل ، أرض ليس بالمذّلة تأكل فيها خبزاً ولا يعوزك فيها شيء ، أرض تفيض لبناً وعسلاً " .
" وها هويا صفوري ميلاتا دِعديفا طوبا ، وخي تيما دليت بها زبت حلب ودبش . زبت حلب ودبش دِصفوري وهو ششه عَسر ميل عَلى ششه عَسر ميل . أف ر سدوت وكرميم عديفا ليه ".
وهذه الأرض ما زالت تدر لبناً وعسلاً رغم ما جرى فيها من تهويد وتخريب . ومن نباتات هذه الأرض اخترنا ما كان يدخره العربي الكنعاني للقوت والعلاج ، وما كان له مسحة من قداسة !

اللُّفاح :

نبت لا ساق له تمتد أوراقه على الأرض وبينها الثمر وهو كُرَويّ بحجم الجوز لونه أخضر قبل النضج ، وأصفر متى نضج . رائحته زكيّة .
ومن الغزل الكنعاني الرائع الذي قيل فيه ما ذُكرَ في نش 7 ، 13 :

تعالَ يا حبيبي لنخرج الى الحقلِ
وَلْنَبِت في الزيرةِ
لِنُبَكّرنَّ الى الكروم ، لِنَنْظُرَ هَل أزْهَر الكرم

هَل تَفَتَّحَ القُعال ، هَل نَوَّر الرمان
هنالِكَ أعطيكَ حُبّي
اللُّفاحُ يَفوحُ رائحَةً
وعند أبْوابِنا كُلُّ النفائِسِ

وكانوا يعتقدون ان له تأثيراً في المحبّة والحَبَل ، ويقال أن جذره يشبه الانسان . ويقولون أيضاً انه يحدث عند خلعه صوتاً كصوت الطفل فيتشاءمون من خلعه . ذكر اللفاح في الملاحم الكنعانية (ملحمة بعل) على انه نبات المحبّة والسلام .
ويعرف عند العامّة بتفاح المجن وتفاح انجن .
من ملحمة بعل بتصرف :

" رسالة بعل العليّين
الحرب على الأرض
ضد مشيئتي
ازرعي لفاحاً في الحقول

اللفاح نبت تنسب اليه قوة سحرية في اجتذاب القلوب كما قلنا سالفاً ، ولكن المقصود هنا في هذا النص زرع الأرض في عهد من السلم والمحبّة .

اسكبي السلام في كبد الأرض
ارفعي عصاكِ وسلاحك
لديّ قصة أرويها
قصة الغابة "

وقصة الغابة التي حدثت قبل آلاف السنين ، عادت وتكررت من جديد بالغزوة الصهيونية الاستعمارية حيث شُرّد الشعب الفلسطيني من دياره وأرضه ، وأصبح هائماً على أربع زوايا المسكونة يَتَحسّس موضع قدم بعدما كان يملك أرض حقول اللفاح . وقصة الغابة ما هي إلاّ وجه قديم لقصة النكبة في عصرنا .
ذكر اللّفاح الشيخ الرئيس أبو علي بن سينا في كتاب الأدوية المفردة من القانون . وذكر خصائصه الطبيّة وفوائدها .
وقال الشعراء فيه شعراً ، فمن ذلك قول بعض الشعراء :

أتانا المّصيفُ بلفاحِهِ فطاب ولو فاتَه لم يَطِب
نجومٌ بلا فَلَكٍ دائرٍ ولكنّ أوراقَه كالقُطُب
روائحهُ مِن شَذَا مِسْكةٍ وأجسامُه أُكَرٌ من ذهب

* * *

أنظر الى اللُّفاح تَنظر مُعجبا يجلو عليك مفضضا في مُذهَبِ

تعلو مَفارقَه قَلانِسُ أُخِفيَتْ   من تحتهنّ دراهمٌ لم تُضرَبِ

شقائق النعمان :

جنس نبات عشبي من فصيلة الحَوْذانِيّات أو الشقيقيات . وهو ربيعي ذو لون أحمر جميل . ذكره أبو علي بن سينا في القانون مع منافعه الطبيّة .
والنعمان ذكر في ملحمة قرت الكنعانية على انه الجميل بن إيل :

لقرت ... ملك
لقرت ملك
(سبعة أسطر مشوهة)
نعمن غلم إيل
الجميل بن إيل

من نعمن اسم نعمان بالتطويل المعتاد عند بعض القبائل العربية . ومعنى نعمان :
الجميل الناعم . واسم شقائق النعمان من جروح تموز الجميل . ولما نقل الاغريق الاسطورة سمّوا تموز بلقبه " أدون " أي السيد ولفظوا أدونيس .
وسميت شقائق النعمان Anemone من (النعمان) في اللغات الغربيّة بعد الاغريقية .
وعلى وزن نعمن كلمة رحمن التي ثبتت على صورتها بسبب ورودها في القرآن الكريم .
غلم هو الغلام - الصبي أو الأبن أو الخادم .
سميت الشقائق لحمرتها تشبيهاً بالنعمان . والنعمان اسم الدم الاحمر القانىء ، وشقائقه قطعه ، فَشبهت حمرتها بحمرة الدم .
تقول الاسطورة : " في أحد الأيام ذهب " أدونيس " للصيد ، في غابة تدعى البيضاء ، فأوجست عشيقته " عشتار " خيفة، وحاولت بشتّى الطرق أن تمسك به وتمنعه من الذهاب ولكنها فشلت ... وبينما كان وحده في وسط الغابة ، هاجمه وحش مفترس وجرحه في فخذه جرحاً خطيراً ، وأسرعت عشتار فرأت الإله الشاب جثّة هامدة ، فمدّدته على سرير من ورق الخس ، وضمّدت جراحه ،وسكبت العطور على الدم المتدفق بغزارة . ومن هذا الدم المخلوط بالطيوب تولدت زهرة : " شقيقة النعمان " وانتشر الدم بصورة واسعة على الأرض حتى النهر القريب . وتحولت مياهه فجأة الى دم قاني .
دفنت عشتار جثة الاله الشاب ، ثم أقيم هيكل على ضريحه يعرف بمحراب عشتار . وقد شوّه علماء الآثار الحديثون هذه القصة عندما أشاروا الى

التربة الحمراء التي تجرفها سيول الربيع . وردّنا على هؤلاء العلماء هو : لماذا تتحول مياه النهر الى لون الدم في يوم واحد من أيام فصول السنة من ساعات الشروق حتى ساعات الغروب ... ؟ وفي اليوم التالي تعود المياه الى سابقتها ! وهذا اليوم هو يوم مقتل الاله الشاب . أليست هذه ظاهرة غريبة عجيبة عجزتم عن اعطاء تفسير مقنع لها ؟ .

ومن الشعر الجيد الذي قيل في الشقائق :

أُنظر الى الزرع وخاماته   تحكي وقد مالت أمامَ الرّياح
كتائباً تَجفَلُ مهزومةً   شقائقَ النُّعمانِ فيها جِراح

*   *   *

تصوغُ لنا كفُّ الربيع حدائقاً   كعقد عقيقٍ بين سِمط لآلىء
وفيهنَّ نُوَّارُ الشقائق قد حكى   خدودَ غَوانٍ نُقِّطت بغوالي

*   *   *

هذي الشقائقُ قد أبصرتَ حُمرتَها   فوق السوادِ على أعناقها الذُّلُلِ
كأنه دمعةٌ قد غَسّلتْ كُحُلا   جالت بها وقفةٌ في وجنتيْ خَجِلِ

*   *   *

كم خدودٍ مصونةٍ من شقيقٍ   لم تبذلْ لِلَّثم أو للعِضاضِ
اعترضْ ناظرَ الشقيق ففيه   طُرَفٌ ما يَمَلُّها ذو اعتراضِ
جُممٌ سُرِّحتْ بلا مُشُطٍ أو   طُرَرٌ قُصِّصت بلا مِقراضِ
حُمرةٌ فوق خضرةٍ وسوادٌ   بين هذين مُعلَمٌ ببياضِ

النرجس :

نبت من الرياحين مشهور بجمال زهره وذكاء رائحته ، أصله بصل صغار وورقه شبيه بورق الكرّاث وله زهر مستدير أبيض وأفضل منابته عين الورد .

ومن أغرب ما قرأت عن النرجس ما كتبه أبو بكر بن وحشيّة إذ قال :

" ان أردتم النرجس فخذوا قرني الغزال ، فاقطعوا كلَّ قرن نصفين ، وانقعوهما في بول البقر سبعة أيام ، ثم اقلعوا عيني الغزال ، واجعلوهما فوق رؤوس القرون ، واطمروهما في الأرض في أول ساعة من يوم الجمعة ، فإنّه بعد خمسة عشر يوماً ينعقد نرجساً مفتَّحاً . وان اردتموه

مضعفاً فخذوا الثوم ، ثم شقّوا البصل ، واجعلوا الثومة في وسطها ، ولتكن سناً واحدة ، ثم ضمّوا على الثومة نصفي بصلة النرجس ، واغرسوها في الأرض ، فإنه ينبت النرجس المضاعف ، وان أردتم المضاعف الذي بعض ورقه أخضر وبعضه أصفر ، فخذوا سِناً من الثوم ، وخذوا عُصارة ورق بصل النرجس ، وانقعوا السنّ في العصارة ثلاثة أيام ، ثم أدخلوها في البصلة ، واغرسوها في الأرض ، فانها تنبت بعد أيام قلائل " .
ذكره أبو علي بن سينا في القانون وقال : له فوائد لا بأس بها .
وذكر النرجس أيضاً في نش 1:2 أنا نرجسة المروج سوسنة الأودية " .
ومن الشعر الذي قيل في النرجس :

لَديَ نَرجسٍ غضّ القطاف كأنه　　　اذا ما منحناه العيونَ عيونُ
مخالفة في شَكلهنّ بِصُفرةٍ　　　مكانَ سوادٍ والبياض جفون

*　　*　　*

كأنما نرجِسُنا　　　وقد تَبدّى من كَثَب
أناملٌ من فضّةٍ　　　يَحمِلن كأساً من ذهب

*　　*　　*

ونرجس الى حدا　　　ئقِ الرياض مُحدِقِ
كأنما صُفرتُه　　　على بياضٍ يَقَقِ
أعشارُ جُزءٍ ذُهِّبت　　　من وَرقٍ في وَرَقِ

الصَبَّار : (الصّبر)

نبات من فصيلة الصبّاريّات . تتفرع منه ألواح شائكة . أزهاره صفراء . يغرس لثماره اللذيذة الطعم ، ولكونه يصلح سياجاً . ترغب فيه الجمال . والصبر أنواع أجودها العربي الاحمر الملمّع بصفرة ، له رزانة وبصيص وأصله من اليمن . وأشهر مواقع الصبر في صفورية أرض الحمارة ، فلا يدانيها موقع في البلاد .
ذكره الشيخ الرئيس أبو علي بن سينا في القانون وقال : " له منافع طبيّة جمّة " .

الصعتر :

الزعتر نبات من فصيلة الشفويات ، طيب الرائحة . زهره أبيض الى الغُبْرَة ، يستعمل بعض أنواعه في الطب وفي صنع العطور .

العُليق :
جَنْبَة حرجية من الفصيلة الوردية لها ثمار صغيرة سوداء لذيذة الطعم . ذكر في سفر الخروج 2:3 " وظَهر له مَلاك الرَّب بلهيب نار من وسط عُلّيقة . فنظر واذا العليقة تتوقّد بالنار والعليقة لم تكن تحترق " . كما ذكره لوقا بسفره 44:6- " لأن كل شجرة تعرف من ثمرها . فإنهم لا يجنون من الشوك تيناً ولا يقطفون من العُلّيق عِنَباً .

السذاب :
نبات من فصيلة السذابيات ، قوي الرائحة ، وهو برّي ، ويزرع بالجنائن . له بعض الفوائد الطبيّة ، ذكره الشيخ الرئيس في القانون . ويوضع مع الزيتون الأسود (الملّح) . ويعرف عند العامة باسم فيجن .

الزوفا :
نبات بري أريجي من فصيلة الشفويات ساقه دقيقة مربّعة وورقه كورق الزعتر . يستعمل على الأخص في تحضير " مغلي الأعشاب " ويتداوى به غالباً لتقطيع البلغم .

عرعر :
نبت ربيعي يتفرع الأصل الواحد الى عدة فروع ، ويعلو أقل من قامة ، زهره أصفر جميل كزهر المنثور الأصفر ،ويكون في أصله غالباً دودة يستخرجها الأولاد ويضعونها في الفخ ويعرف عند العامة بالعَوَرْوَر .
ذكر في أسفار التوراة - أر 17: 6و48: 6 .

الهليون :
نبات معمر من فصيلة الزنبقيّات تمتد جذوره تحت الأرض حيث تنطلق سوقاً عديدة تحمل ثماراً حمراء ، مزيّنة . تؤكل سوقه مسلوقه . له منافع طبيّة ذكرها الشيخ الرئيس أبو علي بن سينا في القانون .
وقال شاعرٌ يصفه :
وباقةِ هليونٍ أتت وهي غضّةٌ فشَبَّهْتُها تشبيه ذى اللَّهب والفضلِ

برَشقِ نِبالٍ جُمّعَت من زبرجدٍ مشنَّفةِ الأعلى مفضَّضةِ الأصلِ

وقال أبو الفتح كُشاجِم :

لنا رماحٌ في أعاليها أَوَدْ مثقّفاتُ الجِسمِ فُتْلٌ كالمَسَدْ

منتصباتٌ في انفراجٍ كالعَمَدْ مكسوّةٌ من صِبغةِ الفرد الصّمدْ

ثوباً من السّندسِ من فوقِ جسد قد أُشرِبت حُمرةَ لونٍ تَتَّقِد

الهندباء :

بقلة عشبية من المركبات أوراقها مسنّنة ، أنواعها عديدة ، تدخل في التوابل وتطبخ أيضاً، تُعرف عند العامة بالعِلت .

لها فوائد طبيّة ذكرها الشيخ في القانون .

المَلاّح :

نبات عشبي من فصيلة الحماضيات ، ورقه كالهندباء ، له طعم فيه بعض الحموضة . ويعد من البقول الزراعية . ويُعرف عند العامة بالحُمّيض .

ذكر الملاّح في سفر أيوب 30: 4 " الذين يقطفون الملاّح عند الشيح وأُصولُ الرَّتَم خبزهم " . كما ذكره الشيخ الرئيس في القانون ، له منافع طبيّة .

الجرجير :

بقلة من فصيلة الصليبيات لها أزهار صغيرة بيضاء . وأوراق مركبة شديدة الخضرة . تنبت في مجرى وادي العين . تستعمل للسلطة فتعطيها طعماً لذيذاً . يعرف الجرجير عند العامة باسم " الحورِّة " . للجرجير منافع طبية مفيدة ذكرها الشيخ الرئيس في القانون .

الخروع :

نبت معروف منذ القديم وينمو قرب المياه . كان القدماء يستخرجون منه زيتاً يستضيئون به ، كما كانوا يأخذون من ثمره المسهل المعروف باسم " زيت الخروع " .

القُرّيص :

نبات عديم القُعالة من فصيلة القراصيّات . ينمو خاصة حول المساكن وفي الحدائق ، ويكثر في الأماكن المهجورة ، فصار مَنبتهُ كناية عن الخراب . يلسع كالنحل ، له شوك على شكل شعور دقاق إذا مسّها الانسان بيده غرزت فيها وانكسرت وسال منها عصارة محرقة تؤلم اليد .
ذكر في عدة مواضع من أسفار التوراة: أم 24: 31- اش34: 13 و55: 13- مز2: 6-صف2: 9 . على شكل لعنات يُوَلول بها قائلوها بعد ما زالت دولتهم أمام جحافل القبائل العربية لكثرة كفرهم وطغيانهم . وخير مثال ما وصفهم به بعد تدميرهم هوشع : 9: 6- " ماذا تصنعون يوم الاحتفال ويوم عيد الرب . ما إنهم يرتحلون لأجل الخراب . فمصر تجمعهم ، وموف تدفنهم . ومحمد لفضتهم ، والقريص يرثهم ، والعوسج يستولي على منازلهم " . وهذا النص ينطبق عليه المثل الشعبي : " دار الظالمين خراب " .

الخردل :

نبات من فصيلة الصليبيّات . وهو عدة أنواع منها ما تُسمّيه العامة بالخُردلّة والمُقْرَة . ينبت برياً في الحقول أو على حافة الطرق حبّه صغير جداً أسود مُقرّح يستعمل في التوابل وله فوائد طبيّة يستخرج منه زيت .
ذكر الخردل في أسفار الاناجيل : مت13: 31و17: 20-مر4: 31-لو13: 17و17: 6، ضرب المثل بصغر حبه : " فقال ماذا يشبه ملكوت الله وبماذا أُشَبِّهُهُ ! يُشبه حبّة خردل أخذها إنسانٌ وألقاها في بستانه فَنَمتْ وصارت شجرة كبيرة وَتَآوَت طيورُ السماءِ في أغصانها . لو 13: 17) .
وذكر أيضاً في القرآن الكريم بنفس المعنى :{ وإن كان مثقال حبّة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين } الانبياء 47 . { إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يات بها الله } لقمان 16 .

كزبرة :

بقلة من فصيلة الخيميّات ، تكثر في الحقول ومنها نوع بستاني ، أوراقها وردّية اللون أو بيضاء . بزرها من الأفاوية ، يستعمل كتابل ويدخل في تركيب بعض المشروبات . ولها منافع طبية جمة ذكرها الشيخ الرئيس أبو علي بن سينا في القانون .

ذكرت في التوراة بسفر الخروج 16: 31 كشبيهة بالمن " وهو أي المن كبزر الكزبرة أبيض وطعمه كرقاق بعسل " .

الزعفران :

نبات بصلي زهره أحمر الى الصفرة ، من فصيلة السَوْسَنيّات . يستخدم لصبغ طبخ الأرز فيكسبه لوناً جميلاً وطعماً لذيذاً ورائحة زكية ، ويستخدم كذلك لتطييب بعض أنواع من المرق أو الحلويات . وبنوع خاص لتلوينها بالأصفر .

ذكره الشيخ الرئيس أبو علي بن سينا في القانون . وذكره ابن البيطار في المفردات .

وأما ما جاء في وصفه - فقال مؤيّد الدين الطُّغرائيّ :

وحديقة للزعفران تأرّجت　　　وتَبرّجت في نسجٍ وشيٍ مونِقِ
شَكَت الحِيالَ فألقحَتْها نطفةٌ　　　من صَوبِ غاديةِ الغمامِ المغْدِقِ
حتى إذا ما حان وقتُ وِلادِها　　　فَتَق الصَّبا منها الذي لم يُفتَقِ
عذراء حُبلى قَمَّطتْ أولادها　　　حُمراً وصُفراً في الحرير الأزرقِ
وكأنّما اقتتلوا فأصفرُ خائفٌ　　　بحذاء قانٍ بالدّماء مغرَّقِ

وقال آخر :

للزعفران إذا ما قاسه فَطِنٌ　　　فضلٌ على كلّ ورد زاهرٍ أنِقِ
كأنه ألسُنُ الحيّات قد شُدِختْ　　　رؤوسُها فاكتست من حُمرة العَلَقِ
من لابسٍ حُمرةً من وجهِ ذي خجلٍ　　　ولابسٍ صُفرةً من وجهِ ذي فَرَقِ
لا شيء أعجبُ من لونَيهما وهما　　　نَشْوانِ تِرْبانِ في مَهدٍ وفي خِرَقِ
فرعانِ مختلِفٌ معناهما وهما　　　نتيجتا جوهرٍ في الأصل متّفِقِ

وقال آخر :

شَبّهت روضَ الزّعفران بشاطرٍ　　　سَلَب النّصارى واليهودَ شِعارَها
كصحيفةٍ من سندسٍ عُنِيت بها　　　كفٌّ صَناعٌ قَوَّمتْ أسطارَها
وكأنّما ألِفاتُها قد تُوِّجتْ　　　بمَجامرٍ تُذكي النسائمُ نارَها
من كلِّ فاقعةٍ تَلَفَّعُ دائماً　　　بدخانِ كِبريتٍ تَجّر إزارّها
متقنّعاتٍ في الدّجى فاذا بدا　　　للصّبح إسفارٌ سَفَرْنَ خِمارَها
والشمس طالعةٌ على أخواتها　　　واذا توارت أسبَلتْ أستارَها

وقال آخر :

وكأنّ وَرْدَ الزعفران مَضاحكٌ　　　قد جَمّعتْ لَعَسَ المقبّل واللَّمَى
أو أنصُلٌ فوق التراب سديدةٌ　　　قد فارقتْ بعد الرِّماية أسهُما

الحنظل والقَثاء البري :

الحنظل : نبات يمتد على الأرض كالبطيخ ، ثمره يشبه ثمر البطيخ لكنه أصغر منه جداً . وهو سامّ يستعملونه في الطب . ومنه ذكرٌ ومنه أنثى ، فالذكر ليفيّ ، والأنثى رَخْوٌ أبيض سَلِس ، والمختار منه الأبيض الشديد البياض اللّين ، فإن الاسود منه رديء ، وذكر فيه الشيخ الرئيس خواصَّ ومنافع يطول شرحها . ويضرب المثل بمرارته فيقال " أمَرُّ من الحنظل " .

قثاء بري : يُعرف عند العامة بفقوس الحمار . وهو نبات بري ثمره يشبه ثمر الخيار . ذكر الحنظل والقثاء البري في سفر الملوك الثاني 4: 39 - " وخرج واحدٌ الى الحقل ليلتقط بقولاً فوجد يقطيناً برياً فالتقط منه قُثاءً بريّاً مِلْءَ ثوبه وأتى وقَطّعَهُ في قدر السَّليقة . لأنهم لم يعرفوا . وصَبّوا للقوم ليأكلوا . وفيما هُم يأكلون من السليقة صرخوا وقالوا في القدر مَوْتٌ يا رجُلَ الله " .

البردي :

نبات مائي كالقصب من فصيلة السعدّيات . ينمو كثيراً في المستنقعات وكان يصنع منه سلالٌ وأسفاط وقوارب وسفن ، ومنه صنع القدماء الورق المعروف بالبابيروس ويُدعى أيضاً في القاموس السعدان ويعرف الآن عند العامة بالسِّعْد . ذكر في سفر أيوب ، 8: 11 و9: 26 وفي أسفار أخرى من التوراة .

الأسل :

نبات ينمو في الأرض السبخة لا ورق له لكن له رؤوس كالمسلات وتعمل منه الحُصر والسلال ، ويعرف عند العامة بالسّمار .

الحلفاء :

نبات أطرافه محددة كأنها سعف النخل والخوص . ينبت في مغايض المياه ويصنعون من اوراقه قفَفاً وحُصراً وحبالاً .

الشومر :

جنس بقول من فصيلة الخَيْمِيّات ، تفوح منه رائحة ذكية . أوراقه دقيقة ناعمة للغاية ، وسيقانه مستديرة عارية . لحبّه فوائد طبيّة ذكرها الشيخ الرئيس أبو علي بن سينا في القانون .

وفي وصفه يقول ابن وكيع :

أَخَذتُ من كفِّ الغزالِ الأحوَرِ غصناً من الشومرِ ممطوراً طري

وقال فيه أبو اسحاق الحَضْرَمي :

أرى الشومر بالصوت الفصيحِ ينادي الشُّرْبَ حيِّ على الصَّبوحِ

بدا لك في مطارفه وأبدَى روائحَ تستقِلّ بكلِّ ريحِ

فقم وأُعصِ النّصيحَ وكن مطيعاً لنا فالعيش عصيانُ النَّصيحِ

المُرّار :

بقلة شائكة تنبت في الحقول وعلى حافة الطرق شُبّه بشوكها اليهود لغدرهم وكفرهم وخيانتهم ، فقد جاء في سفر حزقيال 2: 6 و 48: 24 وصف لهم بالقرّيص وشوك المرار والعقارب :

" أمّا أنت يا ابن آدم فلا تخف منهم ومن كلامهم لا تخف لأنهم قرّيس وسُلاَّءٌ لديك وانت ساكن بين العقارب " . حز 6:2 و42:48 .

الغابات :

تضم أراضي صفورية العديد من الغابات والاشجار الحرجية كالبلوط والسنديان والسرّيس والبطم والصفصاف . ومن أشهر هذه المواقع : جبل السنديان ، جبل الديدبة ، جلام السّويد ، شمشيه ، خلّة العبهر .

الصفصاف :

شجر من فصيلة الصفصافيات ، وهو عدة أنواع كلها تنبت على مجاري المياه ومنها "صفصاف السَلاَّلين " الذي تُستعمل أغصانَه الطرّية المرنة في صنع السلال ، والصفصاف المستحي الذي يصلح للتزيين . ينمو شجر الصفصاف على طول وادي الخلادّية . ذكر الصفصاف في عدة مواضع من أسفار التوراة : لا 40:23 أي 22:40 مز 2:137 واش 7:15 و 4:44

حز 5:17 . " تُظَلِّلُهُ السَّدْرات بظّلها . يحيط به صفصاف السَّواقي . هو ذا النهر يفيض يَفِرُّ هو . يطمئن ولو اندفق الأردن في فمه . أيوب 40:22و23 " .

وذكر الصفصاف أيضاً في مراثي تموز (أدونيس) :

صفصافة لم تسعد بالمياه الجارية
صفصافة تمزقت جذورها
سوسنة في الجنينة لم يسقها الماء
تنوح على واد عظيم حيث الصفصاف كان ينمو
تنوح على حقل حيث الأزهار كانت تنمو
تنوح على مروج حيث القمح والشعير كان ينمو
امرأة قد نال الأعياء منها ، طفلة أصابها التعب ، فخارت قواها
ترفع صوتها في النواح قائلة : وا ولداه !
واصفصاف صفوراه !

اللُّبْنى :

شجر من فصيلة البطّميات . يشبه شجر الحور ، وهو الشجر المعروف اليوم بالعبهر ، وقد أطلق اسمه على إحدى مواقع صفورية (خلة العبهر) ، ثمره يشبه السدر أو الدوم ، يدق ويطرح في الغدران فيسكر به السمك فيصطادونه ، أوراقه صغيرة تحتوي على مادة التربانتين ، صمغه أو عسله قوي الرائحة وهو الميعة .

الخروب :

شجر مثمر من فصيلة القرنيات دائم الورق . ثماره على شكل قرنّي ، طويلة وعريضة ، سكرية ، يستعمل لعلف الحيوان ويستخرج منه نوع من الدبس له منافع طبية ذكرها الشيخ الرئيس أبو علي بن سينا في القانون .

ما وصف به الخروب من الشعر :

لمّا أتى الخروبُ في طبقٍ حنّت اليه النفوسُ والمُهَجُ
كأنّه في كمال حالتهِ حَبُّ عقيقِ أصدافُها سبَحُ

الزعرور :

شجر مثمر من فصيلة الورديات . ثمره احمر وربما كان أصفر ،وله نوى صلب مستدير يملأ اكثر جوفه فيكون لبّه قليلاً . تشبه ثمرته تفاحة صغيرة وتؤكل بعد أن تنضج كفاية . ومن ميزاته انه يقاوم الأمراض الشجرية وتقلبات الطقس . ذكره الشيخ الرئيس في القانون وقال : " الزعرور يُسمّى مثلَّثَ العَجَم ، ومنه نوعٌ تسمّيه اليونان بالتفاح البري ، وشجره يشبه شجر التفاح حتى في ورقه ، إلاّ أنّه أصغر منه ، عَفِصُ الطَّعم ، وهو قابض ، يَقمع الصفراء ، ويحبس السيلاناتِ اكثرَ من كل ثَمَرة .

وفي وصفه يقول ابن رافع :

كأنما الزعرورُ لمّا بدا   في حُسنِ تقديرٍ ومَرأى أنيق
جلاجلٌ مخضوبةٌ عَنْدَماً   أو خرزاتٌ خُرِطتْ من عقيق
يَضوع من رَيّاه إمّا هفا   به نسيمُ الريحِ مِسكٌ فتيق

وقال أيضاً فيه :

أُنظر الى زعرورنا المنعوتِ   نَكْهتُه كالعنبر المفتوتِ
كأنّه في الوصف والنُّعوتِ   بنادقٌ من أحمرِ الياقوتِ

العنّاب :

جنس شجر من فصيلة النبقيات شائك ، حبّه يشبه حب الزيتون وأجوده الأحمر الحلو ، يستعمل مأكلاً وعلاجاً .

ما وصف به العنّاب من الشعر :

أما تَرى شجر العنّاب موقَرةً   بكلِّ أحمرَ لَمّاعٍ من الخَرَزِ
وقد تدلّت به الأغصانُ مائلةً   مِثلَ العَثاكيل من صدرٍ الى عَجُزِ
وقد حَمتْه عن الأيدي أسنّتُها   حِذارَ مفترِسٍ أو خوفَ منتهِز

وقال ابن رافع :

أحبب بعنّابٍ بدا أنيقِ   كمثلِ لونِ وجنةِ المعشوقِ
أو خَرزٍ لُمّت من العقيقِ   أو كقلوبِ الطيّر في التحقيقِ
جاءت بها شَفْواءُ رأس نيقِ   كأنما اشتُقّ من الشّقيقِ
أو كان يُسقى بجَنَى الرّحيقِ   أحلى من السكر في الحُلوقِ
في نَكْهَةِ العنبر والخَلوقِ

البلوط :
شجر كبير غليظ الساق متين الخشب . يُدعى الملّول ويعرف عند البعض بالمل أشجاره غبياء ، ويعمّر طويلاً ، ثمرة البلوط بيضوية الشكل لها قمع يغطي قاعدتها وقشرة يابسة قاسية تضم بزرة واحدة . وثمره يستعمل مأكلاً وعلاجاً . وبعض أشجاره له مسحة دينيّة مثل ملاّت المزيرة وملاّت الشيخ علي .

سنديان :
جنس شجر من فصيلة البلوطيات ، ينتج ثمرة لا تتفتح ، يحيط بها قمع . وتُسمّى هذه الثمرة بلّوطة ، أصغر من ثمرة الملول ، شديدة المرارة ، أشجاره غبياء ، خشبه صلب جداً. أوراقه لمّاعة ومسننة الأطراف . أشهر منابته في أرض صفورية " جبل السنديان " .
الحيوانات البرية :التي كانت تعيش في أراضي صفورية .

الضبع :
ضرب من السباع معروف ، والمشهور فيها نوعان : الضبع المخططة والضبع الرقطاء وهي أكبر من المخططة وأقوى منها . وأشهر الضباع في أرض صفورية - ضبع المحما ، وضبع جبل السنديان .

الذئب :
حيوان يشبه الكلب جَريء جداً عند الجوع ، وهو أشد السباع شراسة وافتراساً ، ومن ألدّ أعداء الغنم فتذعرها رؤيته .
والذئاب حيوانات قوية الاحتمال ذكية وقادرة على التكيف مع أية بيئة توفر لها مصدراً غذائياً . وهي تجوب مساحات شاسعة طلباً للصيد غالباً منفردة ، وأحياناً في جماعات صغيرة خاصة في الشتاء . تلد الأنثى بطناً واحداً كل عام يتألف من أربعة جراء أو خمسة . ويُعتقد أن الذئب ورفيقته لا يفترقان مدى الحياة ، وهما شديدا الاهتمام بصغارهما . تنبح الذئاب نادراً ، ولها عواء مُميّز يسمع عادة بين تشرين الأول وكانون الأول . ويفترض عادة أن سلالات الكلاب الأهلية قد انحدرت من الذئاب في نصف الكرة الشمالي منذ حوالي ثمانية آلاف عام ، ولعلَّ لابن آوى أيضاً صلة بتلك السلالات .

ابن آوى :
وجمعه بنات آوى . اكبر من الثعلب وأصغر من الذئب كثير الوجود في أراضي صفورية . يسكن الخرب حتى صار مسكنه آية الخراب ومتى جاع يقترب في الليل من مساكن الناس طلباً للقوت ، ويصيح بصوته المعهود . يتبع الجيوش لأكل جثث القتلى ، وقد ينبش القبور ويأكل الجثث . ويعرف عند العامة بالواوي .

الثعلب :
مشهور بالدهاء والشراهة يقلق أصحاب الكروم والمقاثي حتى أن صغاره قادرة على أفساد الكروم . ويضرب المثل بشدّة مكره ، ومتى جاع يدخل القرى والمدن في طلب القوت . ويعرف عند العامة بالحصيني .

الشَّيْهَم : (النيص)
حيوان قارض من فصيلة الشياهم . وهو حيوان لَيْلي النشاط عاشب على الأغلب ، لكنّه يأكل الجيف ويَعْرقُ عظامها . يعيش النيص في حُجر يحفره ، ويدافع عن نفسه بأدارة مؤخرته للعدو ناصباً أشواكه ويركض خلفياً نحوه . وهذه الأشواك مختلفة الطول (يصل طول بعضها الى 40سم) ، وهي جوفاء تُصَلْصِل عندما تنتصب . تلد الأنثى بطنين في العام في كل منها ثلاثة صغار أو أربعة ، وتولد الصغار تامّة النمو ، مكسوّة بأشواك لينة تتصلب بسرعة .

القنفذ :
ويعرف أيضاً بكبابة الشوك يأوي الخراب وكثيراً ما يشاهد في الحقول وبين البيوت أيضاً. دويبة من فصيلة القنفذيات ، تدافع عن نفسها بالتكوّر ناشرة أشواكها الابرية الحادة التي تكسو الجسم بكامله . تلد الأنثى مرتين في العام ، في كل بطن أربعة جراء عمياء ، ذات أشواك ليّنة بيضاء . وتصدر القنافذ أصواتاً كالشخير ، وهي سهلة التدجين ، ويتألف طعامها في غالبيته من الحشرات . تختبىء في النهار وتكثر الذهاب والاياب في الليل . توجد منها أنواع عديدة .

الخلد :

نوع من القواضم يعيش تحت الأرض ، وهو يبني مجموعات معقدّة من الأنفاق والحجرات، تحت سطح الأرض . ويستعين بطرفيه الأماميتين القويين المعدين لذلك . ويظهر التراب المستخرج فوق السطح ويعرف باسم قباب الخلد أو أكوام خلند .
والخلد ليس أعمى تماماً ، إذ ان له عينين صغيرتين تختفيان تحت فراء مخملي . يَصرُّ الخلد صريراً يحتدُّ خلال عراكاته المتكررة . وهو يغتذي بديدان الأرض واليرقانات . وتلد الأنثى حوالي أربعة جراء مرّة واحدة في العام .

الأرنب البرية :

الأرانب لبونات قارضة تؤلف رتبة الأرنبيات في التصنيف الحديث ، وهي حيوانات نباتية تنشط ليلاً على الأغلب . تستوطن الأرنب البرية الأراضي السهلية المزروعة ، بالاضافة الى أراضي المروج العشبية والغابات . تلد الأنثى بطنين أو ثلاثة في العام ، يشتمل كل منها على ثلاثة خرانق أو أربعة (صغير الأرنب يُسمّى الخِرْنِق) ، وتعيش الأرانب البرية فرادى باستثناء فترة التزاوج .

فأر المنازل :

أوسع الفئران انتشاراً ، ويوجد بأشكال عديدة ، بعضها يعيش في الغابات أو في الحقول ، كما يعيش في البيوت ، وتشكل الفئران مصدراً غذائياً لمعظم الحيوانات المفترسة . وصوت الفأر يُسمّى الصَّئِيَّ . وهو حيوان نجس مؤذٍ وقد يفسد في بعض السنين كل المزروعات .

الشيب :

ولد الضبع من الذئب .

خفاش :

ويعرف عند العامة بالشوطوط ، حيوان يطير في الليل ويختبىء في النهار وهو من ذوات الثدي لا يشبه الطير إلاّ من حيث قوة الطيران .

ابن عرس :
ليلي النشاط في الغالب ويعتمد في غذائه بصورة رئيسية على صغار القواضم ، لكن لديه القدرة على صيد صغار الأرانب والعصافير والطيور الداجنة . تلد الأنثى بطنين من الجراء كل عام ، يضم البطن منهما من أربعة جراء الى أحد عشر .
وابن عرس من الحيوانات التي يزيد نفعها عن ضررها ،لأنها تقضي على كثير من القوارض المضرة . والعامة تطلق عليه النسناس .

الرخويّات :
الحلزون :
حيوان من فصيلة الرخويات البرية يعيش في صدفة ويتغذى بالنباتات ، منه أنواع عديدة يؤكل بعضها .

الخُرطون : (دودة الأرض)
تعيش الخراطين في التربة الرطبة وتخرج ليلاً بحثاً عن الطعام ، وهي عامل مُهمّ في زيادة خصب التربة وتحسين خواصّها . وقد يحوي الفدّان الواحد قرابة خمسين ألفاً منها .
وللدودة فم صغير ، وهي حساسة للضوء والاهتزازات لكن لا عينان ولا أُذنان لها . الخراطين خناث ، لكن لا يَتمُّ فيها الإلْقاح الذاتي . ويجري تبادل الحُيَيّات المنويّة بين فردين منها عند التلاقُح في موسم الرطوبة . ثم تذهب كل خُرطون في سبيلها ، وتفرز شُدْفاتُ السَّرج فيها شَرنقة تنزلق باتجاه الرأس فتجمع البُيَيْضاتِ أولاً ثم الحُيَيْويناتِ المنويّة قبل أن تُلْقى في التربة . ويتم الاخصاب داخل الشرنقة ، ومنها تنطلقُ تالِياً ثلاث أو أربع خراطين جديدة !
والخرطون قادرة على تجديد جزء الجسم المفقود . فلو قسمتها فأس العامل نصفين ، فباستطاعةِ كلّ نصف النمو ليصبح دودة جديدة .

العَث :
سوسة تبيض في الجوخ والفراء والصوف ، وتقطع النسيج عشاً لشرانقها ، ورد ذكرها في أسفار التوراة : أي4: 9و13: 28واش50: 9مز59: 11هو5: 12يع5: 2 .

عَلَق :

دويبة سوداء مشهورة بشراهتها في امتصاص الدم . وقد ورد ذكرها مرة واحدة في سفر الامثال (30: 15) : " للعلوقة بنتان هاتِ هاتِ . ثلاثةٌ لا تشبع . أربعةٌ لا تقول كَفَا . الهاوية والرَّحمُ العقيم وأرضٌ لا تشبعُ ماءً والنارُ لا تقولُ كَفَا " . وقد اختلف المفسرون في تأويل الكلمة العبرانية ففي الترجمة الاميركانية أبقيت على لفظها العبراني واما في اليسوعية واكثر الترجمات فترجمت علقة ، وذهب بعض المفسرين الى ان المراد بالنص هو الغول وهو حيوان وهمي تنسب اليه أعمال عجيبة في كتابات القدماء ولا يزال هذا الوهم مستولياً على عقول العامة . وقيل المراد الداهية وخصوصاً الموت وبنتاها هما الجنة وجهنم فإن الأولى لا تشبع من الأبرار والثانية لا تشبع من الأشرار ، وقيل ان الكلمة اسم علم يراد به امرأة حقيقية ولها بنتان مشهورتان بالشر .

الطيور البرية :

السنونو :

نوع من الخطاطيف ، من فصيلة السنونيات ، عريض المناقير طويل الذنب ، يعشعش في مساكن الناس وأماكن العبادة . سريع الطيران لكنه لا يعلو كثيراً عن الأرض ، يلتهم الحشرات في الهواء . ذكرت السنونو في ملحمة جلجامش البابلية (قصّة الطوفان) :

ستة أيام وست ليال
تثور الزوابع
وفي اليوم السابع
العواصف التي حاربت كالجيوش
تهبط ، والبحر يرتاح .
نظرت الى الجو ...
فتحت النافذة وهبط النور على خدي
استحالت البشرية الى وحل
وانطرحت ، وجلست طويلاً
بكيت وعلى خدي جرت دموعي
ونظرت الى العالم والى أفق البحر
وإذ بجزيرة ...
ووصل الفلك الى شادوماشو

وفي اليوم السابع ارسلت حمامة
وعادت لأنها لم تجد مكاناً
أطلقت سنونو ...

الهدهد :

طائر نجس لا11: 19وتث14: 18 وله في كتب العرب أخبار كثيرة منها :انه يبصر المياه تحت الأرض ،وهو الذي اكتشفها لجيش سليمان بعد ان كاد يهلك عطشاً ، ومنها: انه دعا سليمان وجيشه الى وليمة ،ولما حضروا اصطاد جرادة والقاها في البحر وقال:كلوا، من فاته اللحم ناله المرق .ويُسمّى هدهد الأخبار، لأنه كان يأتي سليمان بالاخبار وغير ذلك كثير من الخُرافات .

وجاء ذكر الهدهد في القرآن الكريم ، سورة النمل آية 20 .

بوم :

طائر جارح ليلي يسكن الخراب ، كلاهما للذكر والأنثى ويخرج في الليل طلباً لفريسته وهو قبيح الصورة والصوت فيتشاءم به العرب .

حجل :

طائر في حجم الحمام أحمر المنقار والرجلين وهو يعيش في الصرود العالية يستطاب لحمه . وهو جاهل في وضع عشه فيكون معرضاً للدوس والتخريب ويظهر انه يحضن بعد ذلك بيض غيره فشبه به الغني الذي يحصل غناه بغير حق .

الحمام :

طائر معروف ، محلل للأكل والذبيحة . أليف للغاية يحب بيته كثيراً فيرجع اليه ولو ابتعد مسافة طويلة ، وديع ومسالم فيطلب من المؤمنين أن يتمثلوا به ، جميل الصورة والعينين ، كثير الهدر ، ومنه البري المعروف بالرقطي ، ومنه أيضاً الزاجل الذي يعودونه الطيران برسالة يعلقونها بعنقه الى حيث عودوه أن يطير .

قاق :
طائر من فصيلة الغرابيات . رأسه وجناحاه وذنبه سود وسائر جسمه رمادي .

اليمام :
محلل للأكل ، وهو من القواطع يأتي هذه البلاد أول أول الربيع ، وهو كالحمام رمز الى الوداعة ، واليمام هو الحمام البري وهو عدة أنواع منها ما يعرف الآن بالرقطي يأتي هذه البلاد أول نيسان ومنها ما يعرف بالحمام البري وهو وطني لا يذهب من هذه البلاد يضع عشّه في أعالي الكهوف أو في جوانب الآبار الخربة وقد يدجن .

غراب :
أرسل نوح الغراب من الفلك فلم يرجع اليه . ومنه المثل المشهور " غراب نوح " لمن يرسل ولا يعود ، وهو عدة انواع منها الزاغ ، ويطلق الغراب الآن على الأسود منها وهو حالك الريش شره في أكل الجيف . ويتشاءم به العرب كثيراً حتى اشتقوا الغربة من الغراب وسمّوه غراب البين .

حدأة :
طائر من الجوارح يعرف الآن في بعض الجهات بالشوحة .

باشق :
طائر من الجوارح موصوف بحدة البصر ، وهو أصغر الجوارح جثة .

باز :
طائر من عائلة الصقر والشاهين وهو أشد الجوارح تكبراً وأضيقها خُلقاً يُربّى للصيد .

الحشرات :
الذباب : حشرات من ذوات الجناحين ، وهي أجناس شتى . كثيراً ما تتغذى بالاوساخ فتنقل الجراثيم والامراض . والذباب الميت ينتن ويخمر

طيب العطار . ومن انواعه الذبان الأزرق الذي يحوم على القبور والذبان الهندي الذي تعمل منه الحرّاقات ويطلق الذباب الآن على ذباب الخيل .

عنكبوت : كثير الوجود حتى في قصور الملوك . دويبة من العنكبوتيات تطارد حيوانات أخرى ولا سيما الحشرات . تنسج من لعابها خيوطا تستخدمها لاقتناص فريستها . ويستعار نسيجه للدلالة على قصر الحياة .

اليعسوب : جنس حشرات من فصيلة اليعسوبيّات ، له أربعة أجنحة غشائية شفّافة ، يرفرف فوق المياه .

البق :جنس حشرات من فصيلة البقيّات تمتص دم الانسان ، وتتغلغل في المواضع الدافئة كبرج الحمام ، ومنها مجنّحة تعيش على الاشجار أو في الحقول .

البرغش : جنس حشرات مضرة من فصيلة البعوضيات ورتبة ذات الجناحين يكثر أيام الحصاد فيزعج الناس بلسعه ويسقط في الماء واللبن والطعام وهو صغير جداً ، أمّا البعوض فهو ما يعرف الآن بالناموس والهسهس على أنواعه .

الفراشة : جنس حشرات من فصيلة الفراشيات ورتبة حرشفيات الأجنحة ، ملّون أحياناً تلويناً جميلاً . الحشرة الكاملة التي من خصائصها الامتصاص ، تساهم كسائر الحشرات في تلقيح الزهور .

الزنبور : حشرة من فصيلة الزنبوريات ورتبة غشائيّات الاجنحة لونها أصفر وأسود ، يستدقّ جسمها بين الصدر والبطن . تعيش كالنحل في مستعمرات ولكنها لا تنتج العسل. منها الاجناس الكبيرة فلسعتها مؤلمة وهي تلحق اضراراً فادحة بالنحل ، والأجناس الصغيرة كالزقرط تبني اعشاشها على الجدران وعلى أغصان الأشجار .

الدبور : جنس حشرات من فصيلة الزنبوريات ورتبة غشائيات الاجنحة لسعته مؤلمة .

ام أربع وأربعين : دويبة سامة كثيرة الأرجل ، تعرف عند العامة بأربعينية .

أم عِرْيَطْ : العقرب - دويبة سامة معروفة .

جندب : حشرة من نوع الجراد ، يقفز بسرعة ، فحسب استثقاله مثال الهرم .

بنات الدروز : " القمل والصيبان " والقمل دويبة طفيلية عديمة الاجنحة من فصيلة القمليّات . ثلاثة أنواع منها تلسع الانسان وتغتذي بدمه وهي قملة الراس وقملة الجسد وقملة العانة . وهناك انواع تركب الحيوان . تنقل قملة الجسد مرضاً خطيراً هو التيفوس . وقمل قُرَيْش هو حب الصنوبر .
برغوث : حشرة من فصيلة البرغوثيات ، تعيش على جسم الانسان والحيوانات اللبونة ، وتتغذى من الفضلات . لسعتها مؤلمة وقد تسبب وباء الطاعون .

النحل : جنس حشرات مجنحة يعيش في مستعمرات واسعة ، تتألف هذه المستعمرات من الملكة ، أو اليعسوب ، وهي وحدها مُنْجبة ، ومن العاملات وهي كثيرة ، غير منجبة ، لسعته مؤلمة ، يمتص الزهر لغذائه ويعطي العسل . قيل سُميّت بذلك لأن الله نحل الناس العسل الذي يخرج منها .
ذكرت النحل في القرآن الكريم سورة النحل آية 68: { وَأَوْحى رَبُّكَ الى ٱلنَّحْلِ أَن ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلْجِبالِ بُيُوتاً وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (69) ثُمَّ كُلي مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ فَاسْلُكي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً ، يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِها شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ ، إِنَّ في ذَلِكَ لآيَةً لَقَوْمٍ يَتَفَكَّرُون } .

النمل : جنس حشرات من رتبة غشائيات الاجنحة ، حريص على جمع الغذاء . أنواعه كثيرة ومنتشرة في كل أنحاء الدنيا . يعيش كالنحل ، في قرى تحت الأرض ، تتألف من ملكة منجبة ومن عاملات غير منجبة وقليل من الذكور ، تملأها حبوباً وذخائر للشتاء . له شمّ ليس لغيره من الحيوان .

ذكر النمل في القرآن الكريم سورة النمل آية 18 : { حتى إذَا أَتوْا على وادي النملِ قالَتْ نَملةٌ يأيُّها النملُ ادخُلُوا مساكِنَكُمْ ...} .

الزواحف :
تشمل طائفة الزواحف السلاحِف والأفاعي والسحالي (العظايا) وكُلها باردة الدم تُغطّي أجسادها حراشف أو صفائح قرنية . بعض الزواحف وَلودٌ لكن غالبيتها كالسلاحف ومعظم الأفاعي تضع بيوضاً .

حية : تطلق هذه الكلمة على فصيلة الحيات عموماً وكلها مشهورة بالحكمة والدهاء ذكرت مراراً في الكتاب ودعي ابليس الحية القديمة . والأفعى تطلق على الحيات السامة جداً بوجه العموم . ويراد بالقول " أولاد الأفاعي " أولاد الاشرار .

حرباء : ضرب من الزحافات تتلوّن في الشمس ألواناً مختلفة ويضرب بها المثل في التقلب وعدم الثبات . وهي تشعر كثيراً بالبرد حتى قيل انها تدور مع الشمس وتستقبلها بعينها فضرب أيضاً بها المثل فقيل أبرد من عين الحرباء . طول لسانها كطول جسمها وعليه مادة لزجة تمده الى فريستها فتلصق بها .

السرطان : حيوان من القشريّات ، عُشاري الأقدام ، قصير الذيل ، يوجد منه أنواع عديدة يعيش أغلبها على شواطىء البحر وبعضها في المياه العذبة . كثير منها يُؤكل . تُسمّيه العامة السلطعون .

السلحفاة : دابة برية وبحرية ونهرية ، لها أربع قوائم تختفي بين طبقتين عظميتين ، والبحرية منها تبلغ مقداراً عظيماً ، ويقال للذكر منها " الغَيْلَم " والعامة تُسمّيها قُرقعة .

ضفدع : دابة برمائية معروفة تتغذى بالحشرات والسمك الصغير . وكانت سابقاً مقدسة لدى المصريين القدماء وكانوا يعبدونها . وقد قال فيها مسيلمة الكذاب سَجَعاً عندما إدعّى النبوة . ومن هذا السجع :

" يا ضفدع نُقّي نُقّي ، لا الشارب تمنعين ، ولا الماء تكدرين ، لنا نصف الأرض ، ولقريش نصف الأرض ، ولكن قريشاً قوم معتدون " .
" يا ضفدع ابنة ضفدع ، نُقّي ما تَنقيّن ، أعلاك في الماء وأسفلك في الطين ، لا الشارب تمنعين ، ولا الماء تكدّرين " .

البيوت في البلدة

يمكن تقسيم المنازل في البلدة ، من حيث الشكل ومواد البناء ، الى نمطين رئيسين : البيت القديم ، والبيت الحديث .

1- البيت القديم :

هو عبارة عن بيت كبير تتراوح مساحته ما بين ستين الى مائة متر مربع ، تُكَوّن كلها غرفة واحدة ، أمّا إرتفاعه فيتراوح ما بين ثلاثة الى أربعة أمتار ، ويتألف البيت ، من الداخل ، من " قاع البيت " ويخرج منه درج يؤدي الى المصطبة ، والمصطبة هذه هي مكان النوم والجلوس والأكل ، ومن المصطبة يخرج درج الى " السدّة " ، وهي عبارة عن طابق داخلي ضمن البيت يستعمل للتخزين واحياناً للنوم وخاصة في الصيف ، وتحت السدّة يوجد الاصطبل ومذْوَد العلف ، وسطحه منخفض عن سطح المصطبة بما لا يقل عن المتر ، ويستخدم الاصطبل في الشتاء فقط حيث تبيت فيه الدواب والأبقار ، وعلى جانب درج السدة يوجد " القاطع " وفيه خوابي الزيت وخوابٍ من الطين والقش لخزن الحبوب ويستعمل كمطبخ حيث تحفظ فيه أواني الطبخ ، أحياناً يتم الطبخ في " القاطع " وأحياناً في " الرواق " خارج المنزل . وفي احدى زوايا المصطبة توجد الموقدة ، وتستعمل الموقدة للتدفئة والطبخ وخبز الصاج .

اما النوافذ ، فهي لا تزيد على أربع لأن البيوت متلاصقة ، ويبلغ ارتفاع النافذة حوالي المتر . وللبيت بابان ، واحد يؤدي الى الطريق وواحد الى ساحة البيت " الدار " ، اما جدار البيت فيصل سمكه الى متر تقريباً ، وفيه فتحات تستعمل كخزائن ، بعضها صغير توضع فيه الصحون وأواني المربّيات والمكابيس وبعضها كبير يوضع فيه الفراش ويسمى "اليوك" .

وعلى جانب جدار البيت المطل على الطريق ، توجد " القُصَّة " وهي من الحجارة الملساء والطين المعدّة لجلوس الجيران عند الأصيل والسهرة صيفاً .

وللبيت ـ كما أشرنا " دار " أي ساحة محاطة بتصوينة ، أي بجدار ، ولها بوابة ، وهذه الساحة تخصص للدواب ونشر الغسيل وفيها التبّان الملاصق للبيت حيث يحفظ فيه التبن، وأعلاف الماشية ومؤونة الفلاح من الحبوب المختلفة ، وله باب متصل بالبيت من الداخل، وفي سقفه فوهة تبقى مفتوحة في الصيف لتفريغ التبن منها الى داخله ، تسمى "الروزنة" .

وفي الدار ، توجد البئر التي تأتيها مياه الأمطار عن طريق سطح البيت . وفيها ، أيضاً ، "قُن" للدجاج ، وداخله "المقنة" حيث يبيض الدجاج .

وهناك الرواق ، في الدار ، أيضاً ، وهو مكان مسقوف له ثلاثة جدران يستخدم للطبخ والغسيل ،ويحفظ فيه الحطب للشتاء والفحم . أما روث المواشي "اللطع" ، فكانت تنقله النساء يومياً الى "الحواكير" لأستخدامه كسماد ، كما كانت تنقل النفايات الى خارج القرية خاصة الى وادٍ قريب .

بناء البيت ومواد البناء

كانت العادة السائدة ، حتى نهاية الحرب العالمية الأولى ، أن يتم اختيار موقع البيت في مكان قريب جداً من بيوت القرية ، خاصة بيت الأقارب ، وفي الغالب يكون ملاصقاً له. وبناء البيت عنصر هام ، فالفرد يعتبر ان من أعزّ أمانيه امتلاكه بيتاً خاصاً به ، وبناؤه بيتاً يحتاج الى إعداده وجهد متواصلين لتحضير مواد البناء .

وتوفير مواد البناء الأساسية محصور بالحجارة التي يبتاعها من " الحجّارة " ، وقد يقوم الفرد بتحضيرها بنفسه من مقالع الحجارة ، وهي غالباً من الحجر "الناري" و "السلطاني"، والأخير اكثر صلابة وكلفة ولكنه يصلح للنقش . وبعد الحجارة ، يشارك بعض أفراد القرية في تحضير الكلس ، اذ يقوم معهم بتجهيز " التون " الذي يبنى بشكل دائري ، وتوضع فيه الحجارة الكلسية التي تتحول الى الكلس بفعل النار المتولدة من اشعال الحطب.

كان الاتجاه العام جعل مدخل البيت الى الجهة الشرقية أو الجنوبية اذا كان ذلك ممكناً ، وبعد نقل الحجارة والكلس على الجمال ، يبدأ الفرد بحفر الأساس ، يساعده في ذلك أقرباؤه ، حتى وصول الصخر ، فإذا لم يتوصلوا الى الصخر فانهم لا يقدمون على البناء ، وعادة يستأجر الفرد بنّاء وعتّالين لرفع الحجارة في حين يقوم الأقارب والجيران ببقية العمل.

وعندما ترتفع الجدران يتركون فسحات للنوافذ والباب ويضعون فوقها " العتبات " أي حجارة طويلة فوق الباب أو النافذة كما يتركون في الحائط منافذ صغيرة " طاقات " لدخول الهواء والنور ، غير انه لم تكن هناك معرفة دقيقة حول أمور التهوية والنور اثناء البناء القديم التقليدي والمتشابه في هندسته ، وكانوا يتركون فتحات في الحيطان لتستعمل بمثابة خزائن ، وامكنة أخرى في الجدران لتعلق بها رفوف توضع عليها الصحون والطناجر.

السقف نوعان : العقد ، والقناطر ، والثاني اكثر شيوعاً من الأول ، اما بالنسبة للعقد ، فيقام بعملية الطوبار بالخشب الذي يجمع من البيوت ، ثم يوضع فوق الخشب أشجار ذات أغصان كثيفة الأوراق ، ثم يلي ذلك تراب مع ماء . ثم يرش الكلس حيث يكون البيت جاهزاً للعقد صباح اليوم التالي .

وفي اليوم المعد لعمل العقد ، يحضر ابناء القرية وتنصرف النسوة الى اعداد الأكل بعد ذبح الخراف ، في حين يبدأ الرجال بالعمل ، فيصطفون في صفّين كل رجل بجانب الآخر ، صف يبدأ من " الجبلة " ، حيث يجبل الطين أو الكلس ، حتى البناء ، وصف آخر يبدأ من مكان وجود " الدبش " ، أي الحجارة غير المصقولة ، وينتهي الصف عند البناء ، ويناولون بعضهم الطين الموضوع في " النقران " (الإناء الذي يستخدم لنقل الطين) حتى يصل الى البنّاء ، وكذلك ينقلون العقاد ، ويبقى الأهالي الذين يقومون " بالعونة " يعملون حتى ينتهي العقد فيجلس الجميع للأكل وسط الأهازيج المتعددة . وآخر عمل يقومون به هو تغطية ظهر العقد بالطين خوفاً من المطر " الدلفة " اما السقف الآخر ، فيختلف عن الأول إذ أنه لا يقوم على عقد ، بل تعمل قناطر ترتكز على أعمدة ، تكثر أو تقل حسب كبر البيت ، وتبعد القنطرة عن الأخرى قرابة المترين ، ثم توضع بين الواحدة والأخرى أخشاب غير متباعدة ، ويوضع فوقها " الرَكس " ، وهو عبارة عن أخشاب قصيرة متلاحقة ، ثم يوضع فوقها البلان ، ثم طبقة من التراب ، وفوق التراب الطين الأبيض منعاً لنفاذ المطر الى داخل البيت . وقد جرت العادة ان " يُطيّن " السقف سنوياً ، منعاً للدلف.

أشرنا الى ان البيوت كانت متلاصقة ، ويعود السبب في ذلك الى التخوف من السرقة . ومن النواحي الايجابية لهذا التلاصق ان الناس كانوا ينامون في " الاخصاص " على السطوح ، صيفاً ، تخلصاً من الحر ، فكانوا ينتقلون من سطح بيت الى آخر لقضاء سهرات جماعية يتخللها غناء ورقص وأحاديث وحكايا ، وتجدر الاشارة الى ان هذا الطراز التقليدي المتشابه كان ، بمجمله ، يتألف من طابق واحد .

2- المنزل الحديث :

أخذت البيوت الحديثة تظهر تدريجياً بعد الحرب العالمية الأولى . وقد امتازت عن البيوت التقليدية بأمور متعددة .

أ- حُسن اختيار المكان بحيث يكون مرتفعاً ومطلاً على مناظر طبيعية جميلة .

ب- الانفراد بحيث يكون غير ملاصق لبيت آخر .

ج- تعدد الغرف بحيث تتراوح بين ثلاث وخمس مع مطبخ وحمّام وبئر .

د- مراعاة أمر التهوية والنور ، وذلك بالاكثار من النوافذ .

ه- وجود طابقين في بعض هذه المباني .

و- الاستعاضة عن الطين بالاسمنت وهجر القناطر والعقد .

ز- استخدام الزجاج في صنع النوافذ بالاضافة الى الخشب .
ح- زرع أشجار وأزهار حول البيت اضافة للخضار .
ولقد قامت هذه الأبنية الحديثة على أطراف البلدة ، خاصة في الجهة الجنوبية المسمّاه "السّدر" ، والتي تمر بينها وبين البلدة القديمة طريق معبّدة ممتدة من طريق الناصرة - شفاعمرو ، بحيث أخذت المباني الحديثة تنتشر على جانبي الطريق .

الابنية العامة والطرق :

كانت الأبنية العامة محدودة وتكاد تنحصر بالأمور التالية :
أ- أماكن عبادة للمسلمين (مساجد) ، للمسيحيين دير وكنيسة أثرية .
ب- المدارس وهي ثلاث ، + الكتاتيب .
ج- بناية المجلس المحلي .
د- المتاجر " الدكاكين " .
اما الطرق الداخلية في صفورية ، فقد كانت مرصوفة بالبلاط منعاً لحدوث الوحل في الشتاء ، كما كان في وسط الشارع مجرى مرصوف للمياه ، وهذا يعني عدم وجود مستنقعات من المياه الآسنة . أما بالنسبة للمواصلات الخارجية فالبلدة مرتبطة بطريق معبدة تصلها بكافة المدن والقرى الفلسطينية عن طريقي شفاعمرو والناصرة . وهناك طرق ترابية خارجية تربط صفورية بالقرى المجاورة .

3- مقتنيات البيت واثاثه :

امتازت هذه المقتنيات ، حتى نهاية الحرب الكونية الاولى ، بالبساطة ، فكانت تشمل ، عَدا أدوات الزراعة ، الأشياء التالية :
أ- الفراش واللحف ، وكان عددها يزيد على عدد أفراد الأسرة تحسباً لمجيء ضيوف ، وكانت كل أسرة تقوم بعمل الفراش من الصوف واللحف من القطن ، كما كانت تستخدم للجلوس عند مجيء زوّار أو ضيوف ، ويحفظ الفراش في " اليوك " .
ب- صندوق خشبي لحفظ الملابس " السَّبَت " .
ج- أواني الطبخ ، كانت في غالبها ، أول الأمر ، من الفخار والنحاس الذي يُطلى بالقصدير وكذلك الملاعق كانت نحاسية وخشبية ، وتدريجياً شاع استعمال الأواني المصنوعة من الألمنيوم .
د- خوابي الزيت الفخارية .

هـ- الأطباق ، وكانت تعملها النساء من قش القمح والشعير وتوضع على الحصيرة أثناء الأكل ، وتوضع الصحون فوقها ، وقد شاع استخدام الصحون الصينية قبل نكبة عام 1948م .
و- النمليّة والعلاقة لحفظ الاكل .
ز- جرن للكُبّة " بلاطة " ومدَقّة .
ثم بدأت بعد الحرب الكونية الأولى تظهر مقتنيات جديدة سرعان ما انتشرت بسرعة ، ومن ذلك الأسرّة والخزائن التي لها مرايا والكراسي المتنوعة والطاولات و " الكنابيات " الخشبية وهي مخصصة للجلوس ، اضافة للحصر المصرية .

4- معتقدات متعلقة بالبناء :

أ- التّوهُم بأن هناك أمكنة مسكونة ، أي يقطنها " الجن والعفاريت " فكانوا يتحاشون البناء فيها ، واذا بنى أحد الناس بيتاً في مكان وشاع بعد ذلك ، انه مسكون (حسب اعتقادهم) فإن الناس يمتنعون عن شراء البيت إذا أراد صاحبه بيعه .
ب- كانوا يتحاشون الشروع في البناء في أيام الشؤم ، مثل الثلاثاء والأربعاء .
ج- اذا مات أحد العاملين في البيت أثناء البناء كانوا يتشاءمون من البناء كله ويعتقدون ان ذلك دليل النحس .
د- كانوا يضعون أغصاناً خضراء ونقوداً فضية تحت العتبة لاعتقادهم ان في ذلك الخير والبركة ، فاللونان الأخضر والأبيض رمز للتفاؤل ، بعكس الأسود .
هـ- وضع " الشبّة " والخرزة الزرقاء وقشرة البيض وحدوة الحصان فوق الباب لردّ "العين"، وبذلك لا يصيب البيت أي ضرر من عيون الحُسّاد .
و- قراءة قصة المولد النبوي قبل السّكن في البيت ، وذبح " الذبيحة " على عتبة البيت ، وذلك تبركاً وتقرباً من الله .

أغان متعلقة بالبيوت

شوف أبو فلان باني عمارة بانيها ما هي من حجارة
خشبها لولو وسن المنشارة مشرّع نوافذها للغرب دوما

* * *

طلّت عليّ من باب الشباك قالت مرحبا يللّي بحبك
قدّيش قالوا لي اني بسبك قصدن هالعدى تيخلفونا

* * *

يا دار أبو فلان دقّي والعبي رهجي فيك الأمارة وفيك قصورة البهجي
فيك أبو فلان ريت العز إلُو دايم كما دامت الأمارة في قصورة البهجة

والبهجة منتزه قريب من عكا ، فيه قصر فاطمة ابنة سليمان باشا الذي خلف احمد باشا الجزّار ، وفيه ، أيضاً ، قصر لآلِ خمّار .

تدبير البيت :

المرأة الصفورية قوام البيت ، ويسمُّونها ست البيت ، وربّة البيت . فإنها أم الأولاد ، ومربيتهم ، والطباخة ، والخياطة ، والغسّالة ، والمسعفة في الأمور الزراعية . ويسمّيها بعض الأزواج عن طريق النرفزة البريئة " وشواشة المخدة (1) " ، وقد أُعِدّت المرأة

(1) - أي الزوجة التي لا تبوح بمطالبها ولا تتكلم عن مشاكلها إلاّ عند وقت النوم ، أو تلك التي تزعج زوجها بقالها وقيلها .

الصفورية لهذه الحياة ، فلا تفاجئها الحياة الزوجية بمتطلباتها ، وواجباتها الثقيلة .

وتدبير البيت أمر يختلف بين بيت وآخر ، تبعاً للحالة الاقتصادية . ولن نتكلم عن الاعمال الشاقة التي تقوم بها المرأة في مواسم معينة : تربية الطفل ، الزريعة ، شهر المونة ، وغيرها من الاعمال التي تناط بالمرأة ، بل سنقصر كلامنا على " الروتين " اليومي ، الذي تقوم به المرأة يوماً بعد يوم .

لا تُحسد الصفورية المتزوجة على حياتها ، فإنها حياة قاسية شديدة ، ولكنها تتقبّلها بروح الصبر ، والتضحية ، لأنها معدّة لمثل هذه الحياة الصعبة . يبدأ

نهار المرأة قبل الفجر وأحياناً قبل الفجر بساعات . أحياناً هنّ لا يعرفن متى ينهضن من النوم . ساعتهُنّ النجم الغرّار ويسمّينه الغرّار لأنه يغشهن أحياناً . فإنهن يعتقدن أن الفجر ينبلج بعد ساعة ، وإذا به يطول ساعات ! وأحياناً ينهضن عند طلوع نجوم أخرى ، أو بالنسبة الى مواقعها في السماء (حسب الفصول) : الثريا ، الميزان ، ودرب التبانة إذا مالت الى الغرب .
يقوم الفلاح الصفوري مع انبلاج الفجر ، ويذهب الى عمله قبل شروق الشمس . وقلّ أن يخرج الفلاح الصفوري قبل " كسر الصَّفْرة " ، وكسر الصَّفْرة ترويقة بسيطة قبل الترويقة الحقيقية ، التي يكون موعدها حوالي العاشرة صباحاً سواء أكان الفلاح يعمل في حقله الخاص ، أو عمله الخاص ، أو أجيراً يعمل عند غيره من الناس . وكسر الصَّفْرة رغيف خبز بزيتون ، أو لبن ، ، أو قطعة جبن مكبوس ، وكثيراً ما يذهب الفلاح ذاته الى لجن العجين ويأخذ رغيفاً أو نص رغيف ، ويفتح الخزانة ، أو النمليّة ، ويأخذ شيئاً من الغماس يسهّل عليه ازدراد الرغيف ، ويذهب في حال سبيله ، وأحياناً أخرى ينتظر الفلاح أن تقوم امرأته ، فتضع له على الطبق أو الطبلية شيئاً من الأكل . يقوم الأولاد من النوم عند شروق الشمس أو بعده . وإذا كانوا قد تخطوا السابعة من العمر فإنهم يهتمّون بملابسهم وتدبير شؤونهم . وأمّا إذا كانوا دون الخامسة ، فإنها تهتّم بلبسهم وترتيبهم . وبعد ذلك تعدّ لهم الترويقة ، وقد لا تعدّ لهم شيئاً بل تقول لهم "دَهْنوا خبزة بلبنة وكلوا ، مش فاضيةِ أعمل لكم أكِلْ" وقد تضع لهم على طبق أو طبلية شيئاً من حواضر البيت : لبن ، جبنة ، زيتون ، زيت وزعتر ، أو مقلى بيض مقلي بالزيت. الترويقة ليست وجبة رئيسية إنما هي " كسرة صَفْرة " .
أول شيء تقوم به المرأة الصفورية بعد أن يكون الأولاد قد ذهبوا الى مدرستهم ، أو الى ساحة القرية ليلعبوا ، كَنْس البيت وترتيبه . بعد الانتهاء من كنس البيت وترتيبه ، تأخذ جرّتها الى عين القرية لتملأها ماء للشرب . في بعض البيوت آبار ماء ، يُجمَع ماؤها من مياه الشتاء . وهذه تصلح للغسيل ولأمور أخرى كشطف البيت أو سقاية الزهور .أما ماء الشرب فمن عين القرية . والذهاب الى عين القرية مرة في اليوم ، أمر لا يرهق الصفورية فإنها نزهة واستراحة . على العين تسمع الأخبار ، أخبار القيل والقال ، وأخبار الجيران والأقارب . ثم تعود لتحضر " ترويقة الرِجّال " ، وترويقة الرِجّال واجب لا تتهاون في إدائه . تطبخ له برغلاً ، أو تقلي له بطاطا ، أو تسلقها ، أو عجّة ، أو قد تطبخ له رُزّاً ، الأمر المهم هو أن تأخذ له خبزاً وزيتوناً (وهذه أساسيات) وشيئاً من الغماس . وتذهب الى مكان

عمله حاملة له الترويقة . وقد ترسلها مع ابنها أو ابنتها ، وتنصرف الى تهيئة غذاء الأولاد وأعمال أخرى يجب أن تقوم بها .
ليس لنا أن نساير الصفورية في جميع أعمالها الروتينية إنما نحب أن نقف قليلاً عند بعض أيام الأسبوع ، المعينّة لأعمال بيتية خاصة ، كيوم العجين والغسيل وتنظيف البيت ، وسنذكر نبذة عن المطبخ الصفوري .

يوم العجين :

الخبز قوام الحياة . يعيش الصفوري على الخبز وباقي الأطعمة يعتبرها أداماً يأكل به خبزه . فأن طبخت المرأة فإن الطبخ أدام ليؤكل بالخبز لا ليؤكل وحده . الاقتصار على أكل الطبيخ إسراف لا يستطيع الصفوري تحمله . الطعام الرئيسي الخبز . ولذلك على الزوجة أن تخصّص يوماً للعجين والخبز ، فإنها تصنع خبزاً يكفي لعدة أيام وفي الشتاء تصنع خبزاً يكفي لأسبوع ، لأن الطقس بارد فلا يصيب الخبز فساد أو عفن .
تبدأ عملية الخبز ، ولا سيما أثناء الشتاء ، في الليل السابق ليوم الخبز بتحضير الخميرة . وخميرة العجين خميرة كبيرة تضاف الى العجين فتعجّل في تخمره . تبقي المرأة قرصاً من العجين خميرة للعجنة التالية . تُخَبّأ هذه الخميرة الصغيرة في ترويجة الطحين .
تقوم المرأة يوم العجين بعد نص الليل ، وتبدأ بالعجين . تنخل طحينها أولاً وتذيب بالماء الفاتر ملحاً ، وتضيف إليه الدقيق . وبعد أن تجبله قليلاً ، تضيف إليه الخميرة وتدعكه دعكاً شديداً . ثم تضيف إليه قليلاً من الماء ، وتعيد دعكه (ويقولون " إتْلَجْنُه ") ، إلى أن ينشف قليلاً ويشتّد ، وكلما أحسنت عجنه ، كان الخبز أحسن . ثم تتركه قليلاً ليتخمر ، وليرتاح قليلاً ، ثم تعود إليه لتقرّصه أي لتقطعه الى أقراص صغيرة ، لتصنع من هذه الأقراص فيما بعد ، أرغفة من الخبز . تقطّع العجين الى أقراص أو كتل مستديرة ، وترش عليها الطحين ، لكي لا يلتصق القرص الواحد بالقرص الآخر . ثم انها تضع هذه الأقراص في لجن العجين . وبعد ذلك تأخذ قرصاً أو قرصين ، وتذهب الى الفرن لتربط دور (أو قد ترسل ابنتها) . وربط الدوّر على الفرن ، يعني حجز وقت معيّن للخبز ، ومن تأتي من النساء أولاً تخبز أولاً . الخبز في فرن القرية بالدوّر . أمّا إذا كانت تريد خبز عجينها في الطابون أو على الصاج ، فلا حاجة لربط دور . قبل أن يأتي دورها بقليل ، تحضر العجين الى الفرن فتعينها النسوة اللواتي يأتي دورهن بعدها . وكثيراً ما تذهب المرأة قبل دورها ، لكي تساعد صاحبة الدور قبلها في رّق العجين . في الفرن تتعاون النساء تعاوناً مدهشاً ، وبطريقة طبيعية .

وليس الأمر كما هو في عين القرية ، حيث يكثر الشجار ، وأحياناً "مكافشة" بالشعر .
تأخذ المرأة قرص العجين ، وترقُّه على بلاطة الفرن وتتعهّده بالرق والتدوير الى أن يصبح مستديراً ، فيتناوله الفران منها ، ويهلّه أي يتعهّده بيديه الاثنتين بطريقة بمطّ بها العجين ، إلى أقصى ما يستطيع مطّه ، وعندما يلحظ الفرّان ، ان العجين بين يديه لا يقوى على الهلّ، يضعه على الرّاحة ، ويدخله الى الفرن مدة دقيقتين أو ثلاث ، ويخرجه رغيفاً مقمراً، وهذا هو الخبز المرقوق .
أنواع الخبز الصفوري : أما من جهة خبزه ، فيكون خبز فرن ، وخبز طابون ، وخبز صاج . أما من جهة شكله ، فيكون مرقوقاً ، وهو الشائع والمفضّل ، ذلك لأنه يأخذ مكان الملعقة والشوكة . بالخبز يتناول الصفوري غْماسه مهما كان الِغْماس . وعليه يجب أن يكون الخبز رقيقاً ، طريّاً ، لَيّناً يتصرّف به عند تناوله الطبيخ كيفما شاء . فاذا كان الطعام سائلاً طوى اللقمة بشكل يستطيع معه غرف السائل . ويكون الخبز "كْمَاج" . "والكماجة" رغيف صغير مستدير سميك ذو طبقتين ، وهو غير مرغوب فيه ، لأنه لا يصلح لتناول الطبيخ به ، لكنه " فكاهة " للأولاد وتغيير عن المعتاد . فتخبز لهم الأم بعض أرغفة كماج تؤكل " سخنة " . ولكن إذا كان الطحين غير " حيّل " (أي غير لزج) لا يقوى على الهلّ فإن المرأة ترى نفسها مجبرة (كذلك الفران) على خبزه كماجاً . ويتفننون بخبز الكماجة ، فإنهن مثلاً يأخذن معهن الى الفرن ، قليلاً من الزيت والزعتر والسمسم ، (وبعضهن يضفن الفليفلة الحارة) ويطلين الرغيف العجين بهذا المزيج ، ثم يخبزنه ، وتسمّى مناقيش بزعتر .

يوم الغسيل :

وهذا يوم عصيب أيضاً ويأتي مرّة كل أسبوع . يبدأ الاستعداد ليوم الغسيل في اليوم الذي يسبقه . فإن المرأة تبدأ بتحضير الماء من العين أو من بئر الجيران ، إن لم يكن عندها بئر ماء . (ولذلك تفضل بعض النساء الرحلة الى عين القرية وهناك يبنين موقداً ويسخنَّ الماء ويغسلن هناك) . وهذا يقتضيها وقتاً وجهداً . ثم أنها تحضر صَفْوِتْها . والصفوة ماء الرماد المروّق . علّمهن الاختبار ان ماء الرماد المروّق ، يوفر في استهلاك الصابون ، والصابون غالي الثمن . والصفوة برميل كبير أو خواب فخارية ، يوضع فيها رماد الموقد ويضاف إليه الماء ويُترك الى أن يروق . ثم أنهن يصفّين الماء بالشاش قبل تسخينه .

تقوم المرأة ليلاً وتبدأ بالغسيل . تغسل أولاً الأبيض ، أي الأقمشة القطنية البيضاء لكيلا تُصْبَغ بالأقمشة الملّونة إذا كان صباغها " يحلّ " أي يذوب في الماء . والغسيل يغسل "زومين " أو ثلاثة أحياناً . الزوم الأول (أي الغسلة الواحدة) بالماء الساخن والصابون . ثم يعصر ويرمى به إلى لَجَن ثان ، فيه ماء ساخن وصابون . وإذا كان هنالك من يسعفها (جارتها أو أجيرة ، أو ابنتها) فإنهن يتقاسمن العمل : الزُّوم الأول لهذه ، والزوم الثاني لتلك . ثم يأتي دور الملَّون (أي الاقمشة المصبوغة) . وبعد الغسل ينقل الغسيل الى الحلّة، أو الدّست ، ويُغلي بالماء ، ويضاف إليه قليل من الصابون وورق الغار . ثم ينقل بعد غليه الى الأَلْجان ، للتنييل أي لغسله بماء النيلة . والنيلة تكسب البياض لوناً مشرقاً . ثم ينشر في الشمس ليجفَّ . وغسيل الصفورية نظيف جدّاً ، ورائحته لطيفة . بعد جفافه يُمَسّد ، ثم يُطوى ، ويوضع في الصندوق ، أو الخزانة ويضعون بين الثياب صرراً، فيها نباتات عطرية ، لتعطير الثياب ، أما الكوي فمستحدث .
وعندما تطوي المرأة غسيلها ، تضع جانباً كل قطعة تحتاج الى رثي وترقيع . وهذه أمور تقوم بها في ساعات الفراغ . والثياب التي تحتاج الى رثي وترقيع كثيرة !

يوم التعزيل ، أو التنفيض :

التعزيل والتنفيض ، ألفاظ مترادفة ، تعني الشيء ذاته : يوم تنظيف البيت . وهو يوم عصيب يأتي مرّة في الاسبوع . ونهار الخميس عادة هو يوم التنظيف ، لكي يكون البيت رتيباً نظيفاً نهار الجمعة ، لأن الجمعة يوم زيارات في القرية . يكون تنظيف البيت تنظيفاً عاماً شاملاً : كَنس أرض البيت ونفض الغبار عن الجدران والسقف وإخراج الأثاث لنفضه ، وتهوئته ، وتشميسه . ولذلك يجب أن يكون الطقس صباحياً مشمساً . لا يعزَّل البيت ، أو ينفّض ، يوم المطر ، أو يوم الريح ، أو يوم الغيم . يجب أن يكون النهار جميلاً دافئاً . تُخرج المرأة أثاثها الى القُصّة ، أو الى السطح لتنفضه ، وتشمّسه قليلاً . وفي هذه الأثناء تكون قد كنّست أرض الغرف ، وعسّفت جدران الغرف ، وسقوفها بالمعساف ، وهو غصن نخيل ، أو قصبة ، تربط بها خرقاً لتزيل نسيج العنكبوت ، أو الغبار العالق على الجدران . ثم إنها تشطف أرض الغرف اذا كانت " حجرية " والحجرية طبقة من الكلس والرمل والحصى ، تمزج ويطيّن بها أرض البيت ، أو اذا كانت مبلطة بالحجارة . ولكن أرض اكثر البيوت القديمة ترابية دلغانية . هذا السطح

الترابي الدلغاني ، يُمْرَح بماء الدلغان، ويُدلك بالمدلكة ، ويترك مدة ساعة أو ساعتين لينشف ، ثم يعاد الأثاث .
يستطيع المرء أن يقول ، بأن المرأة الصفورية ، امرأة تحبّ النظافة والترتيب . البيت الصفوري العادي نظيف رتيب . ولكن لا تخلو القرية من أناس فقراء يجمعون الى فقرهم القذارة وسوء التدبير .

المطبخ الصفوري :

وما دمنا نتكلّم عن عمل المرأة في البيت ، ينبغي لنا أن نذكر شيئاً عن المطبخ الصفوري . (نستعمل كلمة مطبخ هنا بمعنى فن الطبخ وتحضير الطعام وليذكر القارىء الكريم أن تعميمنا في هذه النبذة ينطبق على العامة لا الخاصة) .
ليس للفلاح الصفوري مطبخ ، وليس في هندسة البيت الصفوري مكان للمطبخ . فإن المرأة الصفورية ، تطبخ شتاء على الموقد ، أو الكانون ، الذي يتدفأون عليه في البيت ، وربيعاً وصيفاً وخريفاً ، تطبخ على موقد الصاج ، إذا كان عندها صاج ، أو على موقد تبنيه تحت القنطرة ، أو أمام الطوالة ، أو تحت توتة في قاع الدار . وتجلي الصحون وآنية طبخها خارج البيت ، أو داخله في لَجَن أو طشت ، بعد أن تكون قد فركت الآنية المشحّرة (أي التي علاها الشحار) برماد .
وليس في المطبخ الصفوري الأصيل ، كثير من الفن أو الصنعة . أكل الصفوري بسيط بدائي . ولم تكن مادة الطعام من خُضَر ، وفاكهة ، وقمح ، وزيت ، وحبوب ، غنية بالنشا ، وبالفيتامينات الطبيعية ، ولولا جودة المناخ ، ولولا الحياة القروية التي تبقي الصفوري خارج البيت اكثر نهاره ، نقول ، لولا هذه الأمور جملة ، لكانت صحة الصفوري تسوء كثيراً .
وكذلك ما يسمّى بعلم التغذية ، وما يسمّى بالوجبة الموزونة ، فأمور لا يعرفها الصفوري ، ولا تخطر له ببال .

المأكولات الشعبية

من الأمور التي لا تزال مراعاتها كبيرة ، المأكولات ، فأكثرها لا يزال على حاله كما كان قبل النكبة ، وان يكن بعض المأكولات قد قلّ تحضيره وبعضها قد زاد تحضيره ، وهي في مجملها شبيهة ، الى حد ، بالمأكولات الفلسطينية العامة ، وقد تختلف في النوع ضمن البلدة بالنسبة للأحوال المادية ، ويمكن أن تندرج في الاقسام التالية :

أ- الحلوّيات :

1- العوّامات : يعجن الطحين ويترك حتى يتخمر ، ثم تصنع منه قطع كروية صغيرة تقلى بالزيت حتى تصبح حمراء ، ثم تغمس في القَطِر .

2- الزلابية : طحين يعجن ويمزج بالسمسم المحمص واليانسون والمحلب وجوزة الطيب والقرفة ، ويعمل بشكل أطباق بعد أن يتخمر ، ثم يُقلى بالزيت الى أن يصبح أحمر ، ويغمس في القطر أو العسل عند الاكل .

3- البحتة : تصنع من الحليب والسكر والأرز ، تطبخ هذه المواد على النار .

4- الهيطليّة : وهي عبارة عن حليب وسكر ونشا ، يطبخ ثم يسكب في صحون ويوضع فوقه السمن البلدي وأحياناً ماء الزهر .

5- الخبيصة : تحضر من الخروب ، بحيث يدق ثم ينقع بالماء ، واخيراً يعصر ويُصفّى ، ثم يطبخ كالهيطلية .

6- البسيسة : وهي عبارة عن دبس خروب وطحين قمح وسمسم محمص وزيت .

7- معكرونة الدبس : وتصنع من العجين والسمسم على شكل أصابع وتطبخ بدبس الخروب .

8- الكعك الأصفر : يصنع في مناسبات الاعياد من الطحين والسمسم المحمص والقرفة والقرنفل والمحلب وجوزة الطيب واليانسون والعقدة الصفراء والقزحة ، يُرَق عجينهُ بالزيت ويؤخذ الى الفُرن ، يُؤكل مع اللبنة والبيض المسلوق .

9- الكعك الأبيض والمعمول : يعجن الطحين بالحليب والسكر والسمنة ويعمل بأشكال مختلفة ويترك الى أن يتخمر ، ومنه ما يحشى بالعجوة ومنه ما يحشى بالجوز والسكر ، ثم ينقل الى الفُرن ، وغالباً ما يعمل في الأعياد .

10- الملاتيت : تصنع من العجين الممزوج بالزيت والسكر والسمسم واليانسون والمحلب وجوزة الطيب ، ويؤخذ الى الفرن .

11- الهريسة : تصنع من السميد والسكر والماء والمستكة وعصير الحامض .

ب- المأكولات :

1- الرّز المفلفل : لحم خروف وأرز وصنوبر وسمن ، وهي اكلة مناسبات .

2- الشُشْبَرَك : تُقلى قطع لحم صغيرة وبصل ثم يُرق عجين غير مخمّر ، ويقسم العجين المرقوق الى قطع صغيرة بحجم فتحة فنجان القهوة ، ثم توضع كمية من اللحم والبصل داخل هذه القطع ويغلق عليها وتوضع في اللبن المغلي ، ثم توضع على النار حتى تنضج العجينة .

3- الرُشْتاية : يوضع حب العدس مع الماء حتى ينضج ، ثم تُرق رقاقة عجين وتقطع طولياً قطعاً صغيرة بسكين وتوضع على العدس ، ويضاف اللبن الى الطبخ أيضاً .

4- الكروش : تنظف الكرشة وقوائم الذبيحة ورأسها وأُذناها ، ثم تقطع الكرشة الى قطع صغيرة ، ويوضع في داخل كل قطعة قليل من الأرز وتخاط بخيط وتوضع في ماء داخل قدر على النار . أمّا الرأس والقوائم والأذنان فَتُسْلق وتؤكل .

5- المحشي : وهو إمّا محشي كوسا ، أو باذنجان ، أو بندورة ، أو بطاطا ، أو قرع ، حيث يزال اللّب وتحشى بالأرز واللحم وتطبخ مع مرق البندورة .

6- الملفوف : وهو إمّا ورق نبات الملفوف ، أو ورق الدوالي ، أو ورق نبات برّي يطلق عليه لسان الثور (لْسَيْنِة) أو ورق الزقوقيا حيث يحشى بالأرز ويطبخ .

7- المجدّرة : وهي نوعان ، مجدّرة عدس مع بُرغل وبصل وزيت ، ومجدّرة أرز وعدس وبصل وماء ، توضع على النار حتى يتبخر الماء في النوعين .

8- الأرز مع اليَخْنَة : وهي متعددة - يخنة بامية ، يخنة فاصوليا ، يخنة بطاطا ، يخنة قرنبيط ، يخنة ملوخية ، تطبخ مع اللحم والسمن والبندورة في قدر منفصل والأرز في قدر آخر ، وتخلط بالأرز في صحن كل على حدة .

9- المغربية : تعمل من الحمص واللحم والدجاج والقرفة والبصل والسمن ، يوضع الطحين المفتول الممزوج بالزيت والملح والخميرة والماء والبرغل

، والمصنوع على شكل حبات صغيرة جداً ، في مصفاة فوق طنجرة الطبيخ حتى ينضج مع الطبخة .
10- الباذنجان : ويدخل في عدة أنواع من الطبيخ ، منها ، (المحمر) وهو عبارة عن فلفل أحمر وباذنجان وبصل وزيت وماء ، والمشوي ، تضاف اليه الطحينة والثوم والحامض، والمنزّلة وتصنع من الباذنجان والحمص اليابس والبندورة ، والمطبّق ويصنع من الباذنجان المقلي والبندورة والبصل .
11- العجّة : وهي عبارة عن مزيج من الطحين والبيض والفلفل والبهارات وجوزة الطيب ، تُقلى بالزيت .
12- الدجاج : ويدخل في عدة مأكولات ، منها - المحمّر - وهو عبارة عن بصل وزيت وماء وفلفل وملح ودجاج وبطاطا يوضع في صينيّة بالفرن ، والمحشي بالأرز ، والمقلي .
13- الكُبّة : وتصنع من لحم الضأن الأحمر والبرغل والفلفل الاسمر والقرفة والفلفل الاحمر وجوزة الطيب ، حيث " تجبل " بالماء بعد دق اللحمة في البلاطة بالمدقة ، وأحياناً توضع في صينية بالفرن وتسمى الكبّة بالصينية ، واذا عملت مع البطاطا بدون لحم سميت كبّة بطاطا .
14- الفول المدمس والحمص : ويعمل كل على حدة بعد السلق والهرس ويضاف اليه الثوم والحامض والطحينة والملح .
15- اللحوم : تؤكل عَدا الطبخ مشوية على الفحم .
16- السميدة وبندورة : وتعمل من البرغل والبندورة والبصل والماء والزيت وتطبخ على النار .
17- التبولة : تعمل من السميدة النيّة ، مبلولة بماء فاتر ثم يضاف اليها الخس والبقدونس والنعنع الأخضر والبصل الأخضر والحامض وزيت الزيتون مع بهارات ، تخلط هذه المواد مع بعضها البعض ثم تأكل .
18- سميدة وحمص أو فول : وتعمل من البرغل والحمص أو الفول والبصل والزيت والماء، وتطبخ على النار .
19- المدقدقة : وهي عبارة عن فلفل أحمر وبصل ، يدقان بالجرن " البلاطة " ويوضع عليهما زيت الزيتون والحامض .

ج- المقالي :

ويدخل فيها الباذنجان ، القرنبيط ، الكوسا ، البندورة ، البطاطا ، الدجاج ، السمك ، ومن المأكولات التي تصنع من السمك " المقلوبة " وتتألف من

السمك والأرز والبصل والزيت ، و" الطاجن " وتتألف من السمك والطحينة والبصل .

د- البقول البرية المستعملة في الطبخ :

العلت ، الخبيزة ، اللوف ، المُرّار ، العكّوب ، الشومر ، الهليون ، الجعدة ، لْسَيْنِة (لسان الثور) ، زقوقيا ، عِوّينة ، حميض ، سلق ، قرصعنّة ، فَرْفَحِينة.

ه- المكابيس :

الباذنجان ، الخيار ، الفقوس ، اللفت ، الزيتون ، ورق الدوالي ، الجبنة ، اللبنة بالزيت ، الفلفل ، بندورة خضراء .

و- المربيات :

المشمش ، السفرجل ، العنب ، التوت ، البلح ، التين ، القرع ، البروميا ، البرتقال .

ز- الخبز :

وهو ، في غالبه ، من القمح ومن الانتاج المحلي ، ويصنع بعضه من الذرة البيضاء على نطاق ضيق وهو وقف على الفقراء . والخبز نوعان : المرقوق ويعمل على الصاج وفي الطابون ، و " الكماج " يخبز بالفرن ، وكان الفران يتقاضى خبزاً وأحياناً نقوداً لقاء عمله، أما وسائل الطبخ والغسيل ، فكانت ، في الغالب ، تقوم على نار الحطب في "الموقدة" التي تكون عادة في ساحة الدار بمكان مسقوف . وقد شاع استعمال "البريموس" ابّان الانتداب البريطاني ، وهو يعمل بوقود الكاز ، إذ لم يكن آنذاك غاز أو كهرباء ، كذلك استخدام الكاز في الإضاءة ليلاً .

ح- الفواكه :

معظمها كان ينتج محلياً واهمها : التين ، العنب ، التفاح ، المشمش ، الصبّار ، البرتقال ، البطيخ ، الشمام ، التوت ، الرمان ، السفرجل ، العنّاب .

ط- حفظ الطعام :

كان المتبقي من الطبيخ يحفظ لليوم التالي في صحون على " علاقة " وهي عبارة عن مربع من الخشب طوله متر وعرضه متر تقريباً بلا جدران وغير متلاصق الاجزاء ، تربط زواياه الأربع بحبال تلتقي في نقطة ثم تربط بحبل متدلّ من السقف ، بحيث تكون مرتفعة عن سطح المصطبة حوالي المترين في إحدى زوايا البيت ، ولقد تدرج السكان باستخدام

"النمليّة " لحفظ الطعام ، وهي عبارة عن صندوق من الخشب له باب وجدرانه مكونة من شريط دقيق المسام يُسمّى " شريط مُنخل " وداخل الصندوق طبقات لوضع صحون الطبيخ . وتوضع النملية في المطبخ .

أمثال مرتبطة بالأكل :

وهذه الأمثال كانت متداولة في صفورية قبل النكبة ، ولا تزال على ألسنة أهلها حتى اليوم .

مفتاح البطن لقمة ومفتاح الشر كلمة
كُل على ذوقك وألبس على ذوق الناس
مُر على عدوك جوعان ولا تمر عليه عريان
أكل الرجال على قَد فعالها
الشبعان بوكل أربعين لقمة
اطعم التم بتستحي العين
أكل الرجال على الرجال دين وعلى الانذال صدقة
ضيف المشوم بعد الأكل بقوم
ضيف المسا ما إلُو عَشا
اكْلَة واتْسَمَّت عليك كُل وبحلق عينيك
عند البطون بتضيع الذهون
اللي بوكل على ضرسه بنفع نفسه
بالقوت ولا تموت
قرقط ولا تبات جوعان
بطنه إلُو عينيه مش إلُو

الصناعات اليدوية

لا تختلف الصناعات الشعبية اليدوية في صفورية عن غيرها من الصناعات اليدوية في القرى الفلسطينية ، وقد كانت تجري هذه الصناعات في الغالب في البيوت لتلبية حاجات السكان ، والقليل منها كان يباع ولكنه محدود . وأهم هذه الصناعات :

1- صناعات خشبية : منها ما هو متعلق بالأدوات الزراعية كالعود والنير ، ومنها ما هو لأغراض زراعية أخرى ككراسي الزيتون والسلالم ، أما الصناعات الخشبية الأخرى فهي أثاث منزلي ، كالخزائن والكنابيات والطاولات وكراسي القش والنمليّات والطبليات (طاولات قصيرة القوائم للعجين) ومَدَقّات الكبة .

2- صناعات حجرية : تقوم على نقش الحجارة للبناء ، ويستعمل الحجّار - المهدّة والإزميل والمطرقة والشاحوط والزاوية والذراع والمتر ، كما تقوم على صنع أجران الكبّة " البلاطة " وصنع الجاروشة لجرش العدس والفول والحمص والبُرغُل .
3- صناعة السلال : من القصب ، وتستخدم السلال في جمع الثمار ، وفي البيوت لحفظ الخضار والفواكه لفترة قصيرة .
4- صناعات من القش وأوراق النخيل : وتقوم بهذه الصناعات سيدات البيوت أثناء الفراغ ، فيعملن الأطباق التي تستعمل اثناء الأكل و" القفران " لحفظ التين اليابس "القُطّين" ، و "المشاتيل" لينقل بها روث الحيوانات على الدواب الى الحواكير للتسميد ، و"قفاف معاصر الزيت" .
5- غزل الصوف وصناعة الكنزات : لم تكن الخيوط الصوفية الصناعية الحديثة معروفة قبل نهاية الحرب العالمية الأولى ، فكان الفلاحون يغزلون أصواف الغنم بواسطة المغزل اليدوي ، ثم تنسج النساء الخيوط المغزولة بالصنارة ، لكن الأمر تبدل عندما أصبحت الخيوط الصوفية الصناعية معروفة ، فبات عمل النساء في أوقات الفراغ منحصراً بعمل الكنزات من هذه الخيوط .
6- صناعة المكانس : المكانس التي تستعمل في البيوت تصنعها النساء من نبات " الذرة " ومن القصب ، كما كُن يصنعن مكانس من نبات البلاّن لتنظيف حظائر الحيوانات والاصطبلات و" دار البيت " أي ساحته ، والشارع القريب من المنزل .
7- صناعة الصابون : كانت هذه الصناعة ناشطة بفضل توفّر الزيت بكثرة ، وكانت تزيد على حاجة السكان . أما طريقة الصناعة التي كانت متبعة ، فهي تقوم على غلي الماء ثم تضاف اليه " القطرونة " ، الصودا الكاوية ، حتى تذوب ، ثم يضاف اليها الزيت "العَكَر" وهي على النار مع استمرار التحريك ، ونسبة الصودا حوالي 30 بالمئة ، ثم يوضع قليل من زيت " الغار " لتصبح رائحة الصابون عطرية . وبعد أن يتجمد الزيت يرفع عن النار ويسكب على الأرض في قوالب خشبية ثم يقسم بعد جفافه الى ألواح ويحفظ منه ما يكفي لسنة ، ويستعمل في غسل الثياب وفي الاستحمام .
8- صناعة الجلود : يُملّح جلد الحيوانات بعد ذبحها وينظف بعد أن يجف وتصنع منه عدة أشياء أهمها :
أ- الفروة : حيث تخاط الجلود على شكل معطف كبير وتبطن من الخارج (جهة الجلد) بقماش ، وتُلبس أيام الشتاء بحيث تكون البطانة من الخارج والصوف من الداخل .

ب- السلخ (الجاعِدْ) : وهو فراش صغير ، يوضع تحت الجالسين بجانب الموقد أيام الشتاء وفوق الفرشة عند النوم ليساعد على الدفء ، وهو يصنع من جلد الضأن .
ج- السقا (شِكْوة) : وهو على شكل قربة تعمل من جلد الماعز بعد إزالة الشعر عنه ، وتستعمل لخض اللبن ، وهناك نوع أصغر يستعمل لحفظه حتى يجمد .
د- القربة : وتصنع من جلد الماعز بعد تنظيفه ، وتستخدم لنقل الماء ، وكان ذلك قبل أن يشيع استعمال الجرار والتنك .
ه- الشرعة : تصنع من جلد البقر ، وتستعمل في وصل نير الحراث مع عود الحراث .
و- الجراب : يصنع من الجلد ، ويوضع فيه خبز الحرّاث كي يبقى طريّاً .

الصناعات الغذائية البيتية

الهدف منها تأمين تموين سنوي للمنزل من الفواكه والخضار المحفوظة وهي :
أ- القطين والشريحة : وهما من التين الذي يجفف في " المساطيح " وينقل بعد أن يجف الى البيوت ويحفظ في " القفّور " .
ب- الزيتون الأخضر : يختار الناس حب الزيتون الكبير ، ثم يشقق بسكين أو يُدق بحجر، ثم يوضع في الماء والملح " طوشة البيضة " ويوضع معه الفلفل الأخضر والليمون الحامض.
ج- الزيتون الأسمر : يجمع حَب الزيتون الكبير ، ثم تدق الحبات دقاً خفيفاً بمدقة الكبة ، ثم يوضع في لجن ويوضع عليه ملح حتى ينضج وتزول مرارته ، ثم يوضع في أوان فخارية " حالوب " أو " مرتبان " زجاجي ، ويوضع معه ماء وقليل من الملح وقليل من الزيت .
د- المكابيس : مخّلل الفقوس والخيار والبندورة الخضراء واللفت والباذنجان ، توضع في "المرتبان" ويضاف اليها الماء والملح وقليل من السكر ، اما الباذنجان فيُحشى أولاً بالفلفل والثوم .
ه- ميّة البندورة : تعصر البندورة الطازجة الحمراء ويصفى العصير بالمنخل ، ثم يُغلى على النار حتى يجمد قليلاً ، ثم يوضع في أوان ويعرض للشمس حتى يجمد ، ثم يعبأ في "مراتبين " لاستعماله في الطبيخ شتاء .
و- المربيات : تشمل الدبس من الخروب والتفاح والسفرجل والعنب والمشمش ، حيث تطبخ مع السكر حتى تنضج .
ز- صناعة الألبان : حيث تستخرج من الحليب المواد التالية :

1- الجبن : يسخن الحليب قليلاً ، ثم توضع فيه " المسوة " ، وهي مادة مخثرة تؤخذ من معدة حمل رضيع ، وتوضع داخل قطعة قماش وتحرك ، وبعد فترة قصيرة يتخثر الحليب فينفصل الجبن عن المصل ، وتعمل الأقراص ثم تملح .
2- اللبن الرائب : يسخن الحليب حتى يغلي ثم يترك حتى يصبح قليل الحرارة ثم تضاف اليه " الروبة " ويُغطّى لمدة ثلاث ساعات .
3- السمنة البلدية : تؤخذ من اللبن الرائب بعد خضّه بالخضاضة ، ثم تؤخذ الزبدة باليد عن سطح اللبن وتحفظ .
4- اللبنة : يوضع اللبن الرائب في كيس من الخام الأبيض ويعلق الكيس حتى تنزل المياه منه ويجمد الباقي داخل الكيس ، ثم يوضع في وعاء ويوضع عليه الملح ويعمل منه كرات بحجم حبة التين ويوضع في مراتبين مع زيت الزيتون حيث يحفظ كمؤونة للشتاء .
صناعة الكلس والفحم النباتي :
الأول في التون والثاني في " المشحرة "
الأدوات الموسيقية الشعبية :
وهي الشبابة والمجوز واليرغول ، وتصنع من القصب أو من ماسورة نحاسية ، ويتم ثقب هذه الأدوات بعدة ثقوب .

التطريز :

تقوم النساء بتطريز الثياب و " القراني " والمخدات والشراشف بالخيطان الحريرية أو خيطان البريسم بواسطة الابرة اليدوية ، ويجري ذلك بعد نقل الرسمة على القماش . وهناك أنواع من " القُطَب " ، منها " القدسية " والاجور والتيج والتحشاية واللف ، وتسمي النساء العروق " الرسمات " بأسماء منها " عرق التفاحة " و" عرق الورد " و "عرق الدالية" ، وتكون رسمات الثياب على الصدر وأطراف الاكمام وعلى أسفل الفستان، وعلى أطراف الشراشف . وهناك تطريز بواسطة الصنارة ويسمى " التخريج " ، وغالباً ما يكون للشراشف والقراني والمخدات ، وينحصر بالاطراف ويكون على شكل ثقوب تعطي رسوماً معينة .
ومن أمور التطريز " أويا " المنديل ، غطاء الرأس التقليدي للمرأة الشعبية ، أين ذهب ، وهل هو في طريقه الى الاندثار النهائي مع المد الهائل للباس الغربي ؟
أم هناك - كما يبدو من بعض المظاهر - محاولة لإحيائه مرة أخرى ؟

هذا المنديل الذي تغنى به الشعراء والمغنون ، ما هي قصته من أين جاء وإلى أين هو ذاهب؟
بعد تنقيب في المراجع ، وعبر استقصاء ميداني دءوب نحكي الحكاية من أولها الى آخرها في بحث شائق .
إن فن الأوية هو جزء أساسي من " أشغال الإبرة " التي هي واحدة من الفنون التي استعان بها الانسان منذ القدم للتعبير عن أحاسيسه الجمالية .
من الكنعانيين الى الآن :
وقد وجدنا عند قدماء الكنعانيين ما يشبه اشغال الابرة ، فقد كان النسّاجون يقومون بصنع أنسجة موشاة بصور ملونة ، ووجدت أقمشة كتّانية موشاة بأسلاك الذهب في الحفريات ، وهناك بعض من القطع المشغولة بالإبرة ، وجدت في حفريات المقابر الأثرية كانت تعلق على جدران القصور في منازل الأشراف .
كما وجدت عيّنات من المنسوجات المتانيّة تشبه الحرير .
وفي أحد قبور العصر اليوناني الروماني عثر على رداء من الكتان المذهب مُحَلّى بمناظر من الأساطير الدينية . لكن ما هي " الأوية " !
تعتبر الأوية - كما تقول المصادر - نوعاً من الدنتلة الرقيقة التي تستعمل ككلفة لأطراف الأشغال المصنوعة من النسيج كالفساتين والقمصان الداخلية والمناديل ، والإيشاربات . وهذا ينسب بالدرجة الأولى الى الأتراك ، ففي الأناضول نجد صنعة اختصت بها هذه البلاد ، وهي ما يُسمّى في اللغة التركية " أويا " وذلك أن تأخذ المرأة التركية خيطاً دقيقاً جداً من الحرير بألوان مختلفة بحسب الأزهار التي تريد تطريزها بإبرة دقيقة ، وتجعل منها شريطاً طويلاً تزين به عنقها ، وهذه الأوية صغيرة جداً ، وحجم كل زهرة في الشريط بقدر حجم حبّة البسلة على الأكثر ، ونرى فيه من الورد والفلفل الأحمر بأزهاره وثمره والليّلكي والبنفسج وما خلق الله من الأزهار ، وتحفظها يد المرأة التركية الماهرة في شريط حريري لا تفنى أزهاره إذا هبت الريح الشديدة ، في برد الشتاء في الأناضول .
ويبدو ان فن الأوية - قد انتشر من تركيا الى الأقطار التي فتحها العثمانيون بعد سقوط السلاجقة في القرن الرابع عشر الميلادي ، وآلَ الحكم في آسيا الصغرى الى آل عثمان الذين استطاعوا الاستيلاء على القسطنطينية حتى بلغ ملكهم وادي الدانوب في الشمال والجزيرة العربية والعراق في الشرق ، وإلى الشام ومصر والحجاز وساحل البحر الأحمر اليمني والافريقي في الجنوب ، وبذلك اتصلوا بالعالم العربي اتصالاً وثيقاً ونشأ على يدهم الطراز التركي الاسلامي الذي امتاز بتأثير الأساليب الفنية البيزنطية

المتأخرة من ناحية والطراز الفارسي والأساليب السلجوقية من ناحية أخرى
.
تاريخ منديل الرأس :
ولعلنا نتساءل الآن عن تاريخ منديل الرأس ، وذلك لأنه كما تؤكد المصادر ، قد استحوذ على فن الأوية في بلادنا ، أو بتعبير آخر ، لأن فن الأوية المعاصر في بلادنا قد تقلص في نطاق منديل الرأس ، الذي يطلق عليه اسم " القرطة " في بعض الأقاليم واسم " الحردة " في البعض الآخر ، وفي بعض المحافظات يطلقون عليه اسمه الذي اشتهر به " المنديل " أبو الأوية
.
ويستخرج الباحث دلالات ثلاث لاستعماله :
دلالة دينية ، وثانية اجتماعية ، وثالثة دلالة جمالية ، فقد التزمت المرأة في العصر الاسلامي بتغطية رأسها عملاً بتعاليم الدين على أساس أن شعر المرأة عورة فحرصت النساء على تغطية رؤوسهن . أما بالنسبة للدلالة الاجتماعية فإن الزي القومي ، وحتى في نطاق الشعب الواحد ، وفي العصر الواحد ، لا يكون بنفس المستوى من حيث الخامات المستخدمة في تنفيذه، ولا من حيث مستوى الجودة في التنفيذ ، ولا من حيث خط "الموضة " الذي يتطلب فيه ذلك الزي .
وهذا الكلام ينطبق اكثر ما ينطبق على منديل الرأس سواء في الماضي أو في الحاضر ، لقد استخدمت المرأة الشرقية بوجه عام ، والعربية بشكل خاص منديل الرأس ، ولكن المنديل اتخذ احجاماً متباينة من مستوى اجتماعي الى آخر . ولقد عمدت الطبقة الأرستقراطية عبر العصور الى استخدام الأوية في المنديل بمستويات فنية متباينة .
ونجد الطبقات الفقيرة المتوسطة قد مالت دائماً الى البساطة ورخص الثمن . بينما عمدت الطبقات الأرستقراطية الى الانتقاء والى تكلفة المنديل بالخامات التي تصل في بعض الحالات الى استخدام الأحجار الكريمة وبشغل الابرة الذي يحتاج الى جلد ووقت طويل ودقة متناهية .
أما الألوان فقد مالت الطبقة الفقيرة الى الألوان الزاهية أما الطبقات الأكثر يسراً فإنها تميل الى الألوان الهادئة ، وقد استمدت الأوية أشكالها وألوانها من الزهور الطبيعية ، وحيث ان الطبقات الشعبية تتمسك بالتقاليد لمدة أطول ... فإننا نجد ان المنديل الأوية يكاد ينحصر استخدامه بين نساء الطبقات الفقيرة والمتوسطة .
اسماء الأوية المختلفة :

أطلق على الأوية عدة أسماء حتى يميزوا الغُرزة عن الأخرى ، فمثلاً توجد غُرزة الزرافة وهذه الغرزة استخدمها الاتراك واليونانيون ، ثم الطبقة العربية الراقية . ثم غرزة المكوك ، ويستخدم عدد "2" مكوك من العظم أو الخشب ، وهو ما يستخدم في أوروبا وايطاليا في عمل قماش الدانتيل اليدوي وهذا النوع يستخدم عند العرب حتى الآن ، ولكن بطريقة مبسطة .
" المقصقص " : وهذه أشهر طريقة عندنا ومعظم الفتيات يفضلن هذه الطريقة ويستخدمنها ... وتتدرج تحتها عدة أسماء تصنع بأشكال مختلفة مثل : السبع أشكال - لسان الطير - مَنَشات - ورق الدوالي - جَدْلَة كف العروس - الغزال المِلْتِفت - أقراص النعنع - الشمعة المطويّة - حَب الطُرمس ، ثم أوية الدبوس وهي نوع من الأوية تستخدم فيها الاسلاك اللينة ، ثم توجد أنواع من الأوية تنفذ بإبرة الكروشية .
لقد استهوى المنديل وما كان له من تأثير جمال ، كثيراً من الزجالين والشعراء والمغنين والرسامين ، ذلك لأن المرأة العربية تفنّنت في ربط المنديل بحيث يتناسب مع شكل وجهها، ولون شعرها . فلم يكن المنديل في جميع الحالات يغطي الشعر كله . بل إن بعض النساء كُنّ يغطين بالمنديل جزءاً من الشعر مع الإبانة عن خصلة منه ، مما كان يضفي جمالاً على وجه المرأة . ولقد كانت الفتيات يتباهين بما لديهن من مناديل وبما فيها من "أوية " وكانت البنت قبل الزواج تبدأ في الجهاز وبضمنه مناديل الرأس ، وكان له في نظرها مكانة هامة من بين ما كانت تجهّزه لزواجها من ملابس متباينة ، ولا تزال هذه التقاليد مرعية في قُرانا .
من أجل الحفاظ على فن أصيل -
إننا لكي نضطلع بتطوير فن الأوية ، لا بُدّ لنا من الوصول الى العاملين في هذا المجال ، والاتصال بهم اتصالاً مباشراً ، والوقوف على أحوالهم ومعرفة الظروف التي تحيط بهم ، وحيث ان اغلبية القرى استحوذت على هذا الفن دون المُدن وجدنا ان تعلم هذه الصناعة يتم في نطاق الأسرة عن طريق الأم أو الأخوات الكبيرات أو من الجارات .
والآن أليس من المفيد أن نقوم بعمل مدرسة مثل مدرسة زغرب بيوغسلافيا فيها اجتمعت أنواع الفن الشعبي ، وقامت الدولة برعايتها والحفاظ عليها حتى أصبحت من أهم المدارس التي تحافظ على الفن الشعبي !؟.
اننا نودّ أن يكون لنا مدرسة مثل هذه المدارس والمعاهد الحرفية ، لأنها هي وحدها القادرة على حماية فنوننا الشعبية من الاندثار .

الزواج

من النواميس المقررة والتي لا مفرّ منها أمر الزواج ، إذ عدا عن العاطفة الجنسية وعَدا عن انجاب الأولاد ، فوجود المرأة في البيت ضرورة لا غنى عنها مهما كانت :

" لو كانت إيدها بتسخم الحيط إسمها مرة في البيت "

" مَرَتُه أبقى له من كل الناس "

أما بالنسبة للبنت فالإهتمام بأمر زواجها ملحّ اكثر من الاهتمام بزواج الابن ، والسبب عائد للحفاظ على الشرف والعرض ، إذ من العار ان تحب :

" دوّر لبنتك قبل إبنك "

" البنت إما جبرها وإما قبرها "

" البنت يا جيزتها يا جنازتها "

وأمر الزواج في الغالب يقرره الأهل ، وقلما يكون للشاب أو الشابة دور ، فأهل العريس هم الذين يقررون الوقت الذي يسمحون فيه للابن بالزواج ، ويرغبون في أن يتم الزواج في حياتهم ، ويتمنون أن يروا أحفادهم :

" ابن الابن أعز من الابن "

وهم الذين يختارون العروس مراعين اعتبارات عديدة ، منها :

أ- تفضيل الأقارب حفاظاً على توطيد الرابطة العائلية وشد أواصرها ، ومتى كانت العروس من الأقارب فهي تتحمل وطأة حمويها وتفهمهما :

" يا ابن العم لا توخذ غريبة ردايدنا ولا القمح الصليبي "

" بنت العم تصبر على الجفا أمّا الغريبة بدها تدليل "

" عليك بالطريق ولو دارت وبنت العم ولو بارت "

" العورة لابن عمها "

" ما يحن على العود إلاّ قشره "

ولإبن العم الأفضلية المطلقة :

" ابن العم بنزلها عن الفرس "

أمّا أم العريس فتفضل أن تكون العروس من أقاربها هي ، فهي تميل دائماً لإختيار ابنة أختها أو ابنة أخيها ، لكن ابنة العم هي المرجحة ، وفي حال تعذر الأمرين ، فمن بنات الحمولة على الأقل ، لكن هذه المواصفات أخذت تضعف تدريجياً منذ الثلاثينات .

ب- المكانة الاجتماعية لأهل العروس : يراعي أهل العريس ، خاصة والده ، اختيار فتاة (بنت حَسَب ونَسَب وأصل) ، أي فتاة يكون لأهلها مركز اجتماعي في البلدة وشأن :

" ما بجيّد الواحدة إلاّ أصلها "
" خذوا الأصيلة ولو إنها على حصيرة "
ج- الغنى والثروة : يفضل الأهل اختيار فتاة غنية وذلك لضمان مستقبل الابن ، وقد تكون ، أحياناً ، غير جميلة فيتهافت الخطاب عليها بسبب ثروتها :
" بنت الغني غنية وبنت الفقير فقيرة "
د- قدرة الفتاة على العمل الزراعي : وهذا شأن مهم على اعتبار انها ان كانت نشيطة فستكون دعامة اقتصادية لزوجها ، وفي ذلك ضمان لمستقبلهما .
ه- الجمال : وله دور في الاختيار ، وأحياناً عندما يتزوج الشاب من ثريّة غير جميلة يقول المثل السائر :
" يا ميخذ القرد على كثر ماله بروح المال ويبقى القرد قباله "
و- الأخلاق : وهذا يعني أن تكون شريفة بالمفهوم الشائع ، لم تحب أحداً ولا تزال عذراء بكراً :
" ما باس ثمها غير إمها "
وسيرة كل فتاة معروفة في البلدة ، كذلك سيرة أمها وأنسبائها :
" إكفي الطنجرة على ثمها بتطلع البنت لأمها "
" خذوا البنات من صدور العمات "
ز- العلم : أصبحت الفتاة المتعلمة نسبياً ذات شأن ، خاصة في الأربعينات ، وبات العلم ميزة تؤخذ بعين الاعتبار .
ويراعي أهل العروس اعتبارات مشابهة تقريباً ، يمكن أن تتركز حول الأمور التالية :
1- صلة القرابة .
2- الثروة ، وغالباً ما يفضلون " الوحداني " أي من لا أخوة له .
3- العلم .
4- المكانة الاجتماعية .
5- الأخلاق .
6- الشكل .
على أن الحب كان له ، أحياناً ، دور في قيام زواج ، وكان لا بُدّ من الرضوخ له رغم امتعاض الأهل ، إذ ذاك يستسلم الوالدان لإرادة المحبين :
" حب حبيبك ولو كان عبد أسود "
" حب مين تحب ولو كان قرد ودب "

ويذهب المثل الى دور الوساطات في صفقة الزواج ، وان المسألة ليست حظاً :

" كل شيء نصيب إلاّ الجيزة تسبيب "

على ان دور الوساطة ممقوت ، خشية العواقب من عدم الوفاق :

" إمش في جنازة ولا تمشي في جوازة "

مراحل الزواج :

1- من تداول الأهل الى الخطبة :

بعد أن يكون الأهل قد ارتاؤا ان زواج أحد أبنائهم قد أصبح ضرورياً ومناسباً ، يجري التداول بين أفراد الأسرة ويسر الشاب لأمه أو لأخته بمن يفضل . وبعد أن يستقر الرأي ، تذهب الأم أو الأخت في زيارة استطلاعية دون أن تبوح بالغرض وتسمى هذه الزيارة ب(نقد العروس)، حيث تجالس (الناقدة) الفتاة المقترحة وتراقب شكلها عن كثب كما تراقب حديثها واناقتها ونظافة بيتها ، وتعود الى البيت للتداول مجدداً ناقلة انطباعاتها ومعطية فكرة عن سنها . وكانت الفتاة المفضلة ، عادة ، هي صغيرة السن بحيث تكون بين الرابعة عشرة والسابعة عشرة :

" يا ميخذ الصغار يا غالب التجار "

" الصغيرة بطبّعها على إيدي "

أما سن العريس فغالباً ما يكون بين السابعة عشرة والعشرين ، وإذا كان وحيد أهله ينشط الأهل لتحقيق الزواج في سن مبكرة قدر الامكان ، فقد يكون في الخامسة عشرة أو السادسة عشرة ، لكن التحول بدأ منذ أواخر الثلاثينات نحو التأخر بسبب العلم .

2- جس النبض :

بعد عودة (الناقدة) ، يجري التداول ، فاذا ما استقر الرأي تذهب أم العريس أو أخته الى بيت العروس وتكاشف أمها بالامر بشكل سري ، فتقوم أمها باطلاعها واطلاع والدها ، وتعود أم العريس الى بيتها على أن تكرر الزيارة في موعد متفق عليه ليجري التداول والنقاش بين أهل العروس ، وغالباً ما يكون الرأي للوالدين .

إذا تمت الموافقة ، يقوم والد العروس باستشارة أقاربه لئلا يكون هناك اعتراض . وإذا حصل ، يُبذل جهد لتذليل أية عقبة . وتعود أم العريس في الموعد المحدد لأخذ الجواب . فإذا كان ايجابياً تعود مطمئنة مرتاحة ، وفور وصولها الى بيتها يسألها أحد أفراد أسرتها قائلاً : " قمحة ولاّ شعيرة " فإذا قالت : " قمحة " هلل من في البيت وعم الحبور ، وتجدر الاشارة الى انه

في الاربعينات أصبح بعض الرأي للفتاة ، وان كان بقي للأهل دور كبير في ارغامها في بعض الحالات ، وغالباً ما كان رفضها ناتجاً اما عن حب غير معلن وإما لكبر سن العريس ولو كان غنياً .

3- قطع الحكي :

يستمر التداول بعد ذلك بصورة سرية ، ويقوم والدا العريس بزيارة ليلية لأهل العروس ، ويصارح والد العريس أهل العروس بالأمر ، ويكون الجواب عادة " لنا الشرف ولكن علينا مشورة العروس ، وسنرد الجواب بعد يوم أو يومين وإلاّ فقلة الجواب جواب " . ومتى ارسل الجواب الايجابي يتفق على زيارة علنيّة رسمية .

4- الطلب الرسمي :

بعد الموافقة على الطلب الرسمي العلني ، يتفق الجانبان على وقت محدد للخطبة ، وقبل موعدها المحدد ، تقوم أم العريس واخواته بتحضير لوازم الخطبة ، وهي عبارة عن " علبة خطبة " فيها أدوات الزينة ، ثم المحابس والخواتم والمصاغ وفستان خاص بالمناسبة وحلويات متنوعة . وقبل اليوم المحدد ، يقوم كلا الطرفين بدعوة الأهل والأقارب والأصدقاء ، فيجتمع أقارب العروس في بيت ذويها وأقارب العريس في بيت ذويه . وحوالي السابعة مساء من اليوم المحدد ، يتحرك العريس من بيت والديه يرافقه أهله والمدعوون ، يسير الرجال في طليعة الموكب وتسير النساء وراء الرجال ، وتكون لوازم الخطبة محمولة على صوانٍ كبيرة أو أطباق على رؤوس أخوات العريس .

ينطلق الموكب بالأهازيج والأغاني ، بحيث تقوم سيدتان بالغناء وجمهور النساء بالترديد مع القرع على الدربكة .

ومن الأهازيج التي ترددها النسوة في الموكب :

" ياما مشينا من بلد لبلد حتى أخذنا بنت شيخ البلد "

" ياما مشينا ليلتين وليلة تَناّ وصلنا دار أبوكِ يا زينة "

" يا بَيِّ فلان رَحّب وكَثّر الترحيبي واحنا لَقّينا من بلد بعيدة "

" يا بَيِّ فلان كُن علينا راضي وان كُنت زعلان ترضيك الجوادي "

وعند وصول الموكب الى بيت والد العروس يتوقف وتتقدم احدى قريبات العريس وتبدأ بالهاهات :

يا دار أبو فلان دُقي والعبي رهجة
فيكِ الأمارة وفيكِ قصورة البهجة
فيكِ أبو فلان ريت العز له دايم
كما دامت الحكام بقصورة البهجة

وتتبعها قريبة ثانية ، فتقول :
ظلّيت أدوّر على الاجواد تني أناسبهم
حتى رماني الهوى على مصاطبهم
سألت رب السما من فوق ينصرهم
نصرة قوية ولا يكسر بخاطرهم
وتوجه ثالثة قولها الى كبير أهل العروس مكانة :
يابي فلان يا شاشي على راسي
ولا ببيعك ولا بعطيك للناس
سيفك مسنون ودبوسك إلو نحاسي
والخيل من هيبتك ترعى بلا ناس
أما الرابعة فتوجه قولها لجميع الوجهاء الحاضرين :
هيه والأوادِم كلهم
هيه ولا ننسى فضلهم
هيه واليوم الفرح عندنا
هيه والعاقبة لعندهم
بعد ذلك تتجه الهاهات الى العروس :
هيه اسم الله عليكِ
هيه وعين الله عليكِ
هيه وعين الحاسدة عَمْيا
هيه وعين اللي ما بِتْسَمّي عليكِ
* * *
هيه قالوا غزالك زغيّر قلت ما شاالله
هيه مثل غزالي ما عاد يخلق الله
هيه والبساتين تزهر في السنة مرة
هيه إلاّ الخدود فلانة دايم الدوم محمرّة
* * *
هيه يا مشمش لوى
هيه يا حامض على أمّه ما استوى
هيه تعوا شوفوا يا ناس
هيه مش كل العرايس سوى
* * *
هيه والطول طول القناة والعنق مايل ميل
والخصر من رقته هَدْ القوى والحيل

يا صايمات الضُحى يا مفطرات الليل
ردّوا عليَّ غزالي ما بقي لي حيل
ويتبع كل الهاهات زغردات جماعية ، ثم ترد نساء أهل العروس :
هيه يا مرحبا بيكُو يللي تستاهلوا الترحيب
يا عز الصحاب ما يغلى عليكُو رحيب
إن غبتو عيشي بتنكد وإن حضرتو بيطيب
حاشاك يا بدر من بين النجوم تغيب
ثم يدخل جمهور العريس الى " ديوان " والد العروس . وبعد التسليم والجلوس ، يخاطب أحد وجهاء أهل العريس والد العروس قائلاً : يا أبو فلان طالبين القرب منكم ، بنريد يد فلانة لولدنا فلان من بعد أمر أخوتها واعمامها واخوالها إذا بسمحوا لنا ، وإحنا جملكم وحملوا ، فيرد والد العروس ـ اعطيناك إذا الله اعطاك ، الله يبارك لكم ، الله يوفق ، فتصيح أم العريس :
يا أبو فلان أعطيتنا الله يعطيك
هيه ريت السعادة تيجيك
هيه اعطيتنا فلانة
هيه رب السما يعطيك
بعد ذلك يدخل والد العروس وأخوها الى الغرفة المجاورة حيث يأتيان بالعروس ، فتجلس الى جانب العريس وسط الغناء والزغاريد ، ويتم وضع المحابس واجراءات رجل الدين (المأذون) ، ثم توضع الأساور في معصمها والخواتم في أصابعها ، وتقدم علبة الخطبة مع الفيد (المهر) ، وفي بعض الحالات يقدم أيضاً صك بقطعة أرض باسم العروس يُسمّى (فيد رقبة) ، ويقوم أهل العريس بتقديم (النقوط) للعروس .
بعد ذلك يقوم الأهل بتقديم الحلوى المتنوعة والشراب ثم القهوة ، ويعقب ذلك تقديم التهاني بمخاطبة العروسين والأهل : " مبروك الخطبة عقبال الفرحة التامة " ، ويأتي الجواب : عقبال فرحة أولادكم " ، وبعد ذلك يتم الانصراف .

من الخطبة الى الزواج :

يقوم العريس بزيارة بيت العروس بين الحين والآخر للتعرف على فتاته عن كثب . وكانت التقاليد تحول دون جلوسهما منفردين أول الأمر ، إلاّ أن هذا التقليد أخذ يضعف تدريجياً، ولم يكن يُسمح للعروس مرافقته في البلدة

أو الى المدينة إلاّ بمرافقة أخيها أو أمها ، ومن العادات الشائعة ، ان يأخذ لها في كل عيد عيديّة وهي عادة ، حلوى وحلي وثياب ، وفي هذه الفترة ، يبدأ الاعداد للزفاف والتحضير له فالعريس يقوم بابتياع الأثاث ، من خزانة وأسرّة وامتعة وملابس ، والعروس كذلك ، من المهر الذي قدمه العريس . وجرت العادة أن تنزل العروس برفقة أمها واختها مع أهل العريس الى المدينة لابتياع فساتين العرس والأمتعة الأخرى .
ويُسمّى يوم النزول الى المدينة يوم (الكسوة) ، التي يتوقف نوعها وكميتها على الوضع المادي وعلى التطور ، لكن هناك عرفاً أساسياً بالنسبة لبعض أمور " الكسوة " لا يصح التغاضي عنه ، ويتمثل في شراء فستان أبيض وكندرة بيضاء وطرحة للرأس بيضاء ليوم الزفة ، وفستان أسود وجزدان أسود وكندرة سوداء (لِرَدّة الرجل) ، أي ليوم زيارة العروسين لأهل العروس بعد أسبوع من الزفاف ، ثم الملابس الداخلية ، وملابس النوم وفساتين السهرة وأدوات الزينة ، وهذه يتوقف عددها ونوعها على الوضع المادي للعريس، كما كانت العادة شراء (صندوق لحفظ الملابس) ، إلاّ أن الأمر تبدل كُلياً وأصبح شراء خزانة ملابس شائعاً منذ الثلاثينات ، كذلك شراء الأسرّة والكراسي .
أمّا العريس فكان يشتري ، قديماً قطعة من القماش يفصّلها " قمباز " إضافة " للحطّة والعِقال " . لكن اللأمر تبدل أيضاً وأصبح الزي الافرنجي غالباً ، وهو عبارة عن طَقِم (بَدْلة) أسود وربطة عنق سوداء وقميص أبيض وحذاء أسود .
ومن المتعارف عليه أن يبتاع كل من العريس والعروس (الخَلْعات) أي قطعاً من القماش للأخوة والأخوات والأقارب ، فيقوم هؤلاء ، يوم العرس ، بتقديم (النقوط) ، مالاً أو أثاثاً كهدية للعروسين . وبعد الفراغ من التحضير الكامل لكل المتطلبات وحصول الوِئام والوفاق بين العروسين وأهلهما ، يبدأ التداول بتحديد يوم الزفاف ، أمّا مُدّة الخطوبة فتتراوح بين الشهرين والسنة ، وقديماً كانت المدة أطول لأن الخطبة كانت تتم والعروسان لا يزالان يافعين .

الزفاف :

قبيل الموعد المحدد يكون باقي المستلزمات قد أحضر ، من خراف وأرز وسمن وحطب لأعداد وليمة العرس يوم الزفاف . وجرت العادة على دعوة صبايا الحارة الى بيت العريس لعدد من الليالي لعمل " الشعيرية " التي توضع مع الأرز في الطبخ ، وتسمى مثل هذه الدعوة " عزومة للفتل " .

وخلال هذه السهرات تتبادل الصبايا الأحاديث ، تارة ، والغناء ، تارة أخرى . أما الدعوات الى العرس فكانت تتم ، أول الأمر ، بقيام نساء من أقارب العريس ونساء من أقارب العروس بالسير معاً والطواف على كل بيوت القرية بالتدريج . وعند دخول كل بيت يُلْقَى " السلام " أولاً ثم تقوم إحدى القريبات وتخاطب أهل البيت قائلة : " يا أبو فلان ويا أم فلان ، تفضلوا لَعِنَّا لَعُرس فلان وفلانة يوم كذا ، عقبال اولادكو " ويأتي الجواب : " الله يتمم الفرح على خير " .

أما المدة التي كان يستغرقها العرس ، فهي بين يومين وسبعة أيام ، ويتوقف ذلك على مكانة العروسين ، المادية والاجتماعية ، فإذا كانت المدة أسبوعاً ، أشعر المدعوون بذلك ، وتسمّى السهرات الليلية التي يتخللها الغناء والرقص والدبكة " تعليلة " .

وفي الأربعينات ، قبل النكبة ، أخذ الميسورون يوجهون الدعوات بالبطاقات المطبوعة ، على أن الدعوات الوجاهية الأولى بقيت ملزمة خاصة للأقارب . وما دمنا نتحدث عن الدعوات ، تجدر الاشارة الى أن الميسورين كانوا يدعون أهالي القرى المجاورة ، كما كانوا يدعون " القوالين " ، أي الشعراء الشعبيين ، الى العرس لقاء مبلغ غير محدد يكون على شكل إكراميّة .

فَرْد الجهاز :

المقصود ب " فرد الجهاز " هو عبارة عن دعوة الصبايا الى بيت العروس ، نهاراً لعرض ثياب العروس ومصاغها وكل ما كان قد تم تحضيره من أدوات زينة وسواها . وأثناء "فرد الجهاز" ، تقوم الصبايا باستعراض " الكسوة " أو"الجهاز" لبعض الوقت ، وتقول الواحدة للعروس : " مبروك ، ان شاء الله بتتوفقوا " . ويأتي الجواب : " عقبالكم " . ويبدي البعض ملاحظات مجاملة ، كالقول مثلاً : " هذا حلو كثير ، فستان السهرة بجنن " . ثم يبدأ الانصراف ، جماعات جماعات ، وتعود نساء كل جماعة الى بيوتهن وسط تعليقات وانتقادات ، منها السلبي ومنها الايجابي .

التعليلة :

يأخذ المدعوون بالتوافد الى بيت العريس ، مساء يوم الاثنين ، يستقبل أقارب العريس المدعوون ويرحبون بهم " أهلاً وسهلاً شرفتونا " ويستلمون الهدايا منهم ، والتي تكون عادة من أرز وسكر وخرفان ، وتجلس النساء في البيت في جهة والرجال في جهة أخرى ، ويجري الرقص مع الغناء والقرع على الدربكة داخل البيت ، أما في الساحة خارج

البيت، أي على مقربة منه ، فتعقد حلقات الدبكة بأنواعها ، ويشارك فيها الرجال والنساء . ومن المفيد اعطاء صورة واضحة شاملة لكل ما يجري في السهرات ، من غناء ورقص ودبكة وسحجة ، وفكرة عن الأدوات الموسيقية التي كانت تستعمل والأغاني التي كانت تردد ، وعن الغناء والرقص واللحن ، وبيان شامل لمجمل الأغاني .

الأغاني الشعبية :

تعكس الأغاني الشعبية الحالة النفسية للشعوب والبيئة التي تقطنها هذه الشعوب والعادات والتقاليد . وهي إرث يأخذه الابناء عن الآباء بكلماته وآدابه . وتشكل هذه الأغاني حلقة ربط بين الماضي والحاضر ، فتشد الانسان الى أرضه وتراثه وتحفظ شخصية الشعوب ، ولقد دفع الخوف على التراث الشعبي ، الذي أخذت تتهدده الحضارة الآلية ، الى اعادة التركيز على التراث الشعبي ، كتابة وأداء ، إن الانسان في عصرنا هذا إن لم يخلق رابطة قوية بين نفسه وعائلته ، بين نفسه وشعبه وماضيه بين نفسه ولغته وموسيقاه وتراثه ... يبقى في حالة ضياع وعدم توازن ، ويقع فريسة سهلة في غابة هذا العصر . ولا يعرف قائل هذه الأغاني . انها ضمير الشعب ووجدانه . والأغاني الشعبية هذه تدور حول مواضيع مشتركة ، وغالباً ما تتعلق بأمور معينة أو مناسبات محددة ، ولعل أهم هذه الأمور والمناسبات :

1- الأعياد والاحتفالات الدينية .
2- الأفراح ، الاعراس ، الحب ، الطهور ، الولادة .
3- الحرب ، الحماس ، الحث على القتال .
4- العمل والتجارة .
5- الهزل - السياسة .
6- الرقص .
7- المأتم .
8- الروايات والأقاصيص والأغاني الشعبية .

إنها مرآة تعكس ، بصدق وعفوية ، عواطف الشعب وهمومه ومزاجه باللهجة العامية المتداولة في كل منطقة . وقد لاحظت ان الكثير من الاغاني شأنها في ذلك شأن الأمثال والقصص والخرافات التي كانت رائجة في صفورية كانت رائجة في مختلف المناطق الفلسطينية ، فمن أغاني الاعراس المشتركة : الدلعونة ، يا ظريف الطول ، عا اليادي اليادي ، عا الروزنا ، مرمر زماني ، طالعة من بيت أبوها ، الخ . كذلك ، الهاهات

وجلاوة العروس والعتابا والميجانا والشروقي ، وما دام بحثنا مرتبطاً بالزفاف فسنورد عدداً من الأغاني المتداولة في صفورية ، بالتدرج والترتيب كما جرت العادة كما سنورد الأغاني والأهازيج المتعلقة بالمواضيع الأخرى في الأبواب المقررة لها في هذه الدراسة .

الالات الموسيقية :

منها الايقاعي ، واكثرها استعمالاً الدربكة والدف والطبل والطقاشات ، ومنها النفخي ويصنع عادة من سيقان القصب ، واكثر آلات النفخ استعمالاً الشبّابة (الناي) ، يليها اليرغول ، فالمجوز .

الرقص :

وهو تعبير جسدي عن انفعالات الانسان واحاسيسه في حالات مختلفة ، فقد يكون تعبيراً عن فرح كما قد يكون تعبيراً عن ترح ، وقد يكون فردياً كما قد يكون جماعياً ، يشترك فيه الرجال والنساء على السواء ، سواء كان فردياً أم جماعياً . ومن الرقص الجماعي ، الدبكة ، وهي متنوعة أما الدبكات التي كانت تجري في صفورية فهي :

1- الشمالية : واسلوب أدائها يقوم على تشابك أيدي الشباب وتكوين حلقة تشبه نصف دائرة ، ويكون على رأسها " اللويح " الذي يحمل بيده " محرمة " مجدولة فيقود الفرقة وينظم الحركات بالأرجل لكي تتناسق وتبدأ الدبكة ، بعد تكوين الحلقة ، بالعزف المنفرد على الشبابة أو اليرغول أو المجوز ، يقوم به محترف يقف في الوسط ، ويقترب من أحد أفراد المجموعة فيغني له ، مقطعاً من الدلعونا أو غيرها من الأغاني العاطفية . وينفرد "اللويح " عند الانتهاء من مقطع الدلعونا عن المجموعة ، ويقوم بحركات رشيقة ملوحاً بمنديله متجولاً أمام الحلقة ، فتزداد حركة الرقص في الدبكة سرعة وحيوية ورشاقة مع إعطائه الايعاز بقوله " إطلع " ، وما يلبث بعد دورة أو اثنتين أن يعطي إيعازاً للعودة الى الحركات الاولى بقوله " ريّح " .

2- الشعراوية : وهذه أقل شيوعاً ، وتقتصر على الرجال فقط ، إذ أن عنصر الحركة فيها والقفز قوّيان ، وهي تشبه الى حد ما " الشمالية " .

3- الكرادية : وهي من الرقص البطيء ، يكوّن الراقصون حلقة مستديرة ويكون في الوسط عازف الشبابة أو اليرغول ، ولا يوجد فيها " لويّح " ويتخللها غناء يرافق العزف.

4- الفرّة : وهي اكثر الدبكات حركة ورشاقة ، تتقدم " اللويحة " الراقصات بالمنديل المجدول ، وينطلقن بالاداء مع انطلاق الغناء وصوت الشبابة

والمتدرجات في رقص الدبكة يصطفون عادة على الطرف الآخر من الحلقة للتدرب ، ويسمى هذا الطرف " الجحشة " في حين ان البارعات يصطفقن الى جانب " اللويحة " .

5- السحجة : هي عبارة عن صف من الرجال ، ويكون ذلك على بيادر القرية في الغالب لأنها فسيحة أو في ساحة واسعة ، ويقف أمام الصف " الحدّاية " ويتناولون موضوعاً وطنيّاً أو عاطفياً أو اجتماعياً أو أدبياً ، ويتبارون ارتجالاً ، وخلال ذلك يقوم الصف بالحركة الى الأمام والخلف ، مع إيقاع بالتصفيق وإطلاق الرصاص والزغاريد عند إجادة " الحدّاية " ويبقى الصف ثابتاً في مكانه . ومن المواضيع التي كانت تجري فيها المباراة بالانشاد ، مفاضلات بين السيف والقلم ، بين السمرا والبيضا . وكان لكل "حَدّا" جمهوره ، فالبعض يفضل الواحد على الآخر بالعتابا والبعض يفضله " بالحدادي " والبعض " بالشروقي " . ومن الذين لهم دور في " السحجة " ، " الحاشي " ، وهو الذي يضبط الحركات والتصفيق . يبقى ، قبل الانتقال الى أغاني الأعراس وأوقاتها المحددة بعد اعطائنا فكرة وصفيّة عن الغناء والرقص والآلات الموسيقية ، ان نعطي فكرة عن الرقص الفردي الذي كان ، غالباً ، مقتصراً على النساء . انه يقوم على حركات بالأيدي والأرجل مع دوران في غاية من التهذيب والبراءة ، حيث كانت الرقصات الكثيرة الحركة مثل "هَز البطن " مستقبحة ، وأحياناً ، كانت الفتاة تمسك بيدها منديلاً تلوح به كان ذلك يجري في بيت العريس والعروس على أنغام الدربكّة والشبابة وغناء بعض البارعات ، جميلات الصوت ، وترديد الجمهور لتلك الأغاني . وبعد أن تتعب الفتاة من الرقص تتقدم من زميلة لها وتمسكها بيدها ، وهذه اشارة لدعوتها ، وكان الخجل يعتري البعض فتحمر الوجوه ، وتكون مدة الرقص قصيرة ، وأثناء الرقص الفردي تتعالى الهاهات من أقارب الفتاة التي ترقص أو من أقارب المرأة وأهل زوجها .

هيه أرقصي بجاه بيك
هيه ريتك ما تعدميه
هيه يابُو شاشي كبيرة
هيه يا سَلامي سَلّميه

*   *   *

هيه أرقصي بجاه رجالك
يا صناديق مالك
يلبسوكي المليح

يرفعوا بشانك

* * *

ارفعي براسك يا مرفوعة الراس
ما فيكِ عيب ولا ما قالت الناس
شيلي براسك لبيّك وقولي له
احنا شقاق الحرير والناس لِطْرافي

* * *

يا بنت أبو فلان يا بنت من حشم
تستاهلي العبيد والمندوب والخدم
تستاهلي الصايغ يصفلك خواتمك
من أرض الشام على قد خناصرك

هذا الرقص الفردي والجماعي والموسيقى يستمر في السهرات على ضوء " اللكسات " . وقبل عصر " اللكسات " ، كانت الاحتفالات تتم على أضواء نيران الحطب خارج المنازل ، وقناديل الكاز في داخلها ، طيلة ليالي " التعليلة " حتى مساء الأربعاء ، ويزداد الاقبال مساء الخميس ، ويوم الجمعة يتم الزفاف .

سهرة العريس :

هناك تشابه بين سهرة العريس وبين سهرة العروس كما أن هناك فوارق . أما التشابه ، ففي حضور جمهور المدعوين الى دار العريس ليلة الجمعة ، والقيام بالرقص والغناء والدبكة مع اختلاف نسبي في الأغاني ، إذ لا جلاوة ولا تخذير ولا ترويد ، ومن الأغاني التي تنشد عادة للرقص :

يا حْنَيّنَة يا حنينة
قديش نومك للضحى
ريتو هَنا
قامت من النوم وتنده يا لطيف
ماني مجنوني ولا عقلي خفيف
يا مين يحب الله ويطعمني رغيف
من خبز المحبوب يكفيني سنة

* * *

قامت من النوم وتنده سادتي
عَ فراق الحبيب شوفوا حالتي
تَعُوا نص الليل شوفوا فرشتي

خالية من الحب وحدي نايمة

معظم أغاني الرقص التي تنشد في سهرة العريس تُردّد في سهرة العروس ، كذلك الهاهات، مع فارق في المضمون يتناسب مع العروس كأنثى .
وعلى سبيل المثال :

هيه عريسنا يا اسمر
يا أبو الثوب الاحمر
يا ابو عيون السود يا مزَيّن المحضر
هيه عريسنا يا ابيظاني
يا قضيب فضة يا غصن إلبانِ
ما خابت امّك ليلتن جابتك
جابت أمير يواجه الحكّامِ

* * *

أما خارج البيت ، فتنتشر حلقات الدبكة بكل أنواعها ، " الشمالية والكرادية " وهما الاكثر شيوعاً ، ثم القصولية ، وأحياناً " الشعراوية " ، وتكون على أنغام الشبابة أو اليرغول أو المجوز ، ومن أغاني الدبكات المألوفة في صفورية وغيرها " الدلعونا " .

شفنا الطيارة بالسما تصيحي
فيها أنباشي وضابط مسيحي
بنية يا بنية قرّي الصحيحِ
بعدك عالعهد وإلاّ فتونا

* * *

بأرض الرباعي بأرض الرباعي
خذ لي هالمكتوب بالله يا ساعي
أيام الجهل ما كنت واعي
يا اللي ابتليتوا يا الله تعينونا

* * *

من هونا مرق من هونا مرق
مسّح جبينه ندّى بالعرق
وريت يا حبي اللي سَعى بالفراق
يغرق في بورَة بشهر كانونا

* * *

يا اللي سمّتك أمك جميلة
وعينك عا كل الشباب بتميلي

با الله يا حلوة بدّك تحكي لي
عا اللي جرى لِك مبارح واليوما
* * *
يا طيرن طاير من فوق البصة
سلّم عا البيضا ، السمرا شو خصّها
بالله من شفافك اعطيني مصّة
ومن نوم زنودك لا تحرمونا
* * *
وِلِكْ دلعونا وِلِكْ دَلّوعة
والدبكة ما بين الشباب ممنوعة
لو بدنا نأوي من هالقرقوعة
كُنّا شَقّعْنا حملة طيّونا
* * *
مَرْ حبيبي من باب الشباك
قُلتلّلو مَرْحَبا يلّلي بحبك
قديش قالوا له اني بَسِبّك
قَصَدْنَ هالعدا تيخلفونا

وغالباً ما تقال هذه الأغاني في دبكة " الكرادية " الهادئة ، ومن أغاني الدبكات الاكثر حركة " القصولية والفرّة " :

يا بّواب سارة	وافتح للعذارى
ما بفتح ولا شي	ولا عقلي بلا شي
وان كنكو عطاشي	البيارة قُدّامْكو
افتح يا ابن عمّي	حتى يزول همّي
خزامي فوق ثمّي	طارة على طارة
افتح يا خليلي	ولا تكون دليلي
بنات الأمارة	كلهن بكارة
افتح ثم افتح	هالباب المصفح
وعن كلامك افصح	يا ابن الأمارة

ومن الأغاني الأخرى التي تقال في هاتين الدبكتين :

لوين يا اسمر لوين
لا تطوّل يا نور العين
وإلي بهواكو سنتين
والقلب مكوي ومجروح

والقلب مكوي بالنار
وعا الفرقة ماني صَبّار
يومٍ كُنت تيجي على الدار
تضحك من وجه السموح
تضحك من بين سنونك
ذبحني سود عيونك
يا احمد إحْمَر لونك
كل ما هَب الهوا يفيح
لوين يا اسمر لوين
لا تطول يا نور العين

ومنها :

يا غزيّل يا بو العبا
يا هاوي يا معذبا
يا بنيّة ذبحتيني
كيف حالك كيف حال عينك
كيف الروح الطيبة
يا غزيّل قُلّو قُلّو
نرحل وإلاّ نْظَلّلو
قضّينا العمر كُلّه
ما قلنا له مرحبا
يا غزيّل على التينة
بوكِل ما بطعميني
لَضْرب حالي سكينة
واتْرَيّح من هالعيشَة
يا غزيّل على التوتة
مقهورة طُقّي وموتي
منّلّك درب تفوتي
والبوابة مسَكّرة
يا غزيّل لا تغزلها
والبيضا لا تزعلها
والسمرة ظل اقتلها
من الصبح للمغربا
يا غزيّل شفها شفها

عالنبي لا تْحَلّفها
صَلِّج عينك واخطفها
لو كانت عا المرتبة
يا غزيّل يا ابن عمّي
يا ابو قميص الزّمّي
خذ امك وارحل عنّي
وصلتني جهنّما
يا غزيّل جُر الجمل
وانتلى القلب عمل
يا خسارة ضاع الأمل
من شباب الكذابة

أمّا أغاني " الشمالية والشعراوية " فمنها :

يا ظريف الطول وقّف تا قلك
رايح عا الغربة وبلادك أحسن لك
خايف يا المحبوب تروح وتتملّك
وتعاشر الحلوين وتنساني أنا
يا ظريف الطول والله انك ظريف
صاحب المعروف أبو كف نظيف
مين يحب الله ويطعمني رغيف
من خبز المحبوب يكفيني سنة
يا ظريف الطول واقف باب البيت
عا حُسْنُه وعا جمالُه ما رأيت
ريتك يا شهر الفراق ما هَلّيّت
فرقت مع بيني وبين حبابنا
يا ظريف الطول ماشي شوي شوي
يا هوى الزينات كن نسّم علي
مسكت النهد قالت لا تعضُّه شوي
والنهد رمان على امه ما استوى
يا ظريف الطول مَرْ وما حكاش
واسْتَحى يطلع كلامُه عابَلاش
كيف تعطوا المليح لها الوِحِش
والمليح بدّو مثلُه واحسنا
يا ظريف الطول وين رايح تروح

جرحت القلب وغمقت الجروح
عشير الحلوين مش لازم يسوح
لوكان عقله للجبال موازينا
يا ظريف الطول يا الاسمراني
العشق من الله والهوى رماني
خايف يا المحبوب تروح وتسلاني
وتعاشر الغير وتنساني أنا
يا ظريف الطول عا عين عكسان
لا تلوموني يا رفاقي العقل مني طار
لامْسِك صديري وادقّو بالحجار
واكثر دَقّي عا اللي ما شقوا ضَنا
يا ظريف الطول مَرْ وما إلْتَفَت
هَبّت نارُه بالقليب وما إنْطَفَت
ان كان يا ابن العم هالعشرة جَفَت
دَوّر عِشْرة غيرنا بَلكي أحْسَنا
يا ظريف الطول يا محمد أمين
والخَصِرْ ضامِر ما بِيُّو مصارين
قوم يا ابن العم تا نحلف يمين
ما يخش البيت غير انتِ وانا
يا ظريف الطول حبيتك صحيح
ليش يا ابن الحرام ضَيّعت المليح
وان بُحِت بالسِر أنا ما بَبيح
ما ببيح السّر غير ابن الزّنى
يا ظريف الطول ماشي الواد الواد
مرين الحلوين وعا أوّلهن سعاد
والله يا بنَيّة ان اخلفتي الميعاد
لأفرمك فَرْم التّتِن عا المفرمة

ومنها :

جفرا ويا ها الربع بين البساتينِ
مجروح جرح الهوى ويا مين يداويني
ويا حاملة الجرّة حطيها واسقيني
بلكي عا الله أشفى من شُرْبة الميّة
جفرا وياها الربع تُحْرث في أرض الدير

والسّر اللي بيننا ويش وَصّله للغير
وان كان ما في وَرَق لكتب عا جَنَح الطير
وان كان ما في حبر هِلّوا يا عينيّا
جفرا ويا ها الربع بتصيح ما جابَت
جابت اتناشر صبي قبل الشمس غابت
دقت على صِدرها وحلفت ولا هابَت
وهَزّت شباك النبي وقالت أنا بْنَيّة
مَرّيت عا دارهم بعد العشا بنتفة
لا قيتهم نايمين وسراجهم مطفي
مدّيت ايدي عا الحبق لاقْطف أنا نتفة
صاحت صاحبة الحبق يمّا حاراميّة

ويلاحظ أن بعض أغاني الدبكات ، كالدلعونا وظريف الطول وجفرا ، هي شبيهة الى حد كبير من حيث الكلمات واللحن بالاغاني نفسها في مناطق متعددة من فلسطين ، وقد يكون التطابق تامّاً في بعض المقاطع .

وفي الأعراس يدعى " الحدّاية " أي الشعراء " الشعبيون " من القرى المجاورة أمثال : فرحات سَلاّم من المجيدل وابو سعيد الحطيني وأبو الأمين الريناوي والديراوية :أبو السعود وشقيقه أبو الغازي وغيرهم ممن اشتهروا في تلك الفترة . فتقام السحجة عند أهل العريس في ساحة متسعة ، حيث يصطف طابور من الرجال وتضاء الساحة باللوكسات ،ويقف الحداية أمام الصف ويبدأون بأقوال متنوعة كل على حدة ، وجمهور الصف يردد بعد كل مقطع أو بيت أحياناً :" هي يا حلالي ويا مالي " مع حركة الى الأمام ثم الى الوراء مع إيقاع بالتصفيق القصير لثوان معدودة ، فيما يكون " الحاشي " يتحرك بسرعة أمام الصف عاملاً على تصحيح الحركة والتصفيق الايقاعي ، وبعض النسوة يرقصن أمام الصف بحركات مناسبة للمقام والانشاد ، والرصاص يطلق بين حين وآخر ومما يقال في السحجة :

عَ الألف وألفته يا خوي ... على حروف الهوية
عَ الباء وابتليت بحبه ... أبو العيون العسلية
عَ التاء وتهتهوا عقلي ... يا ربي تْردّو عليّ
عَ الثاء ثلاثة بلدنا ... ما نظرتهم عينيّة
عَ الجيم جمل وبرح ... وحبال الهوا مرضية
عَ الحاء وحلل شعورُه ... شِلّة حرير ومرخيّة
عَ الخاء وخلل عظامي ... وتقول اقلام ومبرّية
عَ الدال دلاني في البير ... وقطعوا الحبل فيّة

عَ الذال ذليّ يا نفسي وصيري للزين وطيّة
عَ الراء ورنت حجولُه شبه الرعيد القويّة
عَ الزين زين بلدنا مَشِيْتُه في الحارة غيّة
عَ السين سالت دموعه وتقول نهور قويّة
عَ الشين شالت ظعونُه على حوران العَديّة
عَ الصاد صَدْنا المدلّل بشورة وحرفة قوية
عَ الضاد ضلّيت دروبي والحلو ما وصل ليّه
عَ الطاء طارت من حظني تقول غزالة مطحيّة
عَ الظاء ظلّيت أدوّر عَ ابو العيون العسلية
عَ العين عينُه ذبحتني بلاني كل البليّة
عَ الغين غالي عَلَيّا وفراقو يصعب عَلَيّا
عَ الفاء وفاحت روايح ياسمين وريحة عطريّة
عَ القاف قالت يا ولد لا تلَوِّع قَلبك عليّي
عَ الكاف كفيّ يا نفسي والحلو ما انتبه ليّ
عَ اللام لاموني اصحابي في حبُّه حكوا عليّ
عَ الميم ميلي يا نفسي وفراقُه يصعب عليّ
عَ النون نَهوني أهلي في حبُّه غضبوا عليّ
عَ الهاء هالت دموعي وفي حبُّه زادت عليّ
عَ الواو ودّعْت إحبابي وتصعب الفرقة عليّ
عَ الياء يا ربّي صَلّي عا محمد زين البريّة

*   *   *

يا لِبَيّب يا لبيب وقولي عن قولك غريب
وقولي يا قرط السكر وقولي أحلى من الزبيب
وأنا نايم بالمراح وإمْطوّى طيّات الذيب
أجوا عليّ حسن وحسين وذوّبوا قلبي تذويب
قالوا لي لا تخاف يا ولد وقالوا لي لا تخاف يا غريب
قلوبنا أحلى من السكر وقلوبنا أصفى من الحليب
واحنا الثلاثة إتخَوينا تَنْرود بلاد المغاريب
طَرّيناهم بالدّبش فوتناهم عَالبيوت
وتلاقي خرفشتهم مثل المعزى بالبلوط
واطّلعت ورايي شُفْت الميما والخَيّا
قُلْتِلها ارجعي يا ميما ومالك برقبتي خطيّة
ولبّسونا الجزامي ما غْدِرت أَقَرْمِز عا إجْرَيّا

ولبّسونا البنطلون وطِلِع ضيّق عليّ
ولبسونا الطربوش حلو وْلايق عليّ

هذه العدية كان ينشدها أبو فوزي الصفوري في اوائل الخمسينات . وكنت وقتها طفلاً لم يتجاوز السابعة من عمره ، وهي تتناول أيام طفولته في صفورية ، حيث ترعرع وبلغ سن الرشد واستدعي الى خدمة الجندية في عساكر العصملّي ببلاد الغربة بعيداً عن مسقط رأسه .

والعدية أو القصيدة طويلة حاولت جمعها من رجالات عصره ولكني لم أوفق ولم أجد من يحفظها . فدوّنت ما علق بالذهن من ابياتها ، ولربما يسعفني الحظ في المستقبل وأعيد كتابتها كاملة .

ويتناوب " الحداية " أثناء السهرة وينتقلون من موضوع لآخر ومن لحن للحن ، ويتخلل القول : العتابا ، مما يترك حماساً في الجمهور ، فيتعالى التصفيق استحساناً لما يقال وسط اطلاق الرصاص والزغاريد . وهكذا نجد في سهرة العريس توزع الجمهور حسب هواية كل فرد ، فالبعض يشارك في الدبكة والبعض في الرقص والبعض في السحجة ، والبعض يكون متفرجاً ولا يشارك ويكتفي بالمشاهدة والاستماع .

سرقة العريس :

جرت العادة أثناء سهرة العريس أن يقوم الشبان المتزوجون بعدة محاولات لسرقة العريس، فيما يكون الشبان العازبون يراقبون حركاتهم ويعملون على حراسته ، وإذا ما نجحوا في سرقته ، أي في نقله الى مخبأ ، تجري مفاوضات ، بعد الفشل في العثور عليه ، حول تأدية " العادة " ، وهي عبارة عن تقديم ذبيحة . وعند حصول هذا الشرط يعاد العريس ، وقد تحدث اثناء السهرة مشاجرات لسبب أو لآخر ، فيبادر الجمهور الى حل الاشكال ودفع المتخاصمين الى التصالح ، ويكون ذلك بأن يقوم المتخاصمان بتقبيل الواحد للآخر بعد التصافح ، ويعود الجمهور لاستئناف النشاطات المختلفة وأثناء السهرة ، يطوف الشبان من أقرباء العروسين على الجمهور وهم يحملون أباريق الماء يعرضون خدماتهم على من يريد الشرب ، ويلبون أي طلب آخر ، وتستمر الحال على هذا المنوال داخل بيت العريس وخارجه حتى منتصف الليل ، ثم يبدأ الجمهور بالتفرق ، مجموعات مجموعات ، إثر سماعهم نداء من أحد الشباب يجيىء فيه عادة الله يعطيكم العافية العريس تعبان ، عقبال للعزابيّة .

وبعد الانصراف ، يتوجه كل الى بيته ، وأثناء السير مشياً الى المنزل تجري تعليقات على مجريات العرس ، ولكن حبور الجمهور وفرحه لا

يقلان عن حبور العروسين وأهلهما . وقد تكون " سهرة العرس " أي مساء الخميس هي اكثر الليالي أهمية ، والمثل الدارج يقول : السهرة ما بتتفوتش " وهذا يعني أن جميع أهل البلدة ، بكل عائلاتهم يحضرون ، ومن النادر أن يتغيب أحد . وتجدر الاشارة الى أن مناسبات الأعراس لها أهمية في إزالة الجفاء بين المتخاصمين من الأقرباء وأبناء القرية ، إذ أن أهل العريس أو العروس مضطرون، بحكم العادة والتقليد ، أن يقوم وفد منهم ويذهب شخصياً لدعوة المتخاصمين معهم لسبب ما ، فالمثل يقول " الصلح يا على فرح يا على كره " .

الحناء :

بعد انتهاء السهرة يذهب العريس مع الشباب الى بيت " الشبين " حيث تقام حفلة الحناء وسط أغاني وأهازيج منها على سبيل المثال :

سَبّل عيونه ومد إيده يحنونه
ويش هالغزال اللي مد إيده يحنونه
خصره رِقَيِّقْ وبالمنديل يلفونه

وينام العريس عند شبينه حتى صباح يوم العرس ، حيث تبدأ احتفالات العرس .

سهرة العروس :

قبل غروب شمس يوم الخميس ، يلتقي في بيت والد العروس أقاربها وجيرانها ويقومون ، أولاً ، بادخال العروس الى الحمام للاغتسال ، ثم تقوم القريبات بتمشيطها والباسها حلّة جديدة مع مصاغها بعد عملية تزيين تدخل فيها المساحيق والكحل والعطر والحناء . وبعد ذلك يجلسونها على كرسي مرتفع خاص يُسمّى " الصمدة " وتصيح إحدى الحاضرات مستهلة الهاهات والغناء وبداية السهرة :

هيه يا ناس لا تلوموني على محبتها
هذي العروس حبيبتي وأنا حبيبتها
يا ريتني عقد لولو في رقبتها
بكون عطشانة واردة على شْفافتها

وتضج القاعة بالزغاريد ، وتتابع الهاهات .

يا طولك طول الزرافة والعنق ما يل ميل
والخصر من رقته هَدْ القوى والحيل
يا صايمات الضحى يا مفطرات الليل
ردّوا عليّ غزالي ما بقي لي حيل

*   *   *

يا طولك طول الزرافة والعقل بدّو لطافة
والثم خاتم ذهب ما يوكل إلاّ كنافة

*   *   *

مَسّيكي بالخير يا فلّة فرنجية
يا مسبحة لولو بايد الأفندية
لولا إبن عمك صافي النيّة
ما حظي فيك يا حلوة يا شلبية

بعد ذلك يبدأ الرقص الافرادي داخل البيت ، يصحبه الغناء الجماعي والفردي ، حيث يبدأ المدعوون بالتوافد تباعاً ، وأحياناً تقوم إحدى الفتيات بالرقص والغناء معاً والحضور يردد . وبين الأغنية والأغنية تعود الهاهات خاصة عند وصول وفد من المدعوين ، ويتخلل ذلك " جلاوة " العروس و" تخديرها " ودعوتها للرقص . وبين وقت وآخر ، في السهرة ، تبدل فستانها ، وتعود الى الصمدة فتستقبل بالهاهات المناسبة والمرتبطة أحياناً بلون اللباس :

هيه فستانك الزيتي
ومعلق في بيتي
ويديمك يا ام العروس
يا نعم ما ربيّتي

وتعود الفتيات الى حلبة الرقص ، أما خارج البيت ، فتنتشر اكثر من حلقة دبكة ويأتي في الليل بعض قريبات العريس لزيارة خاطفة للعروس ، وفور وصولهن تهتف احداهن :

هيه مسيكي بالخير يلّلي العصر مسيتك
يا ورد جوري من البستان نقيتك
واذا يعطوني كل المال ما اعطيتك
انت حبيبتي وجوات القلب حطيتك

وتتبعها أخرى :

من قال عَنّك سمرا يا نجمة البدر
يا سمسم المقشور يا عسل النحل
وطيت لك ظهري تا أقطعك النهر
انت حبيبتي وأعز من الأهل

وتتعالى الزغاريد ، ثم ينصرف وفد أهل العريس عائداً الى " سهرة العريس " ، وتستمر الحال على هذا النحو حتى منتصف الليل ، فتصيح إحدى الحاضرات :
" العروس تعبت يا جماعة " فيبدأ الجمهور بالانصراف . وفي الخارج ، حيث الدبكات قائمة ، يصيح أحد الشبان : " الله يعطيكم العافية " فينصرف الجمهور .
أشرنا الى كيفية بداية " سهرة العروس " وهي جالسة على " الصمدة " بالهاهات التي يتبعها الرقص على إيقاع انغام الدربكة والغناء وترديد كل مقطع ، الأمر الذي يساعد على الحفظ لأن الأغاني غير مدونّة ، وتعطي ايقاعاً ذا وقع اكثر تأثيراً ، وبين الأغنيات ، تتم " جلاوة " العروس و " تخديرها " . ومن هذه الأغاني :

آه يا اسمر اللون
حياة الاسمراني
حبيبي وعيونه سود
أما الكحلة ربّاني
شوفوا الحلوة عالبرك
بَعْدو صغير ما دَرَك
والله لانصبلك شَرَك
واصطادك صيد الغزلاني
شوفوا الحلوة عا البلكون
بتتنغنش بقميص النوم
قلتلها جوزك مجنون
قالت ودّوه عا الجبّانة
شوفها عندك يا محمود
بيضا والجدايل سود
لما بتبدا بدق العود
بتسوسح كل العربانِ
أو : ما احلى النومة عالزنود
ومن الصبح تَنْها تغيبا

وبعد الانتهاء من الأغنية ، تدعو الفتاة التي كانت ترقص فتاة أخرى وتغني أغنية ثانية ، وعلى سبيل المثال :

مَرْمَرْ زماني يا زماني مرمر
مرمرتني ولا بدّ ما تتمرمر

يا رايحة عالحمام خذيني معاكِ
تاحْملّك البقجة وامشي وراك
وان كان اهلك ما اعطوني ايّاك
لاعمل عمايل ما عملها عنتر
مرّت عليّ بالفَلا وحداني
كَسْرَتْلي ظهري وعَطّلت فداني
قولوا لأمي تهيء لي لِكْفان
ما زالت روحي عندكو تتمرمر
مرت عليّ حاملة شمسية
والشعر أشقر والعيون عسليّة
قلتلها يا بنيّة بالله رُدّي عليّ
قالت لي اللي ما بهواك ريتو يتمرمر

وبعد رقصات متتالية على باقة من الأغاني المشابهة ، تصيح إحدى جميلات الصوت مخاطبة العروس :

هيه قومي معانا يا بنت الكبار قومي
هيه يا زعتر فارسي يا زهر ليموني
هيه لميمتك اطلعي لخالتك كوني
هيه يا وردة فتّحت بشهر كانوني

فتنهض العروس وسط الزغاريد وتمسكها " مجلية " ، وعادة تكون من ذوات الصوت الجميل والمشهود لها بذلك ، وتقودها الى وسط حلقة الرقص للجلاوة ، فتغمض العروس عينيها قليلاً وترفع يديها الى الجانبين وكفاها مفتوحتان ، وتأخذ " المجلية " ، وهي تمسكها تارة بخصرها وتارة برأسها ، بامالة جسمها ، خاصة الجزء العلوي منه ، ببطء نحو اليمين ونحو الشمال ، وهي تنشد والجمهور يردّد مقطعاً مقطعاً :

وانا نايمن يا عمّي غربي بيدري
سمعت نقير الدف واهتز خاطري
وصحت آه يا بّي راحت حليلتي
راحت بنت عمي وراحت طليبتي
راحت ما طال الشتا والصيف
ركبت جوادي والتحقت بظعنها
لاقيت العذارى قايماتن بعرسها
عذارى عذارى وين دار الغريبة
يا قبّة البيظا عا شبابيك قصرها

غَزيّت رمحي بشبابيك قصرها
قالت مين اللي هَز باب قصرها
هذا ابن عمك اللي كان خاطبك
قامت عن فراش الحرير وسلمّت
نزلت دموع العين قبل ما تكلمت

وعند الفراغ من " الجلاوة " ، تتعالى الزغاريد ، وتتحرك العروس ببطء نحو " المصمدة ". ويعود الضرب على الدربكة مع باقة من الغناء والرقص ، ومن هذه الأغاني ، على سبيل المثال :

يا هويدلك يا هويدلي
عاشام لحْمل وانزلي
يا ويلي ويلي من إمّها
اكثر بلاي من امها
ضحكت وبيّن سنها
أم العيون العسلية
يا ويلي ويلي راح شمال
عقلي وديني ريح شمال
الله يخونك يا زمان
حرمتني شوفة هلي
يا ويلي ويلي راح بعيد
حبيب قلبي راح بعيد
فرحت وقلت اليوم عيد
حبيبي شرف منزلي

* * *

عالروزنا عالروزنا كل الهنا فيها
شو عملت الروزنا الله يجازيها
يا رايحين عا حلب حبي معاكم راح
يا محملين العنب فوق العنب تفاح
كل من عنده محبوبه
وأنا حبيبي راح
يا ربي نسمة هوا
ترد الوِلف ليّا

وبعد باقة من الأغاني والرقص ، وما يكون من انسجام وتناسق بين لحن الأغنية وصوت "الدربكّة " وإيقاع التصفيق مع حركات الفتاة التي ترقص ، تنهض إحدى " المجليات " وتهتف :

هيه قومي معانا يا بنت ام حسين
توقفي عالساقية يهتز راس العين
ان مريتِ على ميّت إلوُ سنتين
تحيا عظامه ويقوم يمشي عالثنتين

وتنهض العروس عند كل هاهة ، وتمسكها " المجلية " وهي ، طبعاً ، من جميلات الصوت وتقودها ببطء الى وسط القاعة لما يُسمّى عادة " تخدير العروس " ، وهذا يعني وقوف المجلية ممسكة بشمعة طويلة مضاءة بيد ، ومتأبطة العروس بذراعها باليد الأخرى ، وتقوم فتاة ثانية فتمسك العروس بيد وشمعة مضاءة بيد ، وتبدأ " المجلية " بالانشاد والجمهور يُردّد ، مقطعاً مقطعاً ، والمجلية والعروس والفتاة يتحركن الى اليمين واليسار ببطء :

يا نور يا نور يا نور عينيَّ
بخاف يا نور تزعل عليَّ
بخاف يا نور وتروح لغيري
وانا التعتير كله عليَّ
لبست بنفسجي وقلعت بنفسجي
وحاجي تتغنجي يا نور عينيَّ
اجت لبيتي هالشلابية
لبست بياضِ وشلحت بياضِ
وراحت للقاضي وتتشكى عليّ
لبست الزهري وشلحت الزهري
وقطعت لي ظهري هالشلابية
لبست منثوري وشلحت منثوري
كلل يا خوري والأجرة عليَّ
لبست الأزرق وشلحت الأزرق
والليلة بتفرق بالناموسية

وتنتهي " التخديرة " بالزغاريد ، وتعود العروس الى " المصمدة " ، ويعود الغناء والرقص:

الله بلاني بلاني
سهرانة طول الليالي
عروستنا يا غزالي

عروستنا يا مليحة
يا معوّدي عالدلالي
الله بلاني بلاني
عروستنا يا غزالي
سهرانة طول الليالي
سهرانة امك وأبوك
ريتهن لا يعدموك
يعدموا شقف الحرير
ويفصلوا ويلبسوك
يا بنت شيخ الأمارة
يا شجرتن بوسط حارة
والوجه كوكب منارة
والخصر خصر غزالة
يا شجرتن ما تلوحي
يا علبة المسك فوحي
والوجه كوكب صبوحي
والعنق عنق غزالة

وتنتهي الأغنية ، وتجلس الفتاة التي كانت ترقص وتنهض ثانية :

بدّر قمرنا بدّر
وأشرق علينا عالدار
صدرك يومن كشفته
فاحت علبة العطّار
فاح المسك عليّ
ودخلك حنيّ عليّ
واطلعني عالعليّة
وقالت خَيّا ما بَغْدَر
واطلعني مع بين ايديك
وخليّ الحب ليّ وليك
كنّك زعلان ولرضيك
بمندِل جناح الورور
بدّر قمرنا بدّر
واشرق عالساعة تنتين
واللي يعادي أبو فلان

نحطوا بين المدفعين
بدّر قمرنا بالدار
خلي أخوكي يلاقيني
خليّه يسْترجي يحاكيني
معي سيف وسكينة
بخلّي دَمّو يتبعثر
بدّر قمرنا بدّر
وأشرق علينا عالدار

ثم اغنية أخرى ، فرقصة :

وانت المليحة واسمك الملاّحة
حمرة خدودك تشبه التفاحة
وان كان قصرك بالسما لطولُه
واعمل قليبي للهوى مفتاحه

وتتعالى الزغاريد ويتوقف الرقص ، وتبدأ الهاهات تمهيداً لجلاوة العروس :

هيه وعيونك السود سبوني وانا أغني
هيه وخدودك الحمر سلبوا العقل مني
هيه وكنت نايم نوم متهني
هيه أجا هواك على بالي وجنّني

وبعد الفراغ من الهاهات تتقدم " المجلية " وتمسك بيد العروس وتنزلها مجدداً عن المصمدة ويبدأ الانشاد للجلاوة بنفس الحركات مع قول آخر :

هذي الأصيلة وبنت الأصايل
وهذي التي لا إنْقال عنها ولا جرى
ولا تعيّرت شبانها في المحاضر
ولا حَدا عيّرها ولا حَدا عابها
حَيّد ولا توخذ بنات النذايل
لا توخذ إلاّ البنت لو كانت امها
والبدر أخوها والهلال ابن عمها
عماتها يا زين ما حدا مثلهن
وخالاتها يا زين مثل نجوم الزواهر

ويلاحظ من هذه " الجلاوة " مواصفات العروس من حيث الأصل والسمعة ، وبعد الفراغ من هذه " الجلاوة " تبدأ جلاوة ثانية بلحن آخر وكلمات ثانية :

يا ميخذين الأصايل كثّروا المال
على عروسك حواجب خط لِقْلام
على عروسك حواجب سيوف محنيّة
تِسْوى بنات بلدك ميّة على ميّة

ومرة أخرى تنتهي " الجلاوة " بالزغاريد وتعود العروس الى " المصمدة " ويعود الجمهور الى الغناء والرقص والدبكة ، ومن الأغاني الشائعة للرقص :

عَلْ أوف مشعل أوف مشعلاني
مع السلامة يا ربعي وخلاني
حبي رماني ببْير ما اطلع منّه
يا مين يطلعني صدقة عنّه
يلعن مشعل واللي يسأل عنّه
لأنّه مشعل فضّاح النسوان
حبي رماني ببير في البيارة
شمّت فيَّ كل أهل الحارة
وشاع حبي ما بين جارة وجارة
وقالوا مشعل قتّال النسوانِ

وبعد باقة من الأغاني والرقص ، تعود الهاهات تمهيداً لجلاوة العروس ، فتقف العروس متهيئة بعد الفراغ من الهاهات للجلاوة :

هيه وعيونك السود شبه اللوز لو لوّز
وخدودك الحمر شبه الورد لَوْ كوّز
أو : وِبْزازك شبه الكوز لَوْ كوّز
نزل سلطان حسنك عالسْواق يتعوز
جبلك الحسن لا فضّل ولا عوّز

ويعقب الهاهات زغاريد ، وتبدأ " جلاوة " على نفس النسق بكلمات أخرى :

أول ما نبدا نصلّي على النبي
فطومة الزهرا جلوها عا علي
لمّن جلوها عالشريف ابن هاشم
قال الشريف ردّوا عليها لثامها
خايف عليها من عيون الحواسد
حاسد ولا تحسد ترى المطعم ألله

ويتبعون الجلاوة بكلمات أخرى :

يللي خزامك وقع في طاسة الروبي
يللي بياظك بلالي من قفا الثوبي
خُذ الأصايل وخلّي الكدش ملهوفي
ما شفتها طالعة من دارها للدار
والمبخرة في إيدها حاجي تطلب نار
كان القمر في السما شو وصّلو للدار
وصِحِت من نار قلبي آه يا ستّار

وتنتهي الجلاوة مجدداً بالزغاريد ، وتعود العروس الى " المصمدة " وبعد عدة أغان ورقصات تعود النسوة للهاهات تمهيداً " لتخدير العروس " مع الشموع ، فتصيح احداهن وتقف العروس تمهيداً للتحرك :

هيه يا بنت يللّي استوى الرمان عاصدرك
صار لي سنة وست تشهُر ما عرفت أنا اسمك
إسمي سبيكة الذهب في علبة الصايغ
ربحان يا مشتري خسران يا بايع

وبعد نزول العروس وسط الزغاريد ، يبدأ التخدير على أهزوجة :

تخدري اسم الله يا زينة
يا وردة جوا الجنينة
عرق القرنفل يا عروسه
والفلّ خيّم علينا
قومي اطلعي الله الله
بنت الأكابر يا ما شا الله
والشعر الأشقر مدلّى
أمّا العيون العسليّة
قومي اطلعي عا سريرك
طير الحمام بناغيلك
الله والعذرا تجيرك
يا حلوة يا شلبية
قومي اطلعي عا قصرك لفوق
يا ام الرقبة شبه الطوق
انا اللي وقعت ورماني الشوق
وترأفي بحالتي شوية
قومي اطلعي على الصالو
شوفي عريسك شو مالُه

يا مكسبُه يا راسمالُه
كلُّه علشان الشلبية
مرّت عليّ بحلق مصري
شبه السمك بالبحر يسري
بطلعك على قصري
وبنيمك في الناموسيّة
مرّت عليّ بحلق ألماز
شبه اللولو حابك البزاز
أمّا الخْديد احمر غمّاز
امّا العيون سود عَسَليّة

وينتهي " التخدير " بالزغاريد ، وتعود العروس الى " المصمدة " ، ويعود الجمهور الى الرقص والغناء ، واذا كانت العروس " غريبة " أي انها ستزف الى عريس من غير سكان البلدة ، فهناك بعض الأغاني الخاصة ، ولعّل أبرزها " الترويد " وكلماتها تنم عن حزن ، وأثناء انشادها تكون العروس جالسة والدموع تنهال من عينيها ومن عيون معظم الفتيات، ومن كلمات " الترويد " :

صاحت رويدي رويدتها رويدتها
رفقات العروس تعالوا تانودعها
واحنا نودّع وهي تسكب مدامعها
خيتا يا عروس لا تبكي وتبكيني
نزلت دموعك على خدك حرقتيني
ومبارحة يا رفيقة كُنّا بالحارة
وكان حسك بها الحارة مسليّني
وصار حسك مع العصفور طيّارة
ومبارحة يا رفيقة كنت أنا وأنت
وأَلَفلْفِك بحضيني وانتحب وابكي
يا سِتّي يا عروس ولا دمعة ولا دمعة
بَيّك حَنيّن يزورك ليلة الجمعة
يا ستّي يا عروس ولا دمعة ولا ثنتين
خيّك حنيّن يزورك ليلة الاثنين
يا لمّي يا لمّي طويّلي المناديلي
ورحت يا لمّي ما ودعت أنا جيلي
يا لختي يا لختي ما ودعت رفقاتي

يا لَهْلي يا لَهْلي لا يصلح لكم حالي
وشو عماكم عن ابن العم والخال

وبعد الفراغ من " الترويدة " ، يستمر الغنا والرقص داخل البيت والدبكة خارج البيت حتى منتصف الليل ، حيث يكون التعب قد أرهق الحضور وحيث يكون التجاوب مع معاني الغناء كبيراً ، وحيث يطفو على وجوه الحضور الانشراح والفرح وتغيب كل الهموم والمتاعب . بعد كل ذلك ، تهتف إحدى الحاضرات قائلة : " العروس نِعْسَت ، الله يعطيكو العافية ، عقبال اولادكو " ، فيتوقف الغناء والرقص والدبكة تدريجياً ، ويبدأ الحضور بالانصراف وتنتهي سهرة العروس .

يوم الزفاف :

يبدأ الأقارب والجيران بالتوافد يوم الزفاف - وغالباً ما يكون يوم الجمعة - الى بيت العروسين منذ الثامنة صباحاً ، ويأتي باقي المدعوين تباعاً ، وتبدأ حفلات الرقص كما كان في السهرة في بيت العروسين على أغان متنوعة ، منها :

طالعة من بيت أبوها رايحة بيت الجيران
لابسة فستان عالموضة والعيون تضرب سلام
قلت لها يا ابنية اروايني على بزازك فرجيني
قالت لي روح يا مسكينِ يا بزازي كواز الرمان
قلت لها يا بنت اروايني على خدودك فرجيني
قالت لي روح يا مسكينِ يا خدودي حب الرمان
قلت لها يا حلوة اروايني على شفافك فرجيني
قالت لي روح يا مسكينِ يا شفافي رق الفنجان

وبعد وقت قصير ، تبدأ حلقات الدبكة عند دارَي العروسين ، وحوالي الساعة العاشرة يأتي حلاق البلدة الى بيت العريس استعداداً لحلاقة ذقن العريس وتصفيف شعره ، ويستمر توافد المدعوين وتتعاقب الهاهات :

هيه الله يصبحكوا بالخير
يا اللي قاعدين عالصفّين
وان كان العريس بيناتكوا
يا ربي ترد عنّه العين

* * *

طلّت الشمس من راس الجبل طلّت
خلاّنا تحصّنت ورجالنا إلْتَفَّت

واللي شافت رجالنا وما سَمّت
تعدم صباها قبل الشمس ما طَلَّت

وبعد الزغاريد ، يبدأ الحلاق دوره ، بينما الغناء يستمر والرقص كذلك ، ومن أغاني المناسبة :

بالله يا شلبي بالله عليك
جَلِّخ مواسك وخَفّف إيديك
لا توجع العريس بَدْعي عليك
واحلق يا حلاق بالموس الذهبيّة
واحلق يا حلاّق
تمهّل يا حلاق تا تيجي الأهليّة
تمهل يا حلاق
واحلق يا حلاق بالموس الفضيّة
واحلق يا حلاق
تمهل يا حلاق عامَهْلُو تايْرضا
تمهل يا حلاق

وفيما الحلاق مستمر في عمله ببطء مسروراً بالغناء الموّجه اليه والأجرة غير العادية التي سيتقاضاها ، يستمر الغناء والرقص :

زينّو يا مزَيّن تحت فَيْ التين
يا ميمتو فرحانة وقلبها حزين
زينّو يا مزّين بموس الذهب
لا توجع لي العريس عاشِنُّه عزب
زينو يا مزين بالله عليك
لا توجع العريس بَدْعي عَليك

بعد الفراغ من عمل الحلاق يدخل العريس الى الحمام للاغتسال مع بعض الشبان ، ويبقى الرقص مستمراً والغناء كذلك .

وبعد الفراغ من الاغتسال ، يخرج العريس لابساً - وذلك خصوصاً في المدة الأخيرة - بَدْلَة سوداء وربطة عنق سوداء وقميصاً أبيض استعداداً لِ " الزّفة " فيما الرقص مستمر والغناء كذلك ، ومما يقال في هذه اللحظات :

هاتوا لنا هالعريس تنشوف حلاتُه
تنشوف بياظ عنقُه من زرق شاماته
مسعد يا هالعريس ما اكثر خواتُه
ما اكثر بنات عمُّه ما اكثر قراباتو
قاموا له في عرسُه ما احتاج غرايب

الزّفة :

يخرج العريس من الدار ويمتطي فرساً بيضاء يجرها ببطء أحد أقاربه ، ويتبعه النساء مباشرة. أمّا الرجال فيتقدمون الموكب ويرددون بصوت مرتفع بعض الأهازيج ينشدها أحدهم ، فيما الموكب يتحرك داخل شوارع القرية ، ومن ذلك :

عريسنا عنتر عبس   عنتر عبس عريسنا
يا شمس يلّلي في السما   طُلّي وشوفي فعالنا
ذبحتنا وطفة بنت ذياب   رمتنِ بسود عيونها
طيرن يطير منذبحو   من فوق راسك يا عروس
فتحي عينيكِ وافرحي   ما يهمنا دفع الفلوس
يا شمس يللي بالسّما   لا تغربي فوق النجوم
عالارض في عنّا عريس
عريسنا واحنا رجالك   احنا رجالك كُلّنا

وأثناء الطواف يجري رش الملح والأرز خوفاً من " صيبة العين " ويرش العطر من كل الجوانب على العريس ، ويتحرك الموكب فيما النساء يغنين وتضرب احداهن على الدربكة، ومن أغاني الزفة النسائية التي تقوم بها واحدة والنسوة يرددن :

شو هاالعريس الطايف   ابن الدلال والراحة
الله يخليك يا عريس   لأمك هالفلاحة
شو هالعريس الطايف   ابن الدلال والزينة
الله يخليك يا عريس   لأمك هالمسكينة
شو هالعريس الطايف   بالبدلة والطاقية
زغرتي له يا امو   جايب معه سرّية
الله يخليك يا عريس   لأمك هالسوقية
باب السرايا عالي   لِشْبِكها بأيديَّ
خلي قليبي يفرح   ياما بِكْيَت عينيّ
باب السرايا عالي   لشبكها بالمنديل
خلي قليبي يفرح   ياما بكى هالحزين
باب السرايا عالي   لشبكها بالفوطة
جيبوا العريس تيركب   هذي المهرة مربوطة

ويصار الى الانتقال لأغنية ثانية وثالثة متناسبة مع " الزفة " ومنها :

بالهنا يا ام الهنا يا بوادي

وأْلْتَوَت عيني عابيض الرقابي
والتوت عيني عالعريس الأول
قلتلو عريس ويا ابن الكرامِ
عيرني سيفك ليوم الكيوانِ
حالف سيفي حليفي ما بَعيرو
سيفي مسقط من بلاد اليمانِ
وابعثوا لاولاد عمّو يجوا لُه
بالطبول وبالزمور يلعبوا لُه
بالخيول المبرشمة يخيلوا لُه
وابعثوا لاولاد عمّو عباكر
بالطبول وبالزمور والعساكر
وابعثوا لاولاد عمّو عَشِيّة
بالطبول وبالزمور القويّة

وبعد الوصول الى دار العريس حوالي الظهر ، حيث يكون الاعداد لوليمة العرس جارياً على قدم وساق ، فتذبح الخراف ويطبخ الأرز بكثرة ، وحوالي الواحدة يتوقف الغناء ويبدأ الغذاء مع شرب القهوة ، وتتصاعد الهاهات اثناء ذلك :

هيه كُلوا صحتين وصحة
هيه واربع عوافي معها
هيه واربع غراير سمسم
هيه وعلى كل حبّة صحة

وبعد الفراغ من الأكل يعود الجمهور الى الرقص والدبكة حتى قرابة الثالثة بعد الظهر ، حيث يبدأ الاستعداد للتوجه الى بيت عزومة العريس ، ويجري في بيت العروس من رقص ودبكة وغناء ما يجري في بيت العريس ، مع استثناء واحد هو ان العروس ليس لها " زفّة". قبيل الوقت المحدد للذهاب الى دار العزومة ، يتأبط ذراع العريس الشبين مع أحد أخوته ويسيرون مشياً على الأقدام . وأمامهم مباشرة صف سحجة من الرجال ، فجمع من الرجال ثم النساء ، ويبدأ التحرك نحو دار العزومة . أمّا السحجة ، فيمشي امام الصف المتحرك " الحدّا " ويقول أهازيج ، والمصطفون يرددون ما يقول مع التصفيق الايقاعي وحركة الى الأمام والوراء أثناء السير في حين تقوم بعض الفتيات بالرقص أمام الصف وهن يحملن المحارم بأيديهن ، ويقوم بعض أنسباء العريس بتقديم الماء والسجاير لمن في الصف .

أما الجماعة الثانية من الرجال التي خلف صف السحجة ، فتقوم بالمحوربة إذ يتقدمهم أحد البارعين في الانشاد ، والجمهور يردد ما يقول :

عريسنا عنتر عبس　　　عنتر عبس عريسنا
وعريسنا ابن الكرام　　　ابن الكرام عريسنا
وعريسنا زين الشباب　　　زين الشباب عريسنا
واِللّي يعادينا نذبحه　　　ونقطّعه بسيوفنا
وبارودنا بارودنا　　　يلمع بزنود جنودنا
صرخاتنا على الحدود　　　على الحدود صرخاتنا
عاداتنا كيد العدا　　　كيد العدا عاداتنا
ويا بلادنا لازم نعود　　　وفداكِ كل رجالنا

*　　*　　*

دارٍ دعتنا للفرح　　　واجب علينا نزورها
ويا شيخنا يا أبو فلان　　　وإحنا رجالك كلنا
دار العزومة والفرح　　　للضيف فتحت بابها
وعا جدارها البلبل صدح　　　والعز فوق عتابها
ويا فرحتك يا ام العريس　　　عمّ الفرح بوجودنا
وعاداتنا شرب الدما　　　وشرب الدما عاداتنا

ووراء هذه الجماعة تسير النساء وينشدن الأغاني على قرع الدربكة ، ومن هذه الأغاني :

والسمسم الأخضر جلّل الحيطاني
قولوا للتاجر يفتح الدكان
قولوا لأمّه تفرح وتتهنا
وتقص الجوخ عا طول العرسانِ
قولوا لأمّه تفرح وتتهنا
وتقول ابني واجه الحكام

وأثناء سير الموكب باتجاه دار العزومة وعلى طول الطريق ، يستقبل الناس على جانبي الطريق الموكب بالهاهات ورش الملح والأرز والعطر واطلاق الرصاص ، وتقوم شقيقة العريس ، أو أمّه بعملية " الخياطة " ، وذلك بتمرير ابرة بخيط غير معقود الطرف ، لعدة مرات من ثياب العريس ، خشية أن يكون أحد الحساد قد كتب لُه " عقدة " أي قراءة سحرية ليفقد العريس رجولته ، كما يقوم ، للغرض نفسه ، أحد أقرباء العريس بوضع قطعة نقدية داخل حذائه ، ومن أغاني النساء ساعتئذ :

يا الله توكلنا عليك

يا الله توكلنا عليك
والناس متكلي عليك
يا خضر يا نعم الوكيل
والناس متكلي عليك
يا دارهم يا مبهجة
جاكي العريس قومي ارهجي
جاكي الشباب قومي العبي
يا دارهم يا مبهجة

وبعد وصول الموكب الى دار العزومة ، يدخل العريس مع الاشبين وجمهور الرجال ويقدم للجميع القهوة والحلوى ، بعدها يصيح والد العريس ويقول : تفضلوا يا جماعة تنروح نطلع العروس ، يذهب بعض الأقارب والأصدقاء وخلفهم جمهور النساء ، ويرّدد جمهور النساء على الطريق أغاني تتناسب والمقام ، منها :

يا بَيّ العروس كُن علينا راضي
ان زعلت علينا بتشمّت الأعادي
يا بي العروس ريت وجهك ما عبس
ولا عدوك في المقاعد جلس
يا بي العروس كثّر الترحيبي
واحنا ضيوفك من بلاد بعيدة
وافتح لنا يا صاحب البوابة
واعمل لنا مطبق على النشابة
واطبخ لنا رز كثير يكفينا
يا بي العروس طالِ عمرك طالِ
تمنيت عمرك من حجر صوانِ
لا ينكسر ولا عمره ينهانِ

وعند وصول هذا الموكب الى دار والد العروس ، تكون العروس قد لبست " بدلة العرس البيضا " وتبدأ نساء أهل العريس بالهاهات لوالد العروس :

هيه يا دار أبو فلان دقي والعبي رهجي
هيه فيك الأمارة وفيك قصورة البهجي
هيه فيكِ أبو فلان ريت العز لُه دايم
هيه على ما دارت الأمارة في قصورة البهجة

*   *   *

هيه ظليت أدوّر على الاجواد تني اناسبهم

حتى رماني الهوى على مصاطبهم
طلبت من رب السمّا حتى ينصرهم
نصرة قوية ولا يكسر بخاطرهم
* * *
احنا من أهل العريس يا تَوْنا جينا
مكحلين ومبودَرين الله يهنينا
قولوا لأبو العروس يطلع يلاقينا
عا باب الدار ما يشمت احد فينا
* * *
هيه افتحوا باب الدار
وخلي المهنّي يهنّي
وانا طلبت من الله
ما خيّب الله ظنّي
* * *
يا أبو فلان احنا اليوم بحَيّك
يا برج عالي وكل الناس بفيّك
وطلبت من رب السما يرحم عيون بيّك
ويوفق الدهر ما بينك وبين خيك

وبعد كيل من الهاهات لوالد العروس ، يتوجه بعض من أهل العريس بالهاهات الى أمها :

هيه يا ام العروس يا ملكة
يللي بالذهب مشلبكي
اعطينا عروستنا
وادعي لنا بالبركة

وبعد الهاهات ، يتقدم أحد الوجهاء من والد العروس ويقول : " من بعد أمرك يا أبو العروس ، ويا اعمامها واخوالها وأخوتها ، من فضلكم اسمحوا لنا بعروستنا " .

ويأتي الجواب : " بأمركم ، تفضلوا ، النا الشرف ، نحن أهل ، فش تكليف " .

ويأخذ أهل العروس بتقديم المرطبات والحلوى ، وأثناء ذلك ، على مدخل البيت ، تنشد بعض الأغاني ، منها :

يا بي فلان كثّر الترحيبي
واحنا ضيوفك من بلاد بعيدة

يا بي العروس كن علينا راضي
وان زعلت علينا تراضيك الجوادي
يا بي العروس طالِ عمرك طالِ
تمنيت عمرك من حجر صوانِ
لا ينكسر ولا تكيدو عدوانِ
يا بي العروس مشنشل الزَرَديّة
واسمح وجيهك واطلع هالوليّة
يا بيّ العروس لا تكون طماعِ
والمال يفنا والنسب نفاعِ
والمال يفنا والرجال تجيبوا
وان كنت زعلان تخضعك لجوادي
يا بيّ العروس لا تكون عبوسي
اسمح وجيهك واطلع العروسي

وقبيل خروج العروس تقوم احدى قريبات العريس بالهاهات للعروس :

هيه لبستك الأبيض يا غصين البان
لبستك الأبيض حتى يبان
لبستك الأبيض حتى يعيبك
طلع عليك حسن وجمال

ويبدأ التحرك من البيت نحو الخارج وعينا العروس مغرورقتان بالدموع ، ويتأبط أخوها وأحد أقربائها من الوجهاء ذراعيها ، وتقول أمها هاهات وهي باكية :

هيه ربيّت أنا ويا نعم من ربيت
ربيت صبايا الملاح والمسعدين اعطيت
قولوا للقريبة لا تصيح ولا تطلع الحس المليح
تتيجي على دار أهلها وكيف ما صاحت تصيح

وفور خروج العروس ، تقول إحدى قريبات العريس :

هيه الله معك الله معك
هيه كثر البكا وما بينفعك
هيه إذا في مسمار بدار أبوك
هيه اقلعيه وخذيه معك

وجمهور النساء يغني في هذا المقام :

طِلْعَت تجر بغطاها
يا رجالها اللي وراها

يا رجالها يومن تركب
تركب من الخيل ميّة
وحلفت فلانة ما بطلع
إلاّ باخوتي العشرة
يا أخوها باري هودجها
واصحك على فلانة تميلِ
وان مالت لفها بعباتك

وتركب العروس على الفرس ، وهي رافعة يدها اليمنى ، ومغطيّة بعباية . وينصرف الجميع بصحبة العروس ـ إلاّ امها التي تبقى في البيت ـ ، وسط غناء متواصل حتى الوصول الى باب غرفة الدخلة ، ومن هذه الأغاني :

يخلف عليكو كثّر الله خيركو
ولا عجبنا بالنسايب غيركو
وبطلعتك يا جوهرة
والشمس ردّت للورا
والشمس ردت والنجوم
والشباب قدامك هجوم
مثل المركب لما بعوم
والشمس ردت للقمر
عريسك يا عروس حضر

* * *

يا مغندرة يا مغندرة	قديش حق الكندرة
والعروس ما بتمشي حافية	إلاّ بكلسات وكندرة
يا نايمة يا نايمة	ريت العوافي دايمة
يا نايمة عالسطوح	والشعر الاشقر عم بلوح
لولا حياي من الضيوف	لاهجم واحب النايمة
يا نايمة يا مرحرحة	والخصر رق المروحة
لولا حياي من اللّحى	لاهجم واحب النايمة

اما اذا كانت العروس " غريبة " أي ان عريسها من خارج البلدة يقُلْنَ :

بالسلامة بالسلاماتي
ودعوني يا رفيقاتي
ودعوني واشتروا خاتم
بيّك يا عروس عازم حاكم
ودعوني واشتروا منديل

بيّك يا عروس عازم وزير
ودعوني واشتروا كردان
بيك يا عروس عازم سلطان
أما إذا لم تكن " غريبة " فيقلن :
صارت لنا من الحسن صارت لنا
صار الحمام يدرج على ابوابنا
صارت لنا صارت من اموالنا
مَشيّ حارتنا يا عروس
مشي حارتنا يا هيه
صرتِ كنّتنا يا عروس
صرت كنتنا يا هيه
يا طبق سمسم يا عروس
يا طبق سمسم يا هيه
عالبيدر يقسم بيّك
عالبيدر يقسم يا هيه
عازم الحكام بيّك يا عروس
عازم الحكام يا هيه
شَنِشْلي الكردان يا عروس
شنشلي الكردان يا هيه
عازم السلطان بيك يا عروس
عازم السلطان يا هيه
من غنم المور يا عروس
من غنم المور يا هيه
ما بطيق الجور يا عروس
ما بطيق الجور يا هيه
وعند اقتراب الموكب من البيت يبدأ الترحيب بالعروس بهاهات :
هيه مرحبا بيكِ مرحبا
سبع المراحب مرحبا
عيني تشوفك من بعيد
وقلبي يقلّك مرحبا
هيه مرحبا بيكِ يا نافلة
يا نجمة مع القافلة
مرحبا بيك مرحبا بللّي معك

زادت علينا بركتين وعافية

عندما يصل موكب العروس مدخل الغرفة تقوم الحماة بتقبيل كنتّها ، والكنّة تقوم بتقبيل يد حماتها ، وتضع الحماة بريق ماء على رأس العروس ، ثم تقدم اليها " الخميرة " وهي قطعة عجين تضم أوراقاً وورودا ً وتلصقها فوق مدخل البيت للتبرك بها ، وتتوجه العروس الى المصمدة ، في حين تتابع أم العريس الهاهات :

هيه الحمد الله صَبَر قلبي وما قصّر
وانْسَد جرح الهوى من بعد ما تْعَسّر
وحياة مِن خَلاّ نجوم الليل تتفَسّر
إلي زَمان عا هاليوم بتحسر
هيه الحمد الله يا غالي
هيه فرحتني للغالي
فرحتني وفرحت قلبي
وفرقت على جيراني

ثم تتوجّه الى الجميع :

هيه والشباب كُلْهِن
هيه ولا يعدمني فضلهن
هيه واليوم الافراح عنّا
هيه والعقبال لعندهن

ثم تتوجّه الى العروس :

يا ريتك مباركة علينا يا كنّة
وتجيبي تناشر صبي وتكثري الأمّةِ
يا ريتك مباركة علينا علينا
وتجيبي تناشر صبي يلعبوا حوالينا
يا ريتك مباركة على فلان لَحالُه
وتجيبي تناشر صبي وتْمَليّلو داره
يا ريتك مباركة على السلف والسلفة
وتجيبي تناشر صبي وتكثري الخِلْفي

ثم يبدأ الرقص والغناء ، على ايقاع التصفيق وقرع الدربكة ، ومن الأغاني في هذا المقام :

يا فلانة بَنّي طاقة للحمامات
وعدوّك هالمصدّق قالوا لي مات
قالوا لي عنّه طيّب وبدري مغيّب

يا ريقك يا الحبيّب سكر نبات
وريقك عسل سليني بفناجيني
طفران وعايف ديني ولا تحاكيني
طفران وعايف ديني من هالسّتات
يا فلان يعَمّر بيتك لها الخوات
*   *   *

الحمد الله قد زال الهم الحمد الله
زرعنا قرنفل بالحر الحمد الله
قالوا عدانا ما بخضّر الحمد الله
الحمد الله فرعن واخضر الحمد الله
الحمد الله بنينا دار الحمد الله
الحمد الله انتلت عرسان الحمد الله
الحمد الله بنينا حوش الحمد الله
الحمد الله انتلينا قروش الحمد الله

بعد أن عرضنا كيفية وصول العروس الى بيت الدخلة ، نعود الى العريس ونرى كيف يُؤتى به أيضاً الى غرفة الدخلة .

بعد أن تصل العروس غرفة الدخلة ، يعود وفد الرجال الذي اصطحبها الى مكان العريس، ويستأذن أحد الوجهاء من المُضيف بأخذ العريس ، ويقوم أحد الرجال ويقول : "عريسكو يا شباب " فيتهيأ جمهور الرجال ، ويبدأ التحرك من بيت المُضيف نحو غرفة الدخلة ، ويردد جمهور الرجال على الطريق أغاني تتناسب والمقام ، منها :

صَلِّ وسلم يا رحمن
على المبعوث في القرآن
يا ربي صَلِّ على طه
خير الخلق وأحلاها
والكرّار أبا الكُرماء
والزهراء وابناها
صلِّ وسلّم يا الله
على النبي ومن والاه

وعند وصول الموكب مدخل غرفة العروس يتقدم الشيخ ويؤذن على رأس العريس "الآذان الشرعي " ، وعند أتمام الآذان يدخل العريس الغرفة متجهاً نحو العروس ، والتي تكون واقفة مرتدية فستاناً أبيض وعلى رأسها الطرحة ، ووجهها مُغطّى بمنديل أبيض شفّاف ، فيرفع العريس المنديل عن

وجهها ويضربها بعصا " الهدف من هذه الضربة اذلالها وكسر شوكتها " .
بعدها تبدأ النساء بالأغاني والأهازيج مثل :

يا دايسي الليلة دوسي
يا مباركة يا عَروسي
دوسي عالفرشة لحالك
يا مباركة عا ابن خالك
دوسي عَالفرشة بقميصك
يا مباركة عا عَريسك
دوسي عالفرشة بيمك
يا مباركة عا ابن عمّك

بينما الرجال أمام مدخل الغرفة يرقصون ويسحجون على أنغام أغنية :

عمّر البيتي عمّر بحياة الرجال
واحنا رجال العريس سبوعا
وما احنا انذالِ

في وسط هذا الصخب المليء بالفرحة يخرج العريس يصافح الرجال ويباركون له بالفرحة التامة ، ثم يعود ويجلس بجانب العروس على المصمدة ، وتبدأ التجلاية مع الانشاد :

جلوا الأصيلة بنت الأصايل

وبعد الفراغ من الجلاوة يطفئون الشموع ويغنون :

يا بدوّية عليش وما عليش
كل يوم وانتي جايتينا بجيش
شافك الخيّال وميّل صوبنا
دَشرّ المهرة ولا ندري عليش

وتستمر السهرة ، بالرقص والغناء والهاهات ، حتى العاشرة ليلاً ، وتنتهي السهرة عندما تقف احدى النساء قائلة : " يا جماعة العرسان نعسوا ، بدهم يناموا ، الله يعطيكم العافية، عقبال عندكم " ، ويبارك الحاضرون ، بسرعة ويتم الانصراف .

عشاء العروسين والخلوة :

بعد انصراف الناس ، تحضر أم العريس العشاء للعروسين . وقد جرت العادة أن يكون الطعام من أفضل ما في الذبائح . وبعد العشاء ، ينصرف الأهل من البيت تاركين العروسين وحدهما ، حيث لم يكن خروج العريس عن بيت أبيه حتى الأربعينات ـ أمراً مألوفاً ، اذ كان يعيش مع أسرته ، وقد

يكون في البيت اكثر من كنّة . وتسمى هذه الليلة، أي الليلة الأولى من الزواج ، ليلة " الدخلة " . ومن الاهمية بمكان ، بالنسبة لأهل العروس والعريس أن تكون العروس لا تزال بكراً . كما ان العروس تحتفظ بدم بكارتها على منديل أبيض لتريه لأمها وحماتها وقريباتها عندما يحضرن مباركات لها ، كشهادة على انها عذراء عفيفة وانها ليست ثيّباً ، الأمر الذي يُعلي مكانتها . ولو كان العكس ، لقامت المشاحنات فوراً وحصل الطلاق .

الصبحية :

في اليوم التالي للدخلة ، يتم عزيمة القرايب والجيران لنقل " جهاز " العروس من بيت والديها ، وسط أغاني وأهازيج ، وعند وصول الموكب بيت أهل العروس ، يستقبل الموكب بالترحيب والمباركة وتقدم لهم الحلوى والقهوة ، بعدها تحمل النسوة جهاز العروس - الملابس توضع على أطباق ملونة مصنوعة من القش وتغطى بمناديل مزركشة بالخرز ، وتحمل بقية النساء الزانة بعد تفكيكها ويعود الموكب حاملاً الجهاز مسروراً يغني:

حَمّل الزين يا زين
حمل الزين وشال
واحنا رجال العريس
سبوعا وما إحنا نذال
إلاّ جهازك يا فلانة
ما تشيلو إلاّ الجمال
تحت فيّ الخزينة
قيّل الشب ونام
يا حامل الصندوق من قاعته
ردّوا عَالصندوق صَنّاعته
ما يحمل الصندوق غير الفتى

اسبوع ما بعد الزواج :

تبدأ " المباركة " ، أي تقديم التهاني ، ابتداء من أول يوم بعد الزواج ، ويكون ذلك بعد الظهر ، حيث تصل العائلات تباعاً ، ويقدم الأقرباء والأصدقاء " النقوط " وهو عادة متبعة ، إمّا ان يكون خروفاً ، أو نقوداً . وتقدم المرطبات والحلوى والسجاير والقهوة للمهنئين الذين يخاطبون العروسين عند الوصول وعند الانصراف قائلين " مبروك " انشا الله بتتوفقوا " . ويأتي الجواب : " عقبالك " للأعزب ، " وعقبال فرحة

عرسانكم " للمتزوجين ، وتستمر التهاني حتى نهاية الاسبوع ، وتلاقي العروس ، في أول الأمر ، بشاشة متزايدة من أهل العريس .

ردّة الرجل :

يرسل العريس " ذبيحة " ، أي خروفاً ، لدار عمّه - أهل العروس - أول خميس بعد الزواج ، ويوم الجمعة - أي بعض مضي اسبوع على الزواج - يذهب العروسان برفقة جمهور من الأقرباء والأهل الى بيت والد العروس ، وتكون العروس مرتدية فستاناً أسود يتوجه العروسان ، مع المدعوين ، بالأهازيج والغناء ، الى دار العروس لتناول الغذاء ، وبعد ذلك ، يأخذ المدعوون بالانصراف ، ويبقى العروسان حتى الغد ثم يعودان الى دار والد العريس .

المتاعب الزوجية :

تتنوع هذه المتاعب وتتعدد ، وتكون بين الزوجين لدواعٍ متعددة منها عدم التفاهم والانسجام ، ومنها علاقة العريس مع أهل زوجته ورغبة هؤلاء في التدخل بشؤونه الخاصة، ومنها عدم الانسجام بين العروس وأهل زوجها بسبب رغبتهم في التسلط عليها ، ومنها الضائقة الاقتصادية ، ومنها الشك بأمانة زوجته ، ومنها التفاوت بالسن ، وفض الزواج ليس هيّن ، وهذا يعني ان على المرأة الرضوخ :

وقع الحر لا يلبط

إذ أن تركها بيت زوجها والذهاب الى بيت والدها يترك اثراً سيئاً بالنسبة لسمعتها . لكن بعض الحالات كانت تحتم على الزوجة مغادرة منزل الزوج أحياناً ، وما تلبث ان تعود ، بعد مداولات وشروط معينة واحياناً نادرة لا تعود اطلاقاً . واذا تفاهم الزوجان على الطلاق يحدث ذلك عن طريق المحكمة الشرعية ، أمّا نسبة الطلاق لدى السكان فضئيلة.

الكنة والحماه :

تشعر ، أم العريس ، عادة ، انها أخذت تخسر شيئاً من محبة ابنها لها بسبب حب الأبن لزوجته ولدار عَمّه ، كما تمتغص من محاولة استقلالية ابنها وعدم الرضوخ الكلي لها ، فيتحول ذلك الى عدم محبّة زوجة ابنها " الكنّة " :

إن كانت الحماة بتحب الكنة ، بتدخل الكلاب الجنة
الوجه وجه حنة ، القَفا قَفا كنّة
مصيرك يا كنّة تصيري حماة

ومن الطبيعي ان تقابل الكنة الحماة بفتور وجفاء ، الأمر الذي يرتد ، سلبياً ، على الحياة الزوجية ، وتزداد المصاعب اذا كانت الكنّة تعيش مع حماتها في بيت واحد ، فيصبح الزوج بين نارين ، في وضع حرج لا يحسد عليه :

الكي بالنار ولا حماي بالدار

أهلك لا تقربهم ، يقرصك عقربهم

تعدد الزوجات :

لم يكن ذلك شائعاً ، ونادراً ما حدث . أمّا الدوافع اليه ، فعائدة اما الى العقم واما الى عدم انجاب ذكور واما بسبب هرم الزوجة والوقوع في شرك يافعة . وينشأ عن ذلك مشاكل بين الزوج والزوجة الأولى وبين الزوجتين ، اضافة الى عدم اهتمام الزوج بأولاد الزوجة الأولى والقيام بتربيتهم ومعاملتهم على قدم المساواة مع أولاد الزوجة الثانية ، الأمر الذي يؤدي الى جفاء بين الأخوة ، وغالباً ما يؤدي الانحياز للثانية تذمر الأولى ، ناهيك بالعبء الاقتصادي ، كل ذلك بسبب مشاكل زوجية متعبة :

مَرْكب الضراير سار ، ومركب السّلفات إحتار

الضُرّة مُرّة ولو كانت من حلق الجرّة

ابن الضرّة منوش مَسَرّة

اذا بدك غراب البين تزوج ثِنْتين

السّلفات :

والمقصود بالسلفات زوجات الأخوة . أحياناً تفتر العلاقة بينهن بسبب أوضاع مالية تكون عند الواحدة أفضل من الثانية ، أو بسبب محبة أهل الزوج لكنّة اكثر من كنّة ، أو بسبب سوء معاملة الأخ لزوجته وحُسْن معاملة الأخ الآخر لزوجته ، الأمر الذي يفسح مجالاً للقيل والقال ويترك متاعب زوجية بسبب تحاسد السلفات :

كيد السّلف مثل طَق الزّلف

زواج البَدَل :

والمقصود بذلك ان تتم مبادلة بين شابين ، فيتزوج الواحد شقيقة الآخر . ومَرَدّ ذلك لعوامل متعددة منها الفقر وغلاء المهر وتكاليف الزواج الباهظة ، ومنها تقوية أواصر القرابة . وفي حال حصول " البدل " لا تدفع المهور ، ويقوم أهل كل فتاة بشراء "الكسوة" . أمّا سلبيات البدل فهي ناتجة عن أي خلاف بين زوجين ينتقل الى الزوجين الآخرين ، ويتعدى الى الحموات والكنآت ، وينشأ كره بين السلفات لاعتقاد الواحدة أنّ تَنْغيص عيشها متأثر بسبب سلفتها . وحدث في بعض الحالات طلاق مزدوج .

هذا كل ما يتعلق بالزواج . بقي ان ننتقل الى الأمور التي لها صلة به .

الحمل :

يصبح انجاب الأطفال بعد تحقيق الزواج الهدف الرئيسي لتكوين أسرة ، فبعد ان كان القول في المجاملات " عقبال فرحتك " يصبح بعد الزواج " الله يطعمك عريس " ، والملاحظ في صفورية ، وهي لا تشذ عن غيرها من القرى ، ان المرأة هي الاكثر تلهفاً للانجاب المبكر لعدة دواع لعل اهمها :

1- غريزة الأمومة التي فيها والرغبة في تحقيقها .

2- تثبيت وجودها في البيت ، إذ أن الانجاب يوطّد الترابط ويعيق الطلاق ويبعد ، الى حد ، امكانية وجود " ضُرة " لذلك يقولون عندما تنجب المرأة " انها دَقّت اوتادها في البيت " .

أمّا الرجل ، فلا تقل رغبته عن المرأة وان اختلفت الدواعي ، فالرجل يريد زيادة " عزوتُه" لتقوية مكانته الاجتماعية ، وأهل العريس يميلون لأن يروا لأبنائهم البنين في حياتهم ، إذ "ما أعز من الولد إلاّ ولد الولد " .

تأخر الحمل وعلاجه :

إن تأخر الحمل يثير القلق للعروسين وللأهل ، ويحاول كل أن يلقي باللائمة على الآخر ، وغالباً ما يكون من المرأة إمّا لصغر سنها أو لخلل ما في الجهاز التناسلي ، ويُنظر الى مثل هذا الأمر بجديّة لأنه يثير الشكوك والقلق ويطعن في السمعة العائلية في الصميم . لهذا تسارع العروس وامها الى علاج خشية أن تتهم بالعقم ، ومن الأساليب التي كانت متبعة قبل انتشار الطب :

1- الكي : بحيث يكون على بيت الطلق من الامام والخلف ، والغاية منه اخراج بعض الاوساخ المعيقة للحمل .

2- التمليس : وهو تدليك بطن المرأة بالزيت من أعلى البطن الى أسفله ، وتقوم القابلة (الداية) بذلك على اعتبار ان " المُولَدِة " مرتفعه والتمليس يعيدها الى مكانها الطبيعي .

3- الحمامات : حيث تذهب المرأة الى حمامات طبريا بعد مجيء " الدورة الشهرية " بثلاثة أيام ، والاعتقاد السائد ان السخونة في الحمامات تدفع " البرودة " من جهاز المرأة التناسلي مع تصبب العرق بكثرة .
4- اللزقة : وتوضع على ظهر المرأة في القسم الأوسط منه ، وذلك لشد الظهر ومساعدة المرأة على الحمل .
5- عمل حجاب عند المشايخ : ومن هؤلاء المشايخ الذين كانوا يقومون بالأمر الشيخ عمران وغيره من مشايخ السعدية ، ولقد كانت المرأة تعلق الحجاب بعنقها .
أمّا التي كانت تتعرض لموت أولادها تباعاً في طفولتهم ، فكانت ، أيضاً ، تذهب الى الشيخ وتعمل حجاباً ثم تقدم النذور . ومن العادات المتبعة أن تدلي الأم في " بئر مار الياس " وتقول : " يا سيدي يا مار الياس ، ما عاش على راسي راس ، ويا رب ان عاش على راس راس لازورك يا مار الياس " .

من الحمل الى الولادة :

قد يكون عدم مجيء " العادة " أي الحيض العلامة الأولى ، فاذا تأخرت عن موعدها توحي المرأة للزوج بذلك ايحاء بشكل غير مباشر ، فتطلب ملاطفتها في المداعبة بحيث لا يضربها أو يضايقها ، فيستدل انها حامل ويعمل على " توقيها " ، ويتبع تأخر " العادة " مؤشرات أخرى ، على اعتبار ان تأخر العادة ليس ظاهرة كافية فقد تتأخر لسبب ما فيقولون " غَبَّتها " ، وهذه المؤشرات هي :
التقيؤ غير العادي ، وفقدان شهية الأكل ، وظهور الكلف على وجه المرأة ، وكذلك الوحام ، وهي في هذه الفترة تكثر من اكل الحامض والخضروات ، وعلى أهل زوجها تقديم ما تطلب وفي حال التخلف يظهر على جسم المولود ما اشتهتهُ من فاكهة أو سواها، على حد تصورهم ، وغالباً ما تنحرف صحة الحامل قبل الشهر السادس . وآخر علامة فارقة للحمل يعبر عنها في صفورية بلفظة " مستقيمة " ، يكبر بطن المرأة وتأخذ النسوة بنقل خبر الحمل بقولهم " فلانة مستقيمة " ، يخزي العين ، اسم الله " ، ويعبرون عن هذا الواقع بالمثل المتداول " كل شيء بخفى إلاّ الحب والحبل والركوب على الجمل ". أما العلامة الفاصلة ، فهي الحركة : وهذه تشعر بها الحامل وتستمر بمراقبة الحركة للتأكد من ان الجنين لا يزال حيّاً ، وتحاول معرفة الجنين فيما إذا كان ذكراً أم أنثى ، وذلك عن طريق الحركة ، فاذا كان صبياً تكون الحركة لطيفة ، واذا كانت على شكل دقات تكون بنتاً

. ومن التخمينات المتبعة لمعرفة جنس الجنين ، اذا كان كبر بطنها متجّهاً الى الأعلى فإن الجنين يكون ذكراً ، واذا كان الجنين في قعر البطن فالجنين أنثى ، واذا كان ظهر المرأة الحامل عريضاً فإن الناس يقولون انها حامل بأنثى ، واذا كان عادياً فالجنين ذكر .

تصرفات الحامل :

تهتم الحامل بالحرص على جنينها ، ويغلب على كل حركاتها الحذر خشية الاجهاض ، ويظهر هذا الحرص في عدة أمور :

1- أثناء النوم لا تقلب جسمها ، بل تجلس ثم تغير اتجاه نومها .
2- لا تقوم بحمل أي شيء ثقيل على رأسها أو بين يديها .
3- تهتم بتناول الأكل المغذي .

وغالباً ما يكون الحذر والحرص في الأشهر الأولى من الحمل ، كما ان العائلة تهتم بالمراقبة ولا تسمح لها بالقيام بأي عمل شاق ، ويهتمون بعدم اطلاعها على أي خبر مزعج مفاجىء . وعندما يسألها أحد سؤالاً يقول لها " بحياة حملك " ، أمّا في حال المشاجرة ، فتقول لها من تتشاجر معها " ريتك تُطُلقي الطلقة وتشهقي الشهقة " .

تفضيل الذكور على الأناث :

من الأمور الشائعة ، ان جميع الناس يفضلون ان يكون المولود ذكراً لعدة أسباب :

1- الابن لا يلحق عاراً بشرف العائلة ، بينما البنت قد تجنح فتعرض شرف العائلة للتلوث .

2- الذكور من المواليد " يقوون العزوة " ويصبح للوالد مكانة اجتماعية لكثرة عدد شبانه إذ يصبح " مهيب الجانب " ، والمثل يقول :

بيت رجال ولا بيت مال
الفقر فقر الرجال مش فقر المال

3- يساعد الابناء الوالد في الاعمال الزراعية الشاقة . من هنا ، عندما يموت الوالد ، يقولون :

اللي خَلّف ما مات

اما الذي لا ينجب ذكوراً ، فيقولون : " يتعب ويشقى لغيره " ، على اعتبار ان احفاده من بناته ليسوا من صلب العائلة .

الولادة :

1- المكان : بقيت الولادة تتم في البيت ، إلاّ في حالات نادرة جداً في المستشفى ، حتى عام النكبة (1948) .

2- طريقة الولادة : تقوم الحامل باطلاع زوجها على توقع الوضع عندما تشعر بآلام "الطلق" ، فيستدعي القابلة والأقارب من النساء بمن فيهن والدته ووالدتها ، في حين يجلس الزوج في مكان آخر . وعندما تصل القابلة ، تحضر معها " كرسي الولادة " ، وهو كرسي مثقوب الوسط ، فتجلس عليه المرأة وتأخذ النسوة يقلن : " يا الله " أو " يا محمد ... تكون معها وتساعدها " ، وأحياناً يقلن مشجعات وهي تصرخ من الألم : " عيني ولدك يا حبيبتي ، شدي لتحت ، سكري ثمك ، الله يعينك " ، وتأخذ القابلة بتشجيعها فتقول لها : " قربت " ، أي اقترب وقت الوضع . وحينما ينزل المولود تكون القابلة أول من يمسك به ، وينصب الاهتمام لمعرفة جنس المولود ، فإذا كان صبياً تقول الحاضرات : " يخزي العين صبي ، اسم الله صبي " ، واذا كانت بنتاً يقلن : " الحمد الله على سلامتها" وتهرول إحدى الحاضرات لاطلاع الزوج ، فإذا كان المولود صبياً قالت له : " البشارة عندك أجاك صبي " فيقدم لها هدية ، واذا كانت بنتاً تقول له : " الله يخلّي أبوها وأخوها" ومن العادات المتبعة ، رمي " الصُّرة " في الماء الجاري ووضع " المشيمة " في التراب حتى لا يأكلها حيوان . وتقوم القابلة " بتمليح المولود ، أي دهن جسمه بالزيت والملح ، ويمكن أن يستطلع الجيران نوع الجنس من الصوت ، فإذا علت الزغاريد يكون المولود صبياً ، واذا تمّ الوضع والصمت مخيم فالمولود أنثى ، والبعض يقول : " أجت لفلان مصيبة" ، أمّا بالنسبة للأم ، فيقدم لها الطعام المغذي ، من الدجاج واللحوم ، بغية ان يدر حليبها . ويأتي الناس تباعاً في الأيام التي تلي الولادة ، بعضهم يقدم " النقوط " ، وتردد عبارة " مبروك العريس ، ان شاء الله يتربى بحياتكم " ، أمّا بالنسبة للبنت ، فيقولون : "مبروك العروس " ، وتقدم الحلوى بكثرة إذا كان المولود صبياً . وعندما يكبر المولود ، فاذا كان عاقاً يقولون :" الله يلعن اللي بشّرت فيه " أو " الله يلعن اللي سَحْبت رجليه "، واذا كان فاضلاً يقولون : " يسلم اللي بشر فيه ، يطوّل عمر اللي سحبت رجليه " .

3- التسمية : كانت العادة المتبعة تسمية الابن البكر على اسم جده لأبيه والبنت على اسم جدتها لأمها ، أمّا بقية الابناء فيكون الرأي للوالدين بعد التشاور . واختيار الاسم متنوع :

أ- اسماء دينية : وكانت شائعة بنسبة كبيرة حتى نهاية القرن التاسع عشر ، وعلى سبيل المثال : محمد ، احمد ، علي ، حسين ، مصطفى ، عمر ، طه ، وهذا بالنسبة للذكور ، وبالنسبة للاناث نجد من الاسماء بكثرة مثل : فاطمة ، آمنة ، عائشة .

ب- اسماء حيوانات : نمر ، ذيب ، صقر ، حمامة ، وغالباً ما كانت تطلق هذه الاسماء في حالات محدودة ومقصورة على بعض المواليد الذين مات لهم أخوة صغار كُثر .
ج- اسماء نباتات : تفاحة ، وردة ، ياسمين ، نرجس .
د- اسماء فلكية : نجمة ، ثريا ، قمر ، زهرة ، شمس .
ه- اسماء فأل : نهاية ، أمل ، نجاة ، سلام ، ناجي ، حرب ، كفاية .
و- اسماء وطنية : جهاد ، انتصار ، افتخار ، نضال ، وهذه الأخيرة حديثة أخذت تظهر بعد انطلاقة شعلة الثورة الفلسطينية في منتصف الثلاثينات .
ز- اسماء حديثة ترتبط بالامجاد السالفة : صلاح ، فراس ، زياد ، مأمون ، خالد .
ح- اسماء حديثة غير مبتذلة : سامر ، رائد ، سائد ، زاهي ، مي .

الرضاعة والفطام :

من المعروف ان حليب الأم لا يصبح متوفراً منذ اليوم الأول للوضع . وقد جرت العادة أن تقوم الأم بتلحيس وليدها الماء مع السكر ، ليومين أو ثلاثة . وعند تعسّر الرضاعة ، تقوم القابلة بعد أن تمسك بالطفل ، فتحلب بيدها من ثدي الوالدة في فمة . أمّا في المدة الأخيرة فقد استعملت " الشفاطة " ولكي تدر الأم الحليب ، جرت العادة على تناولها اطعمة معينة، منها البيض والحليب اعتقاداً من الأم بأن ذلك يمكنها من مد رضيعها بالحليب الكافي . واذا بقي حليبها شحيحاً ، فقد درج البعض على اطعام الرضيع من حليب الحمير، وفي ذلك - على حد رأيهم - فائدتان ، غذائية ووقائية ، لذلك نرى الناس ينعتون الصبي بقولهم " راضع حليب حمير " وكلما بكى الطفل تسارع الأم الى ارضاعه لاعتقادها انه جائع : " الطفل ببكي يا من جوع يا موجوع " . وقبل ان تبدأ تقول : بسم الله الرحمن الرحيم ، وكثيراً ما تخاف عليه من " صيبة العين " فتعلق خرزة زرقاء حول عنقه أو في ثيابه . كما كانت الأم تقوم بارضاع وليدها في أي مكان وعلى مرأى من الحاضرين دون أي حرج ، فتضعه في حضنها وتضع يدها تحت رأسه وتمسك بيدها الأخرى ثديها وتضعه في فم الطفل ، هذا في النهار ، أمّا في الليل فتضع ثديها في فمه دون ان ترفعه ، وعندما يتشردق تحمله الأم وتضربه بخفة على ظهره ثم ينام في حضنها على بطنه . ويذهب البعض الى ان التهاب الثدي ناتج عن " تدشي " الطفل في ثدي امه ، فتضطر الأم ، والحالة هذه ، إلى ترضيعه من امهات أخريات ، وبذلك تتم " مقارضة " في الرضاعة .

واثناء فترة الرضاعة ، تبدأ الأم تدريجياً بتحضير بعض الأطعمة للرضيع ، لاعتقادها بأن حليبها غير كافٍ ، فتقوم بوضع حبة الحلقوم أو حبة قطيّن في صرّة بيضاء وتضعها في فم الطفل ، أو أن تضع قليلاً من اللوز المدقوق مع سكر في الصُرّة ، ثم تأخذ بصنع المهلبية وهي تتألف من الحليب والطحين والسكر بحيث تغلى على النار ، وفي الشهر الرابع يمكن اطعامه البطاطا المسلوقة . وتستمر القابلة بتفقد الأم والرضيع لمدة أسبوع ، وتنهي الزيارة باستحمام الأم ، ولم تكن الرضاعة الصناعية معروفة - حتى عام النكبة 1948م - إلاّ على نطاق ضيق جداً وبطرق مختلفة عن اليوم ، إذ كان ذلك يتم دون العودة الى طبيب .

الفطام وطرقه :

جرت العادة أن تستمر عملية الرضاعة من ثدي الأم بين سنة وسنة ونصف للأنثى وبين سنتين وثلاث للذكر . ثم يلي ذلك الفطام ، وهذا يعني توقف الأم عن ارضاع مولودها من ثديها .

وهناك طريقتان للفطام ، أمّا أن تضع الأم على حلمة ثديها " الكينا " كي يجد الرضيع مرارة فيبتعد عن الثدي ، وامّا أن ترسله الى بيت جدته لأمه لمدة أسبوعين كي ينسى الرضاعة من ثدي امه ، ومنذ ذلك الوقت ، تأخذ الأم أو الجدة بإطعام المولود مختلف الأطعمة الخفيفة .

التسنين :

تأخذ الأم والعمة والجدة بلمس لثّة الرضيع بين الحين والآخر بعد الشهر الرابع ،وعندما تبدأ الاسنان بالبروز ويصاب الطفل بالاسهال تقوم الأم بغلي " المرميّة " وهي نبات برّي معروف ، وتسقي رضيعها ، واذا لم تنجح تبادر الى مراجعة الطبيب ، وكانوا يعتقدون ان صاحب الأسنان المتباعدة " المفرقين " ، يصيب بالعين : " اسنانه فُرُق وعيونُه زُرق " .

وتقوم الأم بعمل " السنونية " وهي عبارة عن قمح مسلوق يضاف اليه اللوز والزبيب والرمان والملبس ويوزع على الجيران والأقارب في صحون تُعاد مملوءة بالحلوى ، واذا ظهر سنّه غنّوا له : طلع سنّو ، فِرْحَت إمْو ، زِعِل بَيّو عالخبزات .

تربية الأطفال :

1- العناية الصحية :

جرت العادة على " تمليح " المولود رأساً ، بحيث تقوم القابلة بدهن جلده بالزيت والملح ، ثم " يْرَيْحنوه " أي يقومون بدهن جلده بالريحان المسحوق الممزوج بالزيت . وتضع الأم في عينيه نقطاً من حليب ثديها مرتين أو

ثلاث مرات ، وعادة يقولون لمن كان وقحاً : "مش محلوب في عينيه " . أمّا بالنسبة " للسماط " فكانوا يرشون بين فخديه قليلاً من التراب الأبيض الناعم ممزوجاً بالزيت ويسمونه " الرّشق " . أمّا تحميم الطفل فبعد ثلاثة أيام من الوضع ، وأمّا شعره فكان لا يقص واذا أصبح طويلاً يقصّون أطرافه ، كذلك الأظافر لا تقص إلاّ بعد ثلاثة أشهر على الأقل . ومن عادة الأمهات ان يضعن الكحل في عيني الرضيع ،لاعتقادهن ان ذلك يقي العينين ويبعد عنهما الرّمد .

سرير الطفل :

جرت العادة ، في الشهر الأول من الوضع ، أن يوضع المولود على طبق مصنوع من القش الملّون أو غربال ، ثم ، بعد ذلك ، يوضع في " مرجيحة " وهي عبارة عن كيس من الخيش يوضع في طرفيه حبل يُربط في اطراف البيت ويهتز يميناً ويساراً . وأحياناً ، كانوا يعملون " مرجيحة " من الخشب وهي أشبه بصندوق يُربط من زواياه الأربع بحبل ويعلق بالسقف ويكون سطحه العلوي بلا غطاء خشبي ، ثم تدرجوا الى صناعة السرير الخشبي فالحديدي .

ملابس الصغار :

تبدأ الأم بتحضير الثياب للمولود المنتظر من الشهر السابع للحمل ، وكانت العادة المتبعة الى وقت متأخر أن لا تبتاع ملابس جديدة بل تخيط ملابس للمولود من ثيابها وثياب زوجها القديمة . ومن هذه الملابس " القمايط " و " اللفاعات " و " حفاظات " وقبعة للرأس ، ومن الملابس التي استعملت لوقت طويل " الثوب " وفوقه " الفستان " ،كما كانت الأم تقوم بعمل " كلكول " من الصوف لوقاية رجلي الطفل ، بالاضافة الى الجرازي الصوفية التي تقوم الأم بصنعها ، على ان الأمر تبدل في الثلاثينات والأربعينات ، فباتت الأم تشتري ثياباً جديدة بعضها جاهز والآخر غير جاهز تقوم هي بخياطته ، كما درجت العادة على ان يقدم المهنئون هدايا من الثياب الجاهزة وغير جاهزة في المدة الأخيرة قبل النزوح .

الطفل - من الجلوس الى المشي :

تأخذ الأم منذ الشهر الخامس بتدريب مولودها على الجلوس ، على ان الاعتقاد السائد هو ان الصبي أقوى من البنت ، لذلك تبدأ الأم بتدريب ابنها على الجلوس أحياناً منذ الشهر الرابع وذلك بوضع المساند حوله ، ويرددون لذلك : " ابن أربعة ربعوه وان ما قعدش بالكف إصفعوه ". اما البنت فتأخذ الأم بالعمل على تعويدها الجلوس ابتداء من الشهر السادس ،

ويرددون : " بنت ستّة ستتوها وان ما قعدت لا تغصبوها " ، اعتقاداً منهم بأنها أضعف بنية ، وبعد الشهر السادس من الولادة ، يبدأ الطفل " بالحبي " . ويكون ذلك على يديه ورجليه وأحياناً على مؤخرته . وتعمل الأم على تدريب ابنها على الحبو ، فتضع لعبة على بعد خطوات منه ، أو تدعوه بيديها ليتحرك نحوها . وبعد السنة ، يأخذ المولود بالوقوف تدريجياً ، وتدربه امه على المشي ، فتضع أمامه كرسياً صغيراً وتجره ببطء فيأخذ الطفل بنقل قدميه وهو متكىء عليه . وأحياناً تمسك الأم بيد ابنها وتسير واياه وتوقفه على بعد خطوات وتطلب اليه أن يأتي اليها وحده ، فيسير وهي تراقبه ، وتمسكه إذا شعرت انه سيقع وتغني له عند الوقوف :

دادي دادي سبقوك لولادي

دادي شطة بطة　　　دادي ياجرين القطة

دادي ياقرين الفول　　　دادي حمص مبلول

دادي يا ابن امّه　　　دادي ذهب بكمُّه

دادي يا ابن أبوه　　　دادي عشرة يقربوه

تعليم الأطفال النطق :

للطفل لغة خاصة يعلمونها إيّاه ، عندما يبدأ بالكلام . وقد وجدنا أنها مشتركه بين كثير من القرى المتباعدة في فلسطين ، وهي حَرِيّة بالتسجيل .

الأب : أبّاه

الأم : مَمّا ، أُمّاه

الشرب : إنْبُو - إمْبُو

النوم : نِنّي

المشي : دادي - دادي

المداعبة : إنْ كُغْ - كُغّا

الوجع : واوا

نفاذ الشيء وعدم وجوده : بَح

الضرب والقصاص والتهديد: دِدِّه

الجديد : دَحْ ، دَحّه

القبيح : كُخْ

الصغير : نونّو - بوبُّو

الكلب : هَوْهَوْ

الخروف والبقرة : مَعْ

اللحمة : مَعْمَعْ

البيضة : قاقا
التخويف : بُعْبُعْ أو هَمْ
المشي القليل : نُونُو
الأخ أو الأخت : خَيّوه
حلو : مَحّه
تيته : جَدّة
أكل : بَقّه

أغاني الأمهات للصغار :

تقوم الأم عادة بمداعبة طفلها وملاعبته بوضع اصبعها على شفتّه السفلى وهي تقول له : "انكُغّا " كما تقوم ، أثناء الرضاعة أو الغسل ، بترديد بعض الأغاني فاذا كان المولود أنثى تردد لها أغاني خاصة ، منها :

يا بنت يا بنّوتي ريتك جَعْلِك ما تموتي
تموت القطة والفارة وتْظَل فلانة بالحارة

أمّا إذا كان المولود ذكراً ، فهناك أغاني خاصة ، منها :

يا حبيب الحبايب يا رفيق الحَطّابات
واللي زوجها غايب يجي فلان عندها يبات

* * *

اسم الله اسم الله عليك وعين الحاسدة تعمى
وعين اللي ما يسّمي عليك

تهليلة النوم :

تهلل الأم لطفلها عند بكائه لكي ينام في سريره بلحن مناسب ، ومن هذه التهاليل :

نام يا حبيبي نام لذبحلك طير الحمام
يا حمامة لا تخافي بضحك عا ابني تينام
نامت عيونك يامّا وعين الله ما نامت
وما عُمُر شدّة يامّا على مخلوقِن دامت
عيني يامّا طرفها الهوا ومنين أجبلي عين
والعين الثانية حاتفني عليها البين
رحت لقاضي الهوى تَنّا شتري لي عين
لقيت قاضي الهوى اعمى من الثنتين
يا الله حبيبي ينام يا الله يحب النوم
يا الله يحب الصلاة يا الله يحب الصوم

يا الله تِجيك العوافي   دايم الله دوم
يا عين ابني يا عين الغزلاني   يا قلعة الطور عند المنامات
يا عين ابني يا قرص العسل نامي   ياللّي جناك النحل من روس الجبال

تخويف الاطفال :

تقوم الأم في صفورية بتخويف ابنها عندما يمعن في البكاء فلا تسكته الرضاعة ولا الأغاني ولا التهليل ، ومن ذلك :
أجاك الغول - أجاك العبد الأسود - اذا بكيت بوكلك الضبع - روح يا فلان نادي الكلب الاسود - بوخذك الحرامي .
غير ان اللجوء الى التخويف كان في حالات قليلة ، وغالباً ما كان عند امعان الطفل في البكاء وهو غير مريض أو جائع .

الطهور :

وهو الختان . يقوم المسلمون بختان الذكور من أولادهم لدواع دينية وصحية ، وقديماً كان يتم ختان الطفل في سن متأخرة ، وغالباً ما يكون عمره فوق العاشرة ، أمّا في الأربعينات فكانت عملية الختان تتم ما بين الاسبوع الأول من الوضع والسنة الخامسة ، أمّا احتفالات الطهور فهي شبيهة ، الى حد بعيد ، باحتفالات الزفاف من عدة أوجه ، منها " الكسْوِة " وأهمها ثوب أبيض فضفاض ، ومنها السهرات التي يتخللها الغناء والرقص والدبكة ، ومنها زَف الطفل على ظهر فرس مزيّنة تماماً كزفة العريس وسط الأغاني والرقص . وبعد تناول الغذاء ، يقوم " المطهر " بعملية الختان بين غناء النساء وزغاريدهن .
وبعد الطهور ، يقوم الأقرباء بتقديم النقوط تماماً كما يحدث بعد الزفاف ، ويلبس الصبي بعد الطهور ثوباً فضفاضاً ، ويغسلون عَضو الذكورة بالشاي المُر عند التغيير عليه .
ومن الاغاني التي كانت تقال في المناسبة :

يا مطهر الصبيان بالله عليك
لا توجع فلان بزعل عليك
طهروا لي فلان وناولوه لابوه
يا صلاة محمد يوم طهروه
طهرو يا مطهر وناولو لامّه
يا دموعو الغالية نزلت على كمه
طهرو يا مطهر بموس الفضة

تمهل على فلان زعلان تايرضى

الدم والثأر :

ان عادة الثأر للقتيل عادة قديمة العهد في صفورية وخارجها . وقد تكون وراء القتل أسباب متشابهة في مختلف القرى الفلسطينية ، ويمكن حصرها بالأمور التالية :

1- التنافس على الوجاهة :

دأبت طبقة الوجهاء على التنافس في زعامة البلدة أيام الحكم العثماني والانتداب البريطاني، والحافز لهذا التنافس مادي من أجل كسب المنافع ومعنوي من اجل التفرد بالزعامة المطلقة ، ولتحقيق هذا الهدف ، كان الوجهاء يتزلفون للسلطة ، بحيث ان الوجيه الذي يستطيع التقرب ، اكثر من غيره ، من أرباب السلطة هو الذي يتفرد ، اكثر من غيره ، بالزعامة ، ويحاول ان يحتكر النفوذ ويؤلب عائلات البلدة معه ، الأمر الذي يتسبب في نقمة الوجهاء الآخرين فيضطرهم ، أحياناً ، الى القتل .

2- الزواج :

ينشأ أحياناً تنافس حول فتاة ، فيلجأ البعض الى قتل المنافس له ليستأثر هو بها ، وأحياناً يقوم أهلها بقتل من تحبه إذا لم تكن هناك موافقة من العائلة عليه ، خاصة إذا لم يكن يمت بصلة القربى الى هذه العائلة .

3- العرض:

وهو من المقدسات التي لا تُمس ، فاذا نسب الى أحد الشبان انه انتهك شرف العائلة سرعان ما يبادر الأخ أو ابن العم الى قتل هذا الشاب أو قتل الفتاة والشاب أحياناً :"إلْعَب وعاشر والعرض مش داشر " .

4- القتل قضاء وقدراً :

وهو قتل غير متعمد قد يكون عن طريق الخطأ ، أو المزاح ، فيكون نتيجته شعور بالانتقام أقل مما لو كان القتل عمداً .

5- الثأر :

وهذا يعني الانتقام من القاتل أو أحد أقربائه ، وغالباً ما يقوم بالانتقام شقيق القتيل أو ابنه أو أحد أقربائه .

6- الخلاف على إرث :

يؤدي الخلاف على إرث أو حدود أرض الى المشاجرة أحياناً ، الى القتل، كذلك تؤدي الاعتداءات على أملاك الغير ، من سرقة وسواها أحياناً الى القتل .

7- الطوشات العامة :

كانت هذه تنشأ بين عائلات متنازعة ، أو بين حارة وأخرى .
موقف القاتل وأسرته بعد القتل :
كان القاتل يركن الى الفرار بعد القتل مباشرة مبتعداً عن البلدة خشية القتل ، فقد يلجأ الى قرية أخرى ويبقى مختبئاً لمدة من الزمن قد تطول أو تقصر ، وأحياناً كان يسلم نفسه للسلطة ، وفي ذلك منجاة من القتل ، لأن الثأر هو الرّد الفعلي المتوقع بعد القتل :

" اللي ما بيوخذ بالثأر بيكون حمار ابن حمار "

" بشر القاتل بالقتل ولو كان بعد حين "

ومهما كان القاتل قوي الاعصاب فلا بدّ أن يشعر بالقلق على مصيره مهما طال الزمن .

" البدوي قعد أربعين عام حتى أخذ بثأره وقال استعجلت "

اما أهل القاتل ، فانهم يشعرون بنفس القلق ، ويعتصمون في بيوتهم متخذين الاحتياطات الاحترازية خشية ردود الفعل السريعة إثر الهياج عند أهل القتيل ، وأحياناً كانوا يلتجئون الى وجيه طلباً للحماية ، كما كانوا يغادرون البلدة ، أحياناً أخرى ، الى أن تُسوّى الأمور وتهدأ فورة الغضب . وقد يعمد بعض العقلاء الى التدخل لحصر المشكلة وتطويق ذيولها خوفاً من اتساع عملية الانتقام والثأر وللحؤول دون المزيد من سفك الدماء ، وذلك كتدبير أولي وليس كحل جذري ، على أن يتابعوا المساعي لأيجاد الحل و " عقد الراية " والاتفاق على " الديّة " .
موقف أهل القتيل :
كان أهل القتيل ، عندما يتبلغون النبأ ، تعصف في صدورهم فورة الغضب " فورة الدم " وتبدأ النساء بالصراخ والعويل والندب وطلب الثأر :

الموت ولا المذلّة

ما يرد الرطل إلاّ رطل ووقيّة

ما بقطع الراس إلاّ اللي ركبّه

أمّا الرجال ، من أقرباء المغدور ، فكانوا يسارعون الى الأخذ بالثأر مباشرة ، ما امكن ، من القاتل إن أدركوه ، أو من أحد أقاربه ، وفي حال عدم التمكن من ذلك ، تتعالى "النخوات" وتردد على ألسنتهم أقوال تظهر التصميم على الانتقام :

تحرم عليّ مرتي الى أن أسْتَد ثارك

ومن العادات المتبعة ، أن يخلع الرجال الأقرباء للمغدور " عقلهم " عن " حطاتهم " وأن يتركوا لحالهم الى أن يثأروا .

وكثيراً ما كان أهل المغدور يعمدون الى نهب بيت القاتل وحرقه ، والى قتل مواشيه وحرق مزروعاته ، أثناء " فورة الدم " . هذا على الصعيد الفردي ، أما في " الطوشات "، فكان أهل الحارة التي يسقط منها قتيل تقوم بنهب جماعي في الحارة التي ينتمي اليها القاتل، وحرق مزروعات ذوي القاتل .

وعند الدفن ، تتعالى صيحات التصميم على الثأر ، ويردد أقرباء المغدور " النخوات " التي تظهر العزيمة الصادقة على الرغبة في الانتقام . ومن العوامل المحركة للثأر ، " المعايرة " ، فالرجولة والشهامة يقضيان بالثأر . وفي عرف أبناء البلدة ، ان العائلة التي لا تثأر لمصرع فرد منها ، هي عائلة تتصف بالنذالة والجبن ، وفي كل مناسبة يسمع أفرادها من الجمهور التقريع . وفي حال حدوث أي خصام بين أبناء البلدة ونسيب للمغدور نراه يقول : "جاي تتشاطر عليّ ، روح تشاطر على اللي قتل أخوك أو أبوك " . والمثل السائر يقول : "النار ولا المعيار " . ومن عادة الآباء ، اذا كان ابناؤهم صغاراً ، أن يقوموا بتوجيه ابنائهم وحفزهم على الثأر عندما يكبرون :

" ما بتكون من ظهر أبوك ، وبطن أمك ، إذا ما أخذت بالثأر "

ومثل هذا القول كافٍ للاثارة والاندفاع والقيام بالثأر .

الصلحة والديّة :

تجري ، عادة ، مساع متواصلة لحل المشكلة والحؤول دون الثأر ، فيقوم الوجهاء ، من البلدة وخارجها ، مع رجال الدين بمداولات متعددة مع أهل القاتل وأهل القتيل ، ومن الطبيعي ان لا يكون موقف أهل القتيل ايجابياً لدى الزيارة الأولى ، ومن الأقوال الشائعة في هذا الصدد :

دِيّة ، ما بدنا دِيّة ولا ذهب عصملية ، إلاّ راس ابن فلان نلعب فيه الكورية .

وقد ينجح الوجهاء بعد سلسلة من المراجعات ، ويحضر وجهاء لعقد " الراية " والصلحة ، بعد تحديد " الديّة " ، وهي مبلغ من المال يحدد وفقاً لامكانية اسرة القاتل ويجمع عادة من جميع أفراد هذه الأسرة .

وفي اليوم المحدد للصلحة ، ترسل الذبائح والأرز والسكر والبن الى أهل المغدور . وقبيل الظهر ، تسير " الجاهة" وتضم ، عادة ، القاتل ، الذي تقيد يداه وراء ظهره ويوضع عقاله في عنقه ، وأهله والوجهاء من القرية وخارجها وأحد رجال الدين . وعندما تصل الجاهة الى بيت المغدور ، يقدمون القاتل على النحو التالي : " هذا فلان ابن فلان المتهم بقتل المرحوم فلان ونحن مقدموه لكم ، وانتم احرار بقتله أو بالسماح له " ، فيقول له أحد

الوجهاء : " أهل السماح ملاح " ، ويقول أهل المغدور : إكراماً لله ورسوله وللجاهة الكريمة والحضور إحنا مسامحين " ، فيحلون قيده " كتافه " ويضعون عقاله على رأسه ، ويتعانق أهل القاتل وأهل القتيل ويتصافحون ، ثم يتناولون الغذاء .

وبعد ذلك تقدم " الدية " في مغلف مع مقدمة : " فلان لا يقدّر بمال ، وهذا ابنكم غالي ولكن حسب الشريعة هذه دية ابنكم " . وقد يطلب أهل القاتل أماناً : " إحنا بدنا وجه من الخونة والبوق (السرقة أو النهب) " . فتقول عائلة المغدور : " عليك وجه الله ووجه فلان " ، ثم يوجه أحد الأفراد كلمة شكر ، وقد تجري ، بعد ذلك ، دعوات لولائم متبادلة بين الاسرتين يبدؤها أهل القاتل ، وتتكرر الدعوات ، وفي حالات اخرى يتوقف أهل المغدور عن الثأر بعد المصالحة ، ولكن حالة من التجافي تبقى قائمة بين الأسرتين الى مدة طويلة .

واحياناً ، تتم المصاهرة بين الاسرتين حسماً نهائياً للعداوة . فبعد سقوط عشرات القتلى أثناء " الطوشات " يتم الصلح .

وقد يحدث ، أحياناً ، أن تتم " الصلحة " دون قبول " ديّة " على اعتبار ان الأب لا يريد بيع دم ابنه ، وفي كل الحالات التي كانت تتم فيها المصالحة منعاً للثأر ، كانت " الجاهة " بمثابة شهود وحكم على الاتفاق ، و " عقد الراية " إنمّا هو إبرام لهذا الاتفاق ، وهو عبارة عن ربط شقة من الحرير اثناء المصالحة كوثيقة شرف بين الأسرتين .

ومما يجدر ذكره ، أخيراً ، أن ذوي القاتل كانوا يتجنبون السير بكثرة أمام بيت القتيل أو بالقرب منه ، لئلاّ يعتبر ذلك استفزازاً لهم ، من جهة ، ومن جهة ثانية تحسباً من " فورة دم " قد تعرض المار من أقارب القاتل للموت ، وقد جرت العادة ، أيام الانتداب البريطاني ، أن تقوم السلطة ، بعد خروج القاتل من السجن ، بنفي القاتل الى بلدة ثانية في فلسطين لبضع سنوات منعاً لحدوث مضاعفات ، اذا لم تكن قد تمت " الصلحة " ودفعت " الدّية " .

على ان حوادث القتل والثأر كانت قد قلت كثيراً من النصف الأول من هذا القرن بسبب تضاؤل العوامل المؤدية الى القتل والثأر ، وبسبب تزايد التضامن بين الأسر ، في مجال النضال الوطني .

الموت والوفاة

من المعروف ان الموت أمر محتم لا مقّر منه " المكتوب ما منّهُ مهروب " ، لكن التفكير الجدي فيه والتخوف منه يظهران بشكل واضح عند المسنين الذين يأخذون بالتهيؤ له . وهكذا ، يمكننا التدرج من هذه المرحلة الى ما بعد الوفاة :

أ- من العادات المتبعة ان يقوم المسنّون - وهم لا يزالون بصحة جيدة - بتحضير " ثياب الموت " ، وهي بالنسبة للرجال عبارة عن قمباز ، سروال ، قميص ، حطّة ، جاكيت ، كلسات ، كفن أبيض ، أما بالنسبة للنساء ، فهي عبارة عن فستان مخمل ، وقد استبدل في المدة الأخيرة بأبيض ، قميص ، حطة أو طرحة أو شاشة بيضاء ، هذا بالنسبة للباس ، أما الجانب الآخر فيتعلق بالصلاة والعبادة إذ أن المسنين يكثرون من ممارسة الطقوس الدينية لأنهم يتحسبون للموت والانتقال الى العالم الآخر المجهول ، وفي يقينهم انهم بذلك، يربحون الآخرة ، ويكفرون عن زلاتهم السابقة . ومن الملاحظ إنهم يشجعون أنفسهم عند موت أي مُسن بضرورة تقبل القضاء والقدر ، " الموت عدل " و " الموت كاس داير على كل الناس " .

ومن الاستعدادات الأخرى ، ان المسنين يحاولون تصفية حساباتهم ، أي ما لهم وما عليهم، قبل أن تفاجئهم المنيّة ، فنراهم يجهدون لانجاز قسمة الممتلكات بين ابنائهم ، أو يقومون باعطاء " وصيّة " بذلك ، بحضور شهود ، وعدا عن الشأن المادي بالوصيّة ، فهنالك الشأن المعنوي المرتبط بتعاون البنين والتعاضد التام فيما بينهم .

2- يخاف المسنون دائماً أن يطول مرضهم ويشتد ، فيتألمون ويضايقون من حولهم ، خاصة إذا أصبحوا عاجزين عن المشي ، واكثر ما يخشاه المسن أن يبرك أي أن يصبح مقعداً ، لذلك نراه يطلب من وقت لآخر الموت المريح " يا ربّي موتة هنيّة " ، ونرى الناس عندما يموت مُسن ، بدون مرض وبدون ألم وبشكل مفاجيء ، يقولون : " نيّالو على هالموتة " ، ونرى المسنين يكثرون من الصلاة بشكل ملحوظ ، أما المحيطون بهم

فيعملون على تشجيعهم وعلى ايهامهم بأن لا خطر على حياتهم ، ويقومون بخدمتهم بعناية فائقة لنيل رضاهم ، في حين يقوم المسنون بمسامحة كل من أساء اليهم ويطلبون ان يسامحهم الناس عامة والأهل خاصة .
وتنتشر عادة الأخبار في صفورية بأن فلاناً " مُخطر " ، أي موشك على الموت ، فيكثر الأقارب والجيران وابناء " الحارة من زيارته بين الحين والآخر ، ويتبادلون الحديث معه ومع أهل بيته في شأنه وفي شؤون عامة ، ولا تنقطع هذه الزيارات حتى يدركه الموت ، وعند الوصول يجري السؤال التقليدي التالي :
" كيف صحة أبو فلان ؟ ان شاالله أحسن " ، وعند الخروج " سلامته " " ان شاالله يقوم بالسلامة " .
3- عندما تحدث الوفاة يقوم بعض أقارب الميت أو جيرانه باستدعاء الإمام ليقرأ ويكبر ويشيع خبر الوفاة . وعندما يسمع الناس الصوت يسرعون لمعرفة شخصية المتوَفَّى فيبادرون، رجالاً ونساءً ، لترك أعمالهم والذهاب " للمؤاجرة " كما يتم ، أحياناً ، اعلام أهل القرى المجاورة بالوفاة فتشارك وفود منها في المأتم . تأخذ النساء بالتوجه الى بيت المتوَفَّى تباعاً ، حيث يكون الميت قد ألبس ثياب الموت المعدة إذا كان مسناً وثياباً عادية إذا لم يكن مسناً ويوضع على " مرتبة " ، أي على فراش عال ، وسط قاعة ، وتجلس حوله النسوة ، أمّا الرجال فيذهبون الى بيت أحد الجيران أو الأقارب حيث يكون قد أعد لاستقبال المعزين .
4- يتوقف حجم المأتم وعدد المشاركين فيه والأقوال التي تردد على أمور متعددة ، منها مكانة المتوفى الاجتماعية وثروته وسِنّه ، ومن المعروف أن جنازة الغني أو الوجيه أو الشاب غير جنازة الفقير أو المسن ، كذلك جنازة الرجل غير جنازة المرأة . وقد جرت العادة أن لا يُدفن المتوفى باكراً اذا كانت الوفاة صباحاً ، وغالباً ما تكون بعد الظهر ، فحيث يكون الجثمان تجتمع النساء بالملابس السوداء ويعلو العويل والبكاء تارة ، والندب والنواح تارة أخرى . وهناك طائفة ممّا يقال في النواح والندب ممّا يسمى " التناويح " و " الأقوال " و "العتابا " ، فمنها ما هو للذكور ، ومنها ما هو للأناث ، ومنها ما هو للشباب ، ومنها ما هو للصبايا ، ومنها ما هو للصغار .

أمّا النواح ، فيتم والنساء جالسات ، في حين ان الندب يتم وهن واقفات بحيث تقوم قريبات المتوفى في القفز وسط الحلقة بطريقة هستيرية ، فيلطمن خدودهن بالأكف ، وكذلك صدورهن ، ويمزقن ملابسهن وينتفن شعورهن ، ويستمر قيامهن بالقفز بحركات معينة ، بالأرجل والأيدي ،

لفترة من الوقت ، هذا إذا كان المتوفى شاباً أو وجيهاً ، وأحياناً إذا كانت صبيّة .
ويبقى الرجال يتوافدون الى أحد الجيران أو الأقارب ، حيث يكون أبناء وأقرباء المتوفى من الرجال جالسين . وفور دخول كل جماعة المكان يقف أبناء المتوفى وأقرباؤه فيصافحهم الوافدون قائلين : " الله يرحمه ، العوض بسلامتكم " ، ويأتي الجواب " سلامة أولادكم". وبعد الجلوس ، تقدم القهوة المرة والسجاير بين الحين والآخر ، ويتبادل المجتمعون الأحاديث المختلفة ، الاجتماعية والسياسية ، مع عبارة معينة للتعزية كقولهم " الموت حق"، " كل نفس ذائقة الموت " ، والموت راحة " و " ما حدا بسد جورة حدا " و "الموت مع الناس رحمة " و " الميت ما بيجوز عليه إلا الرحمة " .
وفي هذه الأثناء ، يتوجه فريق من الأقرباء والاصدقاء الى المقبرة لحفر القبر واعداده ، وفي ذلك " مؤاجرة " واندفاع للعمل ، كما يقوم آخرون باحضار النعش ، ويقوم فريق من النساء ، منذ الصباح ، بتحضير الغذاء للرجال والنساء ، وكان هذا يقدم بعد الدفن إلا انه في المدة الأخيرة أخذ يقدم قبل الدفن ، وجرت العادة ان تقدم الفواكه بعد الغذاء ، وغالباً ما كان الناس - عدا الوفود الغربية - ينسحبون ولا يتناولون الغذاء رغم الحاح أهل الفقيد واصرارهم على ذلك ، والطعام المتبقي يوزع على الفقراء " عن روح الفقيد". في الوقت ذاته ، يكون جميع سكان القرية ، المشاركون في المأتم ، قد اطلعوا على الوقت المحدد للجنازة ، وبعد ذلك يتقدم الشباب ويضعون الميت في النعش بعد أن يلقي عليه الأبناء والأصدقاء نظرات وداعية وسط عويل متزايد ، ويخرجون النعش من البيت محمولاً على الاكتاف إذا كان مسنّاً وعلى الأكف المرتفعة إذا كان شاباً ، ويسير الامام في المقدمة وهو يردد :

لا إله إلاّ الله

كل من عليها فان

ووراءه النعش المحمول ، ثم الأقارب فالرجال ثم النساء اللواتي ينحن بأقوال تتناسب مع جنس المتوفي وسنّه ومكانته ، وعند الوصول الى الجامع ، يتوقف النواح ويوضع النعش ، ويبدأ الأمام بمراسيم صلاة الجنازة وهي :
فرض كفاية إذا قام به البعض ولو واحدٌ سقطت عن الجميع وتصح بأربع تكبيرات :
أ- كيفيتها : ان يقول عند النيّة :

نويت الصلاة لله والدعاء لهذا الميت الله اكبر ، ثم يقول سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك وجلّ ثناؤك ولا اله غيرك ، ثم يكبر التكبيرة الثانية فيقرأ الابراهيمية ثم يكبر التكبيرة الثالثة فيدعو الله للميت بالرحمة والمغفرة ودخول الجنّة ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وان كان الميت طفلاً قال :
اللهم إجعله لنا ولوالديه فرطاً وأجراً وذخراً وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم ، ثم يكبر التكبيرة الرابعة ويدعو للميت ولأموات المسلمين ثم يسلم .
اذا فاتت صلاة الجنازة لا تقضى لذلك يجوز التيمم لها عند خوف فواتها مع وجود الماء كصلاة العيدين .
ب- دعاء الجنازة :
" اللهم اغفر لحينا وميتنا وشاهدنا وغائبنا وصغيرنا وكبيرنا وذكرنا وأنثانا اللهم من أحييته منا فأحيه على الاسلام ومن توفيته منا فتوفه على الايمان وخُصّ هذا الميت بالعفو والغفران اللهم ان كان محسناً فزد في احسانه وان كان مسيئاً فتجاوز عنه ولَقِّهِ الأمن والبُشرى والكرامة والزلفى برحمتك يا أرحم الراحمين " .
وبعد الانتهاء من المراسيم ، يتحرك الرجال حاملين التابوت بالتبادل حيث يتقدم الواحد ليحمل مكان الآخر قائلاً " عظم الله أجرك " فيجيبه " أجرك عظيم " ، ويسير الإمام في الطليعة مهلّلاً ومكبراً آيات قرآنية في الطريق الى المقبرة ، أما النساء فلا يذهبن الى المقبرة وقت الدفن إطلاقاً ، وعند الوصول الى المقبرة ، يوضع النعش على الأرض ، ويُزاح الكفن عن وجه الميت المُسجّى على ظهره في النعش فيقوم الأبناء والأقارب بتقبيل وجنتيه ويديه ، وبعد برهة يوضع في القبر أو في الخشخاشة ، وهي عبارة عن مدفن جماعي للعائلة أشبه بغرفة ، وتجري على المدفن تعزية سريعة لأهل الفقيد ويعود المشيعون ، في اكثريتهم ، إلى بيت الفقيد . ومن المألوف أن تشارك كل العائلات في المأتم ، ويتعطل العمل الزراعي وسواء يوم الجنازة ، حتى العداوات الشخصية تضمحل ويتم التصالح :
" الصلح يا على فرح يا على كره "
وغالباً ما يكون الحزن عاماً خاصة إذا كان المتوفى فاضلاً وكأن أهل القرية كلهم أهل الفقيد ، كما انه من المستقبح الاشارة بسوء الى المتوفى مهما كان - " الطعن في الميت حرام " .
أما عبارات التعازي التي تردد على المقبرة فهي مماثلة لما يقال عند التعزية في بيت الفقيد ، ومنها : " الله يعوضنا بسلامتكم ، يرحم من انتم

فاقدين يخلي لكم اولادكم " ، ويأتي الجواب : " سلامة عمركم ، يخلي اولادكم " و " سلامة راسكم " و " عمركم الباقي ". 5- يلازم أقرباء المتوفى منزله بالاضافة الى أسرته لعدة ليالٍ ، لا تقل عن ثلاثة ، لاستقبال المعزين ، ويكون ذلك عادة في السهرة وأحياناً بعد الظهر . وتأتي كل أسرة للتعزية وعلى رأسها الأب ثم الأم والأبناء الشباب ، فيجلسون لبعض الوقت وتقدم لهم القهوة والسجائر ، وما إن يطل وفد قادم ينصرف المعزون الجالسون ، وغالباً ما يرددون عند التعزية : " الله يرحم مين انتم فاقدين " ، ويأتي الجواب : " تعيشوا ويرحم أمواتكم " . وأول المعزين عادة وفود الأغراب .

وتذهب نساء أقارب الفقيد لزيارة قبره في الصباح الباكر بعد الدفن ، وَيَنُحْنَ لبعض الوقت ، وقد يشعلن البخور أمام القبر ، وبعد ذلك ينصرفن ويعدن لزيارات مماثلة أيام الأعياد وبعد اسبوع من الوفاة ، ثم بعد أربعين يوماً ثم بعد نصف سنة فبعد سنة .

وعندما تتم زيارات لقبر الفقيد أيام المناسبات ، كانت توزع الاطعمة والحلويات عند قبره وهي تقدمة للفقراء عن روحه ، كما تقام له ذكرى الأربعين ، حيث يحضر معظم أهالي القرية فيقرأون الفاتحة لروحه ، كما تُتلى آيات قرآنية لروح المتوفى أيضاً . وبعد ذلك يتناول الحاضرون الطعام والفاكهة ويقدمون التعازي وينصرفون .

ومن العادات التي كانت متبعة ، أن يقوم أقرباء الفقيد وجيرانه ، أحياناً ، باحضار الطعام لأسرة الفقيد لعدة أيام بعد الوفاة ، أمّا مظاهر الحداد عند أسرة الفقيد وأقربائه وحمولته ، فقد تميزت بالأمور التالية :

أ- الرجال : يخلع كل عقاله ويمتنع عن حلاقة ذقنه وعن الاغتسال وعن خلع ملابسه لمدة أربعين يوماً على الأقل ، حيث يأتي الاصدقاء وبعض الأقارب بحلاّق ويتم بعد الحلاقة ، الإغتسال واستبدال الملابس ولبس العقال .

ب- النساء : يطلي بعضهن الوجه بالنيلة أو بسواد القدور ، ويمتنعن عن الاغتسال وتمشيط الشعر ولبس المصاغ وحضور الصلاة والأفراح ، وعن عمل الكعك أيام الأعياد ، أو المشاركة في التهاني ، ويتوقفن عن عمل " الكبّة " ويتمشين حافيات الأقدام ، كل ذلك لمدة أربعين يوماً ، بينما يلبسن السواد لسنة أو سنتين ، بعد ذلك يجري " فك الحداد " أي التوقف عنه تدريجياً ، وآخر من " يفك الحداد " الأم والأخت والزوجة ، وقد لا تحضر الأم حفلة زفاف ابنها إذا كان قد مضى على موت ابن لها أقل من سنتين ، وتردد على شفاه طيلة فترة الحداد الدعوات الى الصبر ، " وتصبر بالله " ،

والتعزي بالابناء الباقين والاشارة الى مصائب الآخرين " مين شاف مصيبة غيره هانت عليه مصيبته ".
سننهي هذا البحث عن " الموت والوفاة " بإيراد طائفة من " التناويح " و " القول " و "العتابا " التي كانت تقال في المآتم ، وكل ذلك وقف على النساء :

التناويح :

يا هاليلة يا هاليلة وضيوف عزاز هاليلة
ويا فلان اذبح ذبيحة لبيّك زاير الليلة

* * *

بلدي بعيدي عن بلدكم وايدي قصيرة وما تصلكم
وبيني وبين أهلي جبال ومقطرة مثل الجمال
لو تبعثوا ليّ وتعلموني لاجي بحد السيف لو قيدوني

* * *

مين بَحَش قبري ومين جوجل الحصى إخوتي والا رجال الغرايب
وان كان إخوتي كَثّر الله خيرهم وان كان رجال الغرايب حملوني جمايل

* * *

حلفتكم بالنبي ما تغيبوا إلاّ تناشر يوم والسبت والحد والاثنين تكونوا هون
حَسَّبِت غيباتكم يومين والثاني أثاري غيباتكم ع طول الأيامِ

* * *

يا ليلة بت أنا واولادي ما أحلاها يا زيت صافي وبضي القناديلِ
يا ليلة بت أنا بالقبر ما أوحشها عتمة وظلمة مالي مين يسليني

* * *

لَقعد عالدرب واستنّى الهوا الغربي وأقول ريحة حبايب شِم يا قلبي
أربع مطاحن عالهوا الغربي واربع نهورا وَلا تْطّفّي نار قلبي

* * *

سكاكر دارهم بالله اعلميني اصحابك هون وإلاّ غايبينا
وإن كنهن هون عَدّينا وفُتْنا وان كنهن مش هون وإحنا رايحينا

سكاكر دارهم ردت وقالت   من أول أمس راحوا شايلينا

*   *   *

قبر الغريب عاجنب مبني   والطير يبحش ونسمات الهوا تذري

قبر الغريب بانت لي إشارته   والعشب حوله من قلة زياراته

*   *   *

يا بلادنا يا كبيرة وِشْبِك هجرتينا   وِشْبِك تريدي الغرايب وما تريدينا

وان كان يا بلاد قلّت رغبتك فينا   لا بُد يا بلاد تفقدينا ما تلاقينا

بلاد جَفتنا ، دَعتنا في البلاد غروب غروب   من جور حكامها رُحنا نموت

تيجي على بالنا تسكب مدامعنا   نتذكر حبايبنا عند المسا وغروب

*   *   *

يا نجمة الصبح دلّيني على حبابي   أيّ طريق لَقّوا لَفْتح لهم بابي

إن أجوا من الشرق لي بالشرق غيّابي   وان أجوا من الغرب هِنّي من جملة احبابي

يا نجمة الصبح فوق الشام عليتي   أخذت الأجاويد والانذال خليتي

نذرن عليّ يا امي ان أجوا الغيّاب بيتي   لضويلهم شمع قلبي ان خلص زيتي

*   *   *

يا طير طير وهدّي في عباب التوت   وان مَر ظَعْن الحبايب لا تخلّيه يفوت

والروح دنت والأكل قوت بقوت   ومن شوفنا للحبايب رايحين نموت

*   *   *

يا ريتني يا أمي طيروطير واتعلّى   واركي جناحي على الصفصاف واتدلى

والعين تسكب الدموع والقلب في ذلّة   واللي مفارق حبيبه بيش يتسَلّى

*   *   *

واصبح لنا صبح يا ريّس على المينا ولا جينا   وغابت لنا شمس لا رُحْنا

يا رب نسمة هوا وريح يودّينا   لعند حبابنا تايفرحوا فينا

* * *

والبي ما مثله مثيل   والبي حمّال الثقيل
والبي جَبّار الخواطر   عمري على عمره قناطر
بيّ وبيّ وما أحلى قولة بيّي   يشتد حيلي وبترجع قوتي ليّ
يا بوي جرجر لي عباتك   وامشي على مشية بناتك
مين قال خيّي مثل بيّي   كذاب ما يصدق عليّ
بيّي الحبيب ويطول عمره   يا ريت عمري فوق عمره
بيّ الحبيب لوين رايح   يا عنبرة والمسك فايح
بيّ الحنون لوين بدك   لقعد على دربك ورُدّك
يا بيّ براس التل وقّف لي   أنا وليتك والقوم أجت لي
ما ريد يا بيّ من جيبك مصاري   باريدكوا عزّة ودلالي

* * *

ما احلى الاولاد وما احلى زقزقتها   وما احلى نسوانٍ حاملتها
وليدات ويلي ما احلاهن   ما اعجل البين لَمنّو طواهن

* * *

اولاد يا زهر الربيع   طلع الربيع وما إطْلعتوا
اخضر الربيع وانتو يبستوا

* * *

يا لِميّ لميّني بحضنك   وإرمي عليّ إطْراف رِدْنك
لاعشتِ أنا ولا عاش ردنك   وما عاش بطن ما حملكوا
ولا قامت النسوان عنكو   جابت صبي وإلاّ بنيّة

* * *

خذوا ناركم عني حرقني لهيبها   لا ناركم تطفي ولا انا بطفيها
يا نار قلبي نار شيح   وقادها لا يستريح

* * *

لا تقول يا عمتي طالت الغيبة نسيناكم   وكل ما طالت الغيبة ذكرناكم
لا تقول يا عمتي طالت الغيبة تناسينا   انتم السمّار اللي جوات عينينا
حَسّيت غيبتكم يا عمتي يومين والثاني   اتاري غيبتكم عا طول الأيام
احمد يا عمتي يا سِنسلي له على ليّه   يا جوهرة مثمّنة وقعت من ايديّي
يا بايع الجوهرة وانزل في حارتنا   تا اشتري جوهرة من ضَو عينّي

يقول احمد قبل ما تطردوني كنت أنا رايح   يا سيسبان القصب يا عنبر الفايح
نذرن عليّ يا عمتي ان جيتو والقمر لايح   لذبح ذبيحة تكفي الجاي والرايح

*   *   *

حلو الأسامي عمتي   وياما احلى أساميهم
راحت الأسامي   وظليت خاطري فيهم
كان بخاطري اطوّلها   طلعتوا قسايا قطعتوها من أولها

*   *   *

خذوا ناركم عني يا عمتي   حرقني لهيبها
ولا ناركم تطفي   ولا أنا بطفيها
يا واقد النار أوقدها وعليّها   والنار ما تحرق غير الواقع فيها
يا شاربو خط القلمجي   يا لحيته ما تكاملتشي
يا امي بهنيك بعمرك   وانا نزلت القبر قبلك

*   *   *

انا قاعدي يا عمتي من البيت لحين تلفوا   لحين ما تلفي عليّ البشاير
وين البشير يبشرني بملقاهم   لعطيه بشارة وَفَرّق من هداياهم
وحق النبي يا عمتي   اشتقنا ورَقّت قلوبنا
واشتاق قلبي لحديث الحبايب   حديث الحبايب قيظ مشمش
ولىّ المشوم وما شبعتوا
يا عين سهرتي ولَمّن حملوا نمت   يا ريت أجاك القلق كنت تودعت
ما بالعزيزة عليّ يا عمتي   والعزيز الله
ما بالعزيزة علي نومتك بره   تحت الصقيع وتحت جمرة الحرة

*   *   *

يا شب يا حلو الشباب   ما حل جسمك للتراب
ما حل عينك للعمى   يا ريت عمى عيني قبل عماكم
شباب ويلي ما احلاهن   ما أعجل البين لما طواهن

*   *   *

صاحوا شباب الغوى   يا حيفنا متنا
ما خيّم العنكبوت   على شواربنا

*   *   *

ألا يا شبابن ع الخلادية علاليهن   لاهني فرحوا ولا طالت لياليهن
طلعوا يلعبوا بالهوا لعب الهوى فيهم   طيّر طواقيهم من بين عينيهم

*   *   *

يا شاب يا محتشم قلبي حزين عليك   كان بخاطري احمدك واجلي العروس عليك
كان بخاطري اصمدك في حارة عمامك   وأنقطك بالذهب خلفك وقدامك

*   *   *

يا شاب شبان الغوى بندهولك   ع الصيد وإلاّ قاصدين المقابر
وان كان ع الصيد شَدّينا وهَميّنا   وان كان ع القبر لا رُحنا ولا جينا
يا شمس لا تطلعي على مقابرهم   تحمي البلاطة وتتفكفك مفاصلهم

*   *   *

رَبيّت رَبيّت ويا نعم ما ربيّت   ربيت صبايا مناح وع المقبرة وديّت
يا صبايا الهول ما شفتم صبيّة   ع العين تغسل من رفيع القماش

وعدا عن التناويح ، هناك اغانٍ شجية تُسمّى " القول " ويرافق بعضها الندب ، منها ما هو خاص بالمسنين ، منها ما هو خاص بالشباب ، ومنها ما هو خاص بالصبايا ، وتقوم إحدى النساء بتلاوة " القولة " ، مقطعاً مقطعاً ، والنساء الحاضرات يرددن وراءها وهن يَصْفقن بايقاع متناسق مع مضمون " القول " .

سبوعَة يا حمولة ليش ذلّيتوا   ما جبتوا حكيم ولا انتخيتوا
جبنالك حكيم وما استنفعنا   خالفنا الزمان وما أجا مَعْنا
جبنالك حكيم شاطر   وقال عن حالتك عاطل
صاحت بنتك يا بطل   حكم الله نَفذ فينا

*   *   *

يا شمس يوم رحيلهم لا تطلعي   إلاّ بغيم أزرق وبرق يلمعِ
شبهت قهوتهم لما بتطلعي   مزراب كانون لَمّن بشقع
شبهت صفرتهم لما بتطلعي   قلب الصنوبر ع المناسف يلمعِ

*   *   *

كُنّا سكان بِوَطنا   وغراب البين وطانا
كُنا سكان في الديرةِ   بقينا نقبض الميري
قولوا لاخته الأميرةِ   تدق صديرها بِحْجارة

*   *   *

يا كبيرنا إجلس ع باب الدار   تحمي الحمى وتقارع الجيران
عاليش لا يا كبيرنا دشرتنا   مثل الديورَة ما لها رهبان
بدنا نقول من هالقول معنا كثير   بدنا نقول ع بو فلان وقدرُه كبير
كان كبيرنا يقضي مصالحنا   من بعده عدمنا الشورى والتدبير
صاح الغراب بلقيا الغياب   ريتو صحيح ما يكون كذاب
وان كان قولك يا الغراب صحيحي   لاطعمنك يا الغراب اقميحي
وأجوزنك يا الغراب حمامي   بيضا وعلى راس الجناح علامِهْ
كانت تعشش ع النخيل والشجر   صارت تعشش في قرار الوادي
للبس حرش وغيّر من العادة   للبس على بو فلان عباي سودا
واقض زماني ما بفك حدادي   لتعاودوا يا جواد جار العادي

*   *   *

الصاج والخباز كلّ الليلة   والكيل والعلبةِ عشاهم ليلة
دخلك يا ابني قعدّني حيلي   ضربات عزريين هدّت حيلي

*   *   *

شاشت العربان شاشت   حَسّبونا مجوزين
والله ما إحنا مجوزين   خاسرين متحسرين
لأبو فلان فاقدين
أمسَ المساو تلملمت الناس   من أول أمس حملوا يا ناس
مَرْ على حرمته وقلها بخاطرك   الكاس داير على جميع الناس
قالتلو روح يا جمل المحامل   يا عمود بيتي وانحناها
قالتلو روح يا جمل المحامل   يا سراج بيتي وانطفاها
قالتلو روح يا جمل المحامل   يا حطّاط للجايع عشاها
قالتلو روح يا جمل المحامل   يللي بيوم الكون ما تعطي قفاها

*　　　*　　　*

امبيرحة الليلة عشية　　　قامت الضجة قوية
كَلّه عا فراق فلان　　　انخسفت الشمس المضوية
ريتني يوم عدمتك　　　صرت سودا حبشيّة
يمسكني الدلاّل بيدو　　　ويصير يدلّل عليّ

*　　　*　　　*

يا ام فلان لوين مع السلامة　　　وانا رايحة دربي على الجبانة
مرت على ابنها وقالت له بخاطرك　　　هالكاس مارق ع جميع الناس
واحلف عليها يا ابنها وردها　　　واحلف عليها ما تزور جبانه
واحلف عليها ما تزور إلاّ القدس　　　وكل دير زارتو الرهباني

*　　　*　　　*

يا أقارب ودعوني　　　ما بقيتوا تنظروني
يا اولادي ودعوني　　　ما بقيتوا تقشعوني
بقى لي في البيت ساعة　　　ما إلي ولا شفيعة
بقى لي في البيت رمشة　　　افرشي لي بالقبر فرشة
فوق الفرشة ينموني　　　بقول القبر ما احلاني
محلى ضيفن جاني　　　يا خسارة يا بو فلان

تناموا تحت الحيطان

اشتروني يا رجالي　　　يا شرايا اليوم غالي
واشتريني يا فلان　　　بالأموال ولا تبالي
والأموال ما هي غنيمة　　　ما غنيمة إلاّ السلامة

*　　　*　　　*

دارك بغيابك ما بقى لها هيبة　　　دارك غنم والذيب شلعب فيها
بَعْدَك بنات العز مين يحميها　　　بَعْدَك حريم العز مين يحميها
شو بدّي أقول من عظم المصايب　　　يا هالسنة مفرقة الحبايب
يا أبو فلان ما اعزك عليّ　　　يا درب بلادكم ما أطول مداها

أنا بمشي وهي تبعد عليّ

من راس الجبل وتهلهلوا الطّراش　　　قوم يا بو فلان دزلّك طرّاش
أنا فرّاشكم يا غانميني　　　وانا الخوّاض في بحر المنايا

وأنا نشالكم يا غارقيني

*　　　*　　　*

يا شاب روّح بلادك　　　لا تموت ويصعب عليّ
امك تريدن بدالك　　　وانت العزيزن عليّ
يا خيتو زغريتيلوا　　　كبش الغنم واذبحيلو
هو العزيز عليّ
شو هالشباب الطالعة من الوادي　　　ومبوردي ومعصبي كرادي
يا فرحتي وان كان احمد بينهم　　　وان كان مش معهم يا حريق فؤادي

*　　　*　　　*

ألا يا موتة الغربة　　　موتة واحرقت قلبي
يا ما أحلى الموت في الوطن　　　ياما احلى الدفن بالتربة
يا شاب يا محروم نسمات الهوا　　　وبالقبر ما فش عرايس للغوى
وبالقبر ما فش عرايس زيني　　　ولا طقومي تلبسو يا عيوني

*　　　*　　　*

على فراش الشاب لاقينا تفاحة　　　امك يا هالشاب صبحّت نوّاحة
على فراش الشاب لاقينا ليموني　　　امك يا هالشاب صبحّت محزونة
على فراش الشاب لاقينا زناره　　　مسكين يا هالشاب ما تهنّا بعماره
على فراش الشاب لاقينا شملته　　　مسكين يا هالشاب ما قَمِشْ من وقعتُه

*　　　*　　　*

ميلي يا حبال الشمس ميلي　　　ميلي على جروحات القتيلِ
شفت الطير بيشرب من دماهم　　　كأن الطير يشرب من غدير
وشفت الطير ينبش من شيوشهم　　　كأن الطير ينبش في حرير

*　　　*　　　*

يا اهل المقابر كلكم اسيادي　　　ما حدا منكم يرد لي الجواب
رد عليّ شاب أول ما انتشى　　　عوارضه كلت من الاتراب
قولوا لأمي ما تكل من البكا　　　قولوا لبيّي ما يبيع ثيابي
قولوا لبنت العم ترحل لأهلها　　　هذا الزمان مفرق الأحباب

ويشترك في " القول " والندب على الشاب الفقيد الأقارب من النساء وكل أم فقدت إبناً:

هَلّي قَبْرَت الشاب   تيجي هون تناديني
وتنادبني وانادبها   وبدمع العين اساكبها
واللي يموتوا رجالها   واللبس ما يحلالها
بالنيلة تسبغ حالها

ومن هذا " القول " ما هو مشترك بين الشاب والصبية :

يا شجرة اللوزية يا شجرة اللوزية   ما هبتك شرقية ما هبتك شرقية
بالله تقولوا لامي بالله تقولوا لامي   تشلح ثياب الغيّة تشلح ثياب الغيّة
على الدار ما عدنا نعاود   على الدار ما عدنا نعاود
ولا بالراس كيفية   ولا بالراس كيفية
بالله تقولوا لأختي بالله تقولوا لاختي   تشلح ثياب الغيّة تشلح ثياب الغيّة
على الدار ما عدنا نعاود   على الدار ما عدنا نعاود
ولا بالراس كيفية   ولا بالراس كيفية

وهناك " قول " خاص بالصبية ، يرافقه أحياناً ندب :

صبيّة بجنب عينك كلميني   رفعت راسها ما كلمتني
على لبس الفساتين عاتبتني
يا هالصبية كنّه حضر جمّالها   بقاع وادي حطها ما شالها
أجوا الصبايا تَيْشوُفو احوالها   لاقوا الصبيّة كنُّه تغير حالها
يا شجرة المحلب ويا فايحة   مالت غصيناتك من مبيرحة
بالله ويا حامل تابوتي توقف   تاودعك يَمّه وانا رايحة

*   *   *

يا ام العيون السود وبياظك نَقا   بالشرق والغربين مثلك ما التقى
سلامتك يا ام العيون السودي   سلامتك من نومة اللحودي
سلامتك يا ام العيون ذبلاني   سلامتك من نومة الجبانة
سلامتك يا ام عيون عسليّة   سلامتك من نومة البرية
كل الصبايا رايحة تشم الهوا   إلاّ فلانة باللحد مرميّة

" قول " على لسان أب لابنه يوصيه بأخته وأمّه :

أنا بوصيك يا ابني وصيّة   في صدر البيت أفرش للوليّة
أنا بوصيك امك لا تهينها   ولا تشمّت فيها القوم الرديّة

بالاضافة الى " التناويح " و " القول " ، جرت العادة أن تقول النسوة " العتابا " في المآتم :

صباح الخير يا نجم الوداع　　　صارت شوفتي منكم وداعي
تعالوا يا حبايب للوداع　　　ظنون وعاد لمتّنا سوا
صباح الخير أبو منديل اسود　　　يوم فراقكوا يا يوم لِسْوَد
انا ان ضحكت قالوا الناس مسعد　　　أنا ان بكيت ع فراق الحباب
عتابا يا عمتي عاتبتني وانا إصْبَي　　　وقصت حور بستاني وانا إصْبَي
يا ربي لا تموتني وانا اصبي　　　ولا تحرمني من شم الهوا

*　　　*　　　*

عتابا بيت مني وبيت تكفين　　　وعندي شوفة الخلان تكفين
أماني يوم موتي بس تكفين　　　عليّ ميجانا وقولي عتابا
طلع بدوي بخلخالو بها الليل　　　وحسّه يقلق النايم بها الليل
احمد أنا مسافر بخاطركم بها الليل　　　ادعوا لي بالسلامة يا الحباب

*　　　*　　　*

صاح محمد العابد يا ربي　　　سبعتاشر سنة بالمحبوب أربيّ
احمد يا عمتي يا سكر بعلبي　　　فرّق بينا رب السما
صاح محمد العابد يا جيران　　　هواكم طبق اضلاعي يا جيران
عسى الله يا عمتي بعد الفراق　　　نصير جيران ويجمع شملنا رب السّما

*　　　*　　　*

حمامي من العصر يا ناس طاير　　　قلبي مع ظريف الطول طاير
وانا ان جابولي العسل فوق الفطاير　　　عيشي مُرْ عا فراق الحباب
أجيت ع الدار حتى أسأل وَسايل　　　دمع العين ع الخدّين سايل
قالوا طلع مع الشباب قلنا ما يسايل　　　قالوا مات شقيّنا الثياب

*　　　*　　　*

أبو خدّن عليك وردن شرابيك　　　وبأيدي يا قبر لبحش تُرابيك
ظريف الطول هالنايم باراضيك　　　تهنّا يا قبر واحنا بالعذاب
أبو خدّن عليك الورد يا روح　　　مالي قلب افارقهن ولا روح
أجينا تانسلّي البال ونروح　　　فرّق بينا رب السّما

*　　　*　　　*

عتابا نسيتها من كثر الهموم　　　وايام الصفا اتبدلت بالهموم

شو بدي ادعي على حظّي هالمشؤوم   خان الدهر فيّ ما استحى
أجيت ع الدار بحسبهم بعدهن   لاقيت الدار قفرة بعدهن
حزين مسكين ينتظر وعدهن   ظنون ما عاد للميت رجا
أجيت ع الدار يا حج عودي   قفر ما عاد للخلان عودِه
بالله يا ليالي السعد عودي   حتى نشبع شوف منكم يا الحباب

*   *   *

ودعناكم بخاطركم علينا   عزاز وتصعب الفرقة علينا
ريت اللي لامنا وأجا عَلينا   يجرب مثلنا موت الشباب
أجيت ع دار خلاّني وعَنّيت   عَنين النوق ع الجيران عنيت
ريتك يا شهر الفراق ما هليّت   عَشِنّو فيك فارقنا الاحباب

*   *   *

صاح محمد العابد بغربة   ودمعي فوّض النهرين بغربة
ويقول احمد ألا يا موتي في بلاد غربة   تلوب العين ما تلاقي حدا

*   *   *

هَلي ما لَبَّسوا الخادم سملهم   وعلى قلوب العدى ناطف سم لهم
المخاليق أرض وأهلي سما لهم   كواكب ماضية بجنح الدُّجى

*   *   *

علينا دلّل الدلال يا جواد   وعفنا بلادنا من الظلم يا جواد
لا رجال تكيد الرجال يا جواد   ولا مال يفك من العذاب

*   *   *

يا دار العز ناغيني تناغيك   بطل هَرْجَك يا ديواني وانا بيك
فراريج يطردوني واناديك   بعيني والرخم طارد عقاب

*   *   *

علينا ما علينا ما علينا   صهاينة وأمم التمت علينا
كُنّا بسور ومسَيّج علينا   إنهدم السور وداستنا العدى

*   *   *

غضب وانصب يا ديرة وحَل بيك   قبل كنت منوحتنا واحل بيك
صار اليوم يا ديرة وَحِل بيك   تقرفي اللي ثيابه مطهرة

*   *   *

علام القرد يا ديرة حجل بيك قبل كنتِ ديرتنا ونحجل بيك
صرتِ مثل صخرة بوعرة والحجل بيك دايم دوم في أرض الخلا

هذا ما يقال في المآتم . وقد أشرنا الى كل التقاليد التي كانت متبعة عند حدوث وفاة ، والجدير بالملاحظة ان معظم هذه التقاليد آخذة في الزوال ، وخاصة في أوساط الذين يسكنون المدن ، كما ان للظروف الاجتماعية والسياسية تأثيراً قوياً في اختفاء هذه التقاليد، لا سيما ان التجمعات السكانية القروية قد طرأ عليها تبدل ديمغرافي بسبب الاحداث والظروف المعيشية .
والملاحظ ان الجيل الذي عايش النكبة (1948) وكان متمسكاً بهذه التقاليد ، قد أصبح محدود العدد ، إذ قد مات اكثره ، أما الجيل الذي ولد بعد النكبة فهو أقل تمسّكاً بهذه التقاليد وأقل معرفة بها ، ناهيك عن ان الكثيرين من أبناء هذا الجيل لا يهتم بعضهم بالبعض ، ويبقى ان نقول ان العاطفة التي كانت تشد أبناء القرية ، بعضهم الى البعض الآخر ، استمرت الى حد . لذلك نود من ابناء جيل النكبة أثناء اللقاءات التي تتم في الاعراس والمآتم ، أن يوطدوا أواصر الصلة والمعرفة بينهم ، وان يحافظوا على التقاليد التي توشك ان تكون مهددة بالانقراض تدريجياً .

المعتقدات الشعبية

تنشأ معتقدات خاصة لكل شعب ، وتشكل هذه المعتقدات جانباً مهماً من حياة هذا الشعب وتفكيره ، كما انها تلعب دوراً مهماً ومؤثراً في حياة الأفراد والجماعات من الناحيتين النفسية والروحية ، لعلاقة بعض هذه المعتقدات بالدين .
من المؤكد ان للأديان علومها المستقلة " ولكن هذا لا يعني ادخال تلك الطقوس والتصورات والمعتقدات التي تبدو وكأنها طقوس ومعتقدات وتصورات دينية في حين أنها بعيدة عن جوهر الدين ، كالنذور وحرق البخور واضاءة مقامات الأولياء والتبرك بشجرة معينة ".
وكما يأخذ الانسان عقيدته الدينية عن أهله دون تمحيص وتدقيق ، يأخذ ، الى جانبها ، معتقدات أخرى ، متشعبة ، يحسب الكثير منها جزءاً من العقيدة الدينية ، وهي في الحقيقة، ليست كذلك ، وتصبح عنده قناعة غير قابلة للمناقشة حول هذه المعتقدات ، حتى أنه يُكفّر أحياناً من يحاول المساس بهذه المعتقدات ، ويعود ذلك الى الجهل المتفشي والمرتفعة نسبته ، خاصة في العهد التركي .

ومن الملاحظ ، ان الكثير من هذه المعتقدات التي كانت منتشرة في صفورية قبل النكبة عام 1948م كانت هي نفسها منتشرة في العديد من قرى فلسطين ، ولا يزال قسم منها باقياً حتى اليوم .
أما أبرز تلك المعتقدات ، وما تدور حوله ، فيمكن حصرها بالأمور التالية :
1- مقامات الأولياء :
في صفورية وجوارها مقامات كثيرة للأولياء ، وكما قلنا سالفاً قد تناولناها بمقال مفصل "معتقدات وأساطير " ، ونورد هنا أهم المقامات التي كان لها مسحة من التقديس في صفورية ، فهي :
مقام الشيخ مسلّم ، مقام بنات يعقوب ، مقام الويسي ، مقام الكركي ، مقام الشيخ خضر ، مقام الشيخ خلف ، مقام النبي زعيم ، مقام النبي إقبال ، زاوية الأشراف ، زاوية عبد المعطي ، ملات الشيخ علي ، مقام الشيخ مزيّر ، عين الورد ، بلاطة الحية ، مغارة بسيم .
وكان الاعتقاد السائد بأن لهذه المقامات شفاعة عند الله . وكانوا يتقربون اليها عبر عدة أمور ، منها :
أ- تقديم النذور
ب- تنظيف مكان الولي ، أي " تكنيسه " .
ج- فرش أرض المقام بالحُصر .
د- لف جزء من المقام بالقماش الملون بالأخضر .
أما زيارة هذه المقامات ، فهي في الحالات التالية :
أ- تأدية اليمين - وذلك عند توجيه أحد الناس تهمة لسواه وتكون ، عادة ، السرقة أو القتل ، فتجري تأدية اليمين بقول المدعي : حلفتك ب " صاحب المقام ".
ب- الدعاء بالضَرّر - خاصة عند النساء ، إذ تتوجه إمرأة ناقمة على جارتها أو قريبتها الى مقام الولي كاشفة ثدييها وطالبة اليه أن يساعدها على تحصيل حقها المهضوم مرددّة:"يا ربي تضر فلانة بشفاعة صاحب هذا المقام " .
ج- النذور - في حال مرض طفل أو زوج أو أخ أو أي عزيز على إمرأة ، تقول : "نِذْرِنْ عليّ أن أفرش أرض المقام وأقدم كذا من المال إذا شفي فلان أو خرج من شدّة أو عاد من السفر أو نجح في عمل " . وعند حدوث ما تمنّت ، تقوم بتأدية النذور واشعال البخور واضاءة السراج .
ومن الطرائف - ان أهل صفورية درجوا على الاعتقاد بأن فلاناً سرق النذور وقد يبست يده ، وآخر سرق النذور فمرض أو مرض ابنه او أخوه .

لكن تلك الاعتقادات قل شيوعها عندما أخذ بعض الفتيان يروون سرقتهم لمال النذور ويتباهون بأنه لم يحدث لهم سوء . ومن وطأة الاعتقادات بالأولياء ، كان بعض الناس يتداولون أقوالاً مُؤاداها : ان الولي الفلاني ظهر لفلان في الحلم ، وأحياناً في اليقظة ، ويتحدثون عن أوصافه واحاديثه مع الذين ظهر لهم .

2- تبديل الاسنان :

جرت العادة عند تبديل أسنان الحليب بالأسنان الدائمة أن يمسك الطفل سنّه وينظر الى الشمس ويردّد :" يا شمسية يا شمسية ، خدي سِن الحمار واعطيني سن الغزال " ، ثم يرمي السن الى أعلى . والغرض من ذلك ، أن تكون الأسنان الدائمة صغيرة وليست كبيرة كأسنان الحمار .

جمع غسيل الطفل عن الحبل قبل طلوع النجم :

لاعتقادهم ان طلوع النجم والغسيل منشور يعرض الطفل للمرض .

عدم إخراج الطفل قبل اليوم الأربعين من ولادته :

جرت العادة أن لا تخرج الأم بطفلها قبل مضي أربعين يوماً على ولادته ، إلى درجة انها لا تذهب به الى مسجد أو مقام ولي ، على اعتبار انها لا تزال غير " نظيفة " من جراء الوضع .

عدم المرور فوق الطفل :

خاصة إذا كانت المرأة في فترة " العادة الشهرية " وفي اعتقادهم ، ان ذلك يحول دون نمو الطفل " بِعُدْش يكبر " وينتج عنه حب في جسم الطفل .

الرقية :

كان الاعتقاد السائد بأن " صيبة العين " تحدث عن نظرة حاسد أو حاسدة الى الصبي ، الأمر الذي يلحق ضرراً به . وتتم معالجة " صيبة العين " اما بحرق البخور حوله ، أو بتذويب رصاصة صغيرة في النار ، ثم تمسك الأم وعاء فوق رأس الطفل فيه ماء وتصب الرصاص الذائب فيه . ومن المعروف ، ان الناس كانوا لا يحبون أن يتهموا بانهم وراء "صيبة العين " ، والمثل يقول : " لا عيوني زرق ولا أسناني فرق حتى أصيب بالعين " .

عدم عد نجوم الليل :

يعتقد الناس ، ان ذلك يؤدي الى بروز ثآليل في جسم الولد الذي يقوم بعدّها ، " كل نجمة بثالولة " .

عدم اضاعة ملابس الطفل :

وذلك لاعتقادهم انه إذا ضاع منها شيء ولم ترجعه التي أخذته وكانت تعرف صاحبه ، فإن ذلك يؤدي الى مرض الطفل ، " إنتِ يا فلان ميخذ من

أثره " فتلجأ الوالدة الى الفتّاحة لكي تبين لها اذا كان الطفل معمولاً له " عَمَل " .

سُكان العين :

كان الناس يتوهمون ان هناك سكان للعين " أي جن وعفاريت " التي كانت النساء يذهبن اليها لملء الجرار ، ويروون قصصاً كثيرة ، منها ظهور ثلاث حمامات بيض في عين الورد ، شيخ بلباس أبيض ، ثغاء ، وخوار وصهيل الخ ، مصدر هذه الاشياء العين ، واكثر من كان يخاف من هذا السكان الصغار .

3- القرينة والغولة :

كان الاعتقاد السائد بأن هناك أرواحاً شريرة وأرواحاً خيرة . أما الشريرة ، فتتمثل في الغولة والقرينة والعفاريت والجن ، ويزعم البعض أنه شاهدها بأشكال مختلفة ، منها الذكور ومنها الاناث ، وأحياناً تشاهد في الليل وأحياناً أخرى في النهار ، أمّا إقامة هذه الأرواح فاكثر ما تكون في المغاور القديمة . ويذهب أهالي صفورية الى ان هناك مناطق "مسكونة" ، أي فيها الجن والغول والعفريت ، ومنها :

أ- مغارة الويسي " السكان " أولياء صالحين

ب- خربة الخلادية " السكان " كلب أسود من الجان

ج- عين الورد " السكان " ثلاث حمامات بيض

د- بلاطة الحيّة " الرصد " حيّة رقطاء مع مقص

ه- مغارة خلة حليب " السكان " أنوار مشعة في ليلة ظلماء ماطرة

وكان الناس يتخوفون ، خاصة في الليل ، من المرور ، فرادى ، في هذه المناطق . فكان البعض " يتزاول " ، أي يرى شبح هذه الأرواح ، فيسارع الى ذكر اسم الله ويعتريه الخوف والفزع ويشجع نفسه بالغناء بصوت مرتفع ، ويركض من ذلك المكان ، وعندما يصل الى البيت يسقونه من " طاسة الرعبة " .

والغول في اعتقاد الناس ، مصدر خوف . وهو قادر على تغيير شكله ، ويمكن ، بالملاطفة، جعله عنصراً خيراً وصديقاً . ومن عادة الأمهات تخويف الأولاد به فإذا بكى الطفل ، تقول له أمه : " أسكت إسّا بيجي الغول بوكلك " . وساد الوهم بأن الجن قد يكون في البيت ، ولقد جرت العادة أن تذكر المرأة اسم الله عندما تمد يدها الى " الخابية" لاستخراج الطحين أو الى " الجرة " لاستخراج الزيت ، اعتقاداً منها بان ذلك يحول دون تمكن الجن من أخذ شيء من المونة .

ومن المعتقدات المتعلقة بالجن " فتح المندل " :
والغاية منه جلب المنفعة مثل شفاء مريض ، أو لرد العين أو لمعرفة مدفون أو مسروقات مخبأة. وفتح المندل يتوقف على اختيار شخص " يطلع المندل على وجهه " وعارف بأمر هذا الفتح ، وقد جرت العادة أن يحضر فنجان فيه زيت، وان يحرق بخور حول الفنجان ، ثم يقوم العارف بتلاوة أقوال معينة تُسمّى " تَعْزيم " في حين ينظر الذي يظهر المندل على وجهه الى الزيت في الفنجان ، وفي الاعتقاد ، ان الذي يقوم بالتعزيم يستحضر الجان ، وهذا يحقق المطلوب ويظهر على صفحة فنجان الزيت ، و " السحر " الغاية منه المنفعة أيضاً ، كالحصول على كنز أو رَد العين أو شفاء مريض ، والاعتقاد السائد ، أن هناك كتباً خاصة ومعرفة وأصولاً للسحر ، والعالمون بأمره قلة وهم قادرون أن ينتقموا إذا أرادوا ، ومن ذلك ، " ربط العريس " ، أي القيام بعملية سحر معينة تؤدي الى افتقاد العريس رجولته فيصبح عاجزاً عن ممارسة الجنس في ليلة العرس ، وهذا ما يجعل أم العريس "تخيط" ثياب العريس يوم الزفة ، وعند حصول " الربط " ، على العريس أن يذهب ويستحصل على حجاب .

4- الاحلام :

هناك معتقدات متعددة حول الأحلام وتفسيرات كثيرة ، منها أنه إذا رأى أحد في الحلم دماً فإن الحلم يفسد ، وإذا رأى حيّة فخير ، وإذا رأى ذهباً أو مالاً فَشَرّ ، وإذا حلم بموت شخص فيعني ذلك زيادة في عمر الشخص " أجاه عمر جديد " ، وإذا حلم بماء فَشَر ، وإذا أعطاه الميت شيئاً فخير ، وإن أخذ منه فَشَر ، ومنها إذا حلم أنه يأكل لحماً أبيض فَشَر ، أمّا السمك فخير ، وإذا حلم بخلع السّن فَشَر ، وإذا حلم بالفضة فخير ، أما الحلم بالتين فَشَر .

5- الخوف والمرض :

كانت " طاسة الرعبة " هي الاداة الصالحة لدفع الخوف ، فبمجرد أن يشرب منها الخائف يزول خوفه . أمّا المريض ، فيمكن أن يقرأ الشيخ آيات قرآنية على رأسه ، ثم يتمنّى له الشفاء بعد الفراغ من القراءة ، أمّا البركة فتقوم برش البيت الجديد بالمياه ، وبرش البيت الذي يخرج منه ميت ، بعد تلاوة آيات من القرآن وتبخير البيت .

6- التشاؤم والتفاؤل :

اعتاد أهل صفورية أن يتشاءموا من أمور ، منها :

أ- الغراب : منظره وصوته .

ب- البوم : منظرها وصوتها .

ج- الأجرد والأعور : إذ أن الالتقاء باحدهما ، خاصة في الصباح ، دليل شؤم على اعتبار هذا اللقاء يعقبه ضرر . لذلك ، يقولون " نزع صباحنا " و" صباح القرود ولا صباح الجرود " .
د- عواء الكلب : بشكل متقطع ، وهذا عندهم دليل شؤم ، ويسمون صوته " جوح " .
ه- رَفة العين اليمنى : تعود على صاحبها بالضرر .
و- الخروج من البيت للسفر ونسيان حاجة والعودة لتناولها : " الرجعة مش مليحة " .
ز- البس (الهر) الأسود دليل شؤم .
ح- البيع بالدين صباحاً .
ط- الطنين في الأذن اليسرى ، وهذا يعني ان شخصاً يذكره بالسوء .

أما مظاهر التفاؤل فتتجلى في عدة أمور :

أ- " رعيّة " الكف ، أي شعور الانسان بالحاجة لحكها ، وهذا يعني أنه سيقبض مالاً .
ب- وجود " رغوة " على سطح فنجان القهوة يعني قبض المال ، والبعض " يفتح بالفنجان" لمعرفة الحظ .
ج- طنين الأذن اليمنى يعني ان أحداً يذكره بالخير .
د- رفة العين اليسرى ، تعني أن صاحبها سيلاقي خيراً .
ه- دخول فراشة الى البيت ، يعني مجيء ضيوف أعزاء .
و- انكسار وعاء يعني " انكسر الشر " .

7- استنزال الغيث :

جرت العادة ، عند تأخر الأمطار والتخوف من القحط ، تجمع كميات من الحصى ويقرأون عليها من آيات القرآن الكريم داخل المساجد والزوايا ثم يضعونها داخل أكياس ويسيرون باتجاه القسطل وهم يصلون صلاة الاستسقاء وبعد وصولهم القسطل يضعون اكياس الحصى في مجرى الماء ، ولا يخرجون اكياس الحصى إلا بعد أن يهطل المطر وتُروى الأرض .
ومن أقوال الاستسقاء :

يا الله الغيث يا ربّي — تانسقي زرعنا الغربي
من شرقا ومن غربا — تَيملّي خوابينا
يا الله الغيث غيثينا — حسن الأقرع راعينا
طول الليل وهو يزرع — تَيملّي خوابينا

8- معتقدات متنوعة :

أ- ربط ثِمّ الوحش : عندما يضيع حيوان لأحد سكان البلدة فإن صاحبه يتوجه الى أحد سكان البلدة المختصين ليربط "ثم" (فم) الوحش عن حيوانه ، ويتم ذلك بفتح سكين وقراءة آية الكرسي ثم سورة التكوير ويكررها ثلاث مرات ، ثم يقرأ سورة الفيل ، وفيها لا يقول كلمة مأكول الواردة في النص القرآني بل يقول ملجوم ، ويكررها ثلاث مرات ويغلق السكين . وبهذا يعتقدون أن الوحوش تتوقف عن افتراس الحيوان .
ب- التكنيس بالليل : يعني طرد الملائكة وإتيان الشياطين .
ج- التمشيط بالليل : شؤم - ومن اقوالهم فيه : الشمس بتدّلى والحزينة بتتفلّى .
د- السبيل : هو وفاء لنذر أو عن روح ميت ، كترك شجرة مشاعاً ليأكل منها عابر سبيل ، وكان من ذلك شجرة تين ، وغالباً ما تكون على جانب الطريق .
ه- العطسة : دليل الفرج ، وعندما يعطس صغير يقولون : " فرج الله " .
و- قَرط (عض) اللسان : دليل الكذب .
ز- عدم تفصيل الثياب يوم الثلاثاء : " الثلاثاء للوراثة " .
ح- يوم الأربعاء عدم قص الثياب : شؤم .
ط- الخميس يوم تفصيل الثياب : " يوم الخميس فصل لحبيبك قميص " .
ي- يوم الجمعة : أضاءة مقامات الأولياء للبركة ، وزيارة الولايا .

المجاملات

درج أهل القرى الفلسطينية على استعمال عبارات للمجاملة في مناسبات متعدد ، منها :
أ- مناسبات أفراح : العرس والزواج والطهور ، يقولون للعريس : مبروك ، العروس - ان شاء الله بتتوفقوا ، فيجيب : الله يبارك فيك ، عقبال عند اولادك ، أو عقبال عند المشتهي ، وتُردّد نفس العبارات للعروس : مبروك العريس ، ان شاء الله بتتوفقوا . ويقولون للعريسين : عقبال البنين - ويقول العروسان : عقبال فرحة أولادكم ، أو عقبال فرحة العزّابية ، وللشباب : عقبال فرحتكو ، فيرد : بحياتكم .

ب- العزايم : يقوم أهل العريس بدعوة الأقارب والأصدقاء الى عشاء أو غذاء ، وتتم الدعوة شفهياً ، إذ يذهب صاحب الدعوة : الى بيت كل منهم ويقول : تفضل عندنا على العشاء أو الغذاء ، يوم كذا . وعندما يكتمل حضور المدعوين ، يقول صاحب الدعوة : تفضلوا عا المَيْسور ، ما في شيء من قيمتكم ، وبعد الانتهاء من الأكل يقول المدعوون لصاحب الدعوة : يخلف عليكم ، دايمة ، ان شاء الله بالافراح ، محلكم عامر . فيجيب صاحب الدعوة : بوجودكم ، أهلاً وسهلاً فيكم ، انتم مفضلين ، ريتو صحتين وعافية . وعند مغادرتهم يقولون : بخاطركم ، فيرد صاحب الدعوة : اجعلوها عودة .

ج- في الاعياد : يقولون أثناء زيارات المعايدة : كل سنة وانتم سالمين ويكون الجواب : وانتم سالمين أو القايلين ، وأحياناً يقولون : كل عام وانتم بخير ، ويكون الجواب : وانتم بخير ، واذا صافح شاب مُسناً وعايدهُ ، يرد عليه المسن : عيد الجاي وانت عريس أو عيد الجاي ان شاء الله بنفرح فيك .

د- الحج : عند توديع المتوجه للحج يقولون له : ان شاء الله تعود سالم وغانم ، فيجيب : عقبال حجتكم ، وعند عودته يقولون اثناء التسليم عليه : حج مبرور وسعي مشكور وذنب مغفور ، أو مبروك الحجة ، أو الحمد الله على السلامة ، فيقول : الله يبارك فيكم، عقبال عند المشتهي .

ه- المولود الجديد : يقول المهنئون لوالدي الطفل ، إن كان ذكراً : مبروك العريس ، ان شاء الله يتوفق ، ويأتي الجواب : الله يبارك فيكم يخلي ولادكم ويطعمهم عرسان . وإذا كانت المولودة بنتاً يقولون : مبروك العروس ، ويأتي الجواب : الله يبارك فيكم ، ويقولون للمرأة الحامل : ان شاء الله تقومي بالسلامة ، وبعد الولادة يقولون لها : الحمد لله على السلامة ، فتقول : الله يسلمكن . وعندما ترى احدى النساء المولود الجديد ، تقول : اللهم صلي على سيدنا محمد ، وذلك خشية صيبة العين .

و- الملابس الجديدة : يقولون لمن يلبس ثياباً جديدة : مبروك تهري وتجدد ، ملبوس الهنا .

ز- مناسبات الاتراح : عند حمل النعش أو التابوت ، يجري تبادل العبارات التالية : آجر ، عظم الله أجرك ، الجواب : اجرك عند الله عظيم ، وبعد الدفن يقولون : سلامة راسك ، سلامة الموجودين أو العَوَض بسلامتك ، فيقول : البقية بعمركم أو البقية بحياتكم ، الله يخلي احبابكم وأولادكم .

ح- المريض : جرت العادة عند زيارة المريض ، ان يقولوا له ولذويه : ما عليه شر ، بروح الشر وبتيجي العافية ، مْعافى ، الجواب : ما تشوفوا شر ،

وبعد شفائه يقولون : الحمد لله على السلامة ، راح الشر وأجت العافية ، كيف حالك ، كيف انت اليوم ، ان شاء الله بخير ، الجواب : الحمد لله ، الله يخلي اولادكم .

ط- الوضوء والصلاة : يقولون لمن يتوضأ : زمزم ، فيجيب المتوضىء : محبة جمعاً ، وبعد الصلاة يقولون : تقبل الله ، ويجيب المصلي : الله يقبل منّا ومنكم .

ي- السفر : يقولون للمسافر : مع السلامة ، ان شاء الله تروح وترجع سالم ، فيقول : الله يسلمك ، ويقولون لأهل المسافر : مثل ما ودعتم تلاقوا ، فيجيبونهم : تلاقوا الخير ، وعند عودته يقولون له : الحمد لله عا السلامة ، فيجيب : الله يسلمكم .

ك- العمل : عند مرور أحد أبناء البلدة على رجل يشتغل يقول له : صح بدنه ، يعطيك العافية ، فيرد : وبدنه ، الله يعافيك ، أو والقايل .

ل- التعارف : إذا قابل أحد شخصاً لا يعرفه يقول له : اسم الكريم بلا زُغْرَة ، فيقول : فلان ، فيقول له : والنعم والثلاث تنعام ، والبركة والسبع بركات .

م- التدخين : عندما يشعل رجل سيجارة آخر ، يقول له : تسلم من شرها ، فيرد عليه : ولا تشوف حرها .

ن- مجاملات متفرقة :

اذا مر في الحديث ذكر شيء قبيح ، يقول المتحدث : بعيد عنك . عند القيام بدخول بيت يقول الزائر : يا اهل الدار ، دَسْتور ، يا ساتر ، فيقولون له : دستورك معك ، تفضل ، فوت .

عند ذكر انسان محترم ، يقولون : فلان (شَرْواك) ، فيرد شرواك كل خير .

عند انتهاء السهرة ، يقول الزائرون قبل خروجهم : تصبحوا على خير ، بخاطركم ، فيقال لهم : وانتم من اهله ، تلاقوا الخير ، مع السلامة . اذا قاطع شخص آخر وهو يتحدث ، يقول له : ولا قطعان لهرجك عند امتداح شخص لآخر يقول : فلان ابن أصل .

عند التلاقي في الطريق يقولون : مرحبا ، السلام عليكم ، صباح الخير ، نهارك سعيد ، مساء الخير ، ويكون الجواب : وعليكم السلام ، مرحبتين ، صباح النور ، الخ .

عند الاعتذار يقولون : متأسف ، والله بدون قصد ، غصب عني .

عند الحلاقة يقولون : نعيماً ، فيرد : الله ينعم عليك ، وتستعمل نفس الألفاظ عند الاستحمام .
عند تسليم الواحد للآخر شيئاً يقول له : تسلم ايديك ، فيرد وايديك .
اذا مرّ أحدهم على بيدر وشاهد عُرْمة القمح يقول : على البركة ، فيردون : حَلّت يا بركة .
عند السعلة يقولون : صحة ، الجواب : على قلبك .
عند القيام بعمل مستحسن يقولون : ريتهن ما يبلو هالايدين ، وعند الاستحسان يقولون: ما شاء الله ، أو يقولون : اللهم صلى على سيدنا محمد ، أو يقولون : اللهم زِدْ وبارك .
مجاملات مزاح : يقول الواحد : الله لا يصبحك ـ وينتظر قليلاً ، ويكمل : إلاّ بالخير .

المَسَبّات

المسبات متنوعة ، منها المباشر ومنها غير المباشر ، منها الطعن في التكوين الجسدي لشخص ، أو الأخلاقي ، منها ما يوجه لفرد ، ومنها ما يوجه لجماعة ، منها ما يوجه للنساء ، ومنها ما يوجه للرجال ، ومنها ما يوجه للصغار ، وقد تكون مسبات دينية .
ولا تستوي المسبات ، فمنها ما هو مقذع ، ومنها ما هو لاذع ، كما إن تأثيرها على الشخص الذي توجه اليه يختلف بين الواحد والآخر ، وقد تقوم عداوة بسبب مسبّة إذا كان فيها مَس بالعرض والشرف . وقد تكون المسبة أحياناً للاستحسان : يخرب بيتُه ما أشطره ، وفلان بندوق ابن حرام ، وفلان زنديق ، وإزعَر .
والمسبات قد تكون باللفظ أو بالاشارة أو بالحركة والتمثيل . ومن المسبات التي كانت شائعة :
أـ المسبات البدنية :
ثِمّه مثل باب المغارة
ذينيه مثل ذينين الحمار
وجهه مثل مزراب الألمينيا ، أو مثل مزراب العين .
عينيه مثل الصرصور في اللبن
رجليه مثل رجلين أبو سَعد
راسه قد راس التيس
لسانه مثل مقص السكافي
شواربه مثل ذيل الحمار

أصابعه مثل أصابع المذراية
راسه مثل راس الحمار
لسانه بسبع فراشات
اسنانه فُرُق وعينيه زُرُق
الطول طول نخلة والعقل عقل سخلة
كل طويل لا يخلو من الهَبَل ، وكل قصير لا يخلو من الفتن
راسه زي البطيخة
لحيته زي المكنسه
ب- مسبّات على شكل دعاء بالأذى :
الله يغضب على فلان
الله يرمله
الله يسخْمُه
الله يعدملو هالطول
الله يقصر أجله
الله يقطع ضناه
الله يْعَدْمُه نظره
الله لا يرده سالم
الله لا يقيم عنّه شِدّة
الله يخرب بيته ، وبيت اللي خلّفوه
الله لا يسهل له أمر
الله يفضح حَريمُه
مَهْري يهريه
يقطع زريعته
الله يْرَمّل مَرَته
الله يقطع ايديه
يفضح أمه على عبد اسود
طاعون يقتله
عَزا عَزّيين
عزرايين يوخذه
يبلى بالعمى والطرش
امّه تقبره
روحة بلا رجعة

يبلاه بايديه وعينيه ويتكرسح ويمد رجليه

ج- مسبّات خلقية :

سافل	منحط
صقع	داشر
قواد	حمار شغل
بالع راديو	عظمُه أزرق (لئيم)
هامل	نيابُه صُفر (خبيث)
واطي	تيس معمعم
دَيوث	ايدُه طويله (سراق)
زنديق	لا بهش ولا بنش
قذر	حقير
وسخ	نصّاب (محتال)
عكروتة	
داشرة	هاملة
سايبة	عينها زي عين الفحل
شلوكة	نير يشطحك

د- مسبات على شكل لعنة :

الله يلعن اللي خلفه

الله يلعن اللي بشرت فيه

الله يلعن الله نفضه

الله يلعن اللي بزّره

الله يلعن هالبزرة النجسة

الله يلعن اللي رضّعته

الله يلعن اللي سحبت رجليه

الله يلعن اللي مات في دارُه

الله يلعن اللي مات بدار أبوه

الله يلعن أبوه وعشرة بقربوه

الله يلعن اللي ربّاه

الله يلعن العاطل

الله يلعن المليح بقرايبُه

الله يلعن شيبته

الله يلعن هالكبرة

الله يلعن عرضه
الله يلعن اللي مات في عيلتُه
الله يلعن ظهر اللي هو من ظهره
الله يفضحها على جحش
الله يلعن كَراعين امه

الفضائل الصفورية

قد يُخيّل الى بعض الناس أن الحضارة علوم ومعارف . هذه من الحضارة . وقد يتوّهم بعضهم أن الحضارة هي الآلة . الآلة ناحية من الحضارة ، لاسيما إذا كانت الآلة تُجمِّل الحياة ، وتزيدها بهجة ورونقاً . وقد يُظَنُّ أن الحضارة صنع وبناء وعمران . هذه نواحٍ من الحضارة ، ولاسيما إذا كان هذا النوع من النشاط عاملاً في تدميث الحياة ، وفي إسباغ مسحة من الرضى والسعادة على العيش .

الحضارة في جوهرها مجموعة فضائل روحية وعقليّة : الدين ، والأخلاق ، والفلسفة ، والعلم ، والعدل ، والإحسان ، والذوق ، والفن ، والدماثة ، والمعاملة ، والعادات الفاضلة. فإذا كان جوهر الحضارة فضائل ، فإن في

صفورية قسطاً وافراً من الحضارة الخيّرة . ولكنّها بعد النكبة حضارة في طريق الزوال . وعندما نسمع آباءنا يتحسّرون على الماضي ، وعندما يذكرون القديم بالخير فإنما يتحسّرون على تلك الفضائل ، ويتذكرون ذلك العيش الهانيء .

وإذا نحن أفردنا فصلاً في هذا المؤلَّف لذكر الفضائل الصفورية ، فإننا لا نقصد الى المدح والمباهاة . كلاّ إنمّا نحن بصدد تدوين واقع الحياة الصفورية ، كما كُنّا نعهدها في مطلع القرن العشرين . وعندما ذكرنا هذه الفضائل ، لا ندَّعي أنها فضائل يتصف بها كل صفوري . الصفوريون بشر ، فيهم الخير وفيهم الشر ، فيهم الكرم وفيهم الحرص ، فيهم النبل وفيهم الحطّة ، فيهم التقوى وفيهم الكفر . وسنأتي في هذا المؤلَّف على ذكر النقائص في الخُلق الصفوري ، ولن نستنكف عن ذكر المثالب . ولكننا آثرنا البدء بذكر المزايا الطيّبة ، والصفات الكريمة التي يتصف بها أكثر سكان صفورية ، لأنها حَرِّية بالتدوين . نذكر منها بإيجاز كلي :

1- كرم الضيافة
2- النخوة والعونة
3- القناعة
4- التقشّف والصبر على المكاره
5- حسن الثقة والأمانة
6- الصدقات السرّية
7- المصالحة وحسم المنازعات
8- احترام كبير السن
9- الآداب العامة

1- كرم الضيافة :

وقد قصرنا صفة الكرم على الضيافة ، لأن كرم الصفوري يبرز أحسن ما يبرز في إكرامه الضيف ، وفي تفانيه في خدمته ، لا نستطيع القول ، بأن الصفوري سخيّ في العطاء للخير العام ، وللإحسان العام . ذلك لأن تيقُّظ الضمير الاجتماعي ، ظاهرة جديدة مبعثها العلم والمعرفة ، والتحسُّس برذائل الظلم الاجتماعي . الصفوري لم يتعلم بان يعطي ، وقد نَقْسُو عليه في أحكامنا ، إذا كنّا ننتظر منه ، أن يشعر بالمسؤوليّة الاجتماعية . وسنذكر فيما بعد أنه يُحسن ويتصدَّق بطريقة سرية أحياناً .

يعتّز الصفوري بدعوة الضيف الى غذاء ، أو عشاء ، أو الى المبيت عنده . ويشعر بنوع من الغبطة ، والزهو عند إقامته وليمة ، يدعو إليها الضيوف

والأصدقاء . وقد يُظهر من ضروب الكرم ، ما لا طاقة له على تحمُّله . وفي كل بيت يقصُّون عليك قصة بعد قصّة ، عن أناس يستدينون ، ليكرموا الضيف ، وعن أناس افتقروا بعد غنى ، لِفَتْحِهِم بيوتهم "مضافات " . ذلك لأن الكرم من صفات الزعامة والوجاهة . يقولون " الكَرَم بِغَطّي كلّ العْيُوب ! " ويقولون " أُضْرُب سيف بِتْتْأمَّر ، إطْعَم خبز بْتِتْمَشْيَخ " وأي صفوري لا يحبّ أن يكون أميراً أو شيخاً في قريته ؟

إذا أتى غريب ، ونزل في القرية ، وأراد استيطانها ، فإن أهل القرية يشعرون بواجب الضيافة . بعد أن يستقر به المقام يبنون له بيتاً ويؤثّثونه ، واذا كان أعزب يزّوجونه . وأني أعرف قصصاً كثيرة من هذا النوع لا مجال لِسَرْدها .

ولا يقتصر الكرم على إضافة الغريب ، بل نجد أن الصفوري يظهر كرمه نحو جاره ، وقريبه ، واني اتذكر عندما كنت صغيراً ، واذهب لزيارة جدتي حفيظة كانت تحملني سَلّة في أسفلها خُضَر : لوبيا وبندورة وبطاطا جديدة ، وفي أعلاها فاكهة : عنب وتين ، وتقول لي : " يَلاَّ خُوذ هَالسَّلِّة لأمك " !

وفي يوم اللحامة (عندما يذبح الخروف المسّمن) يولم ويدعو الأهل . واذا طبخ كروش أرسل بصحن منها الى جيرانه أو أقاربه ، واذا طبخ الهريسة ، وزَّع منها على الأصحاب ، واذا سلق القمح بعث به متبلاً بحَبّ الرمان ، وماء الزهر ، والسكَّر الى الجيران والأصحاب . واذا أقبل الموسم ، لا ينسى أن يرسل هديّة من غلاله الى من هو بحاجة الى هذه الغلال ، من فقراء العائلة ، كالزيتون والدبس .

2- النخوة والعونة :

يُلبِّي الصفوري النداء للنجدة . عون الجار فريضة مقدّسة ، واذا أعان جاره وأغاث قريبه، فإن جاره سيعينُه يوماً ، واذا احتاج ، فإن قريبه سيغيثُه يوماً .

يسمّون النجدة " النخوة والعونة " ، ولفظها يدّل على معناها . فإنّها المساعدة الجماعيّة التي يسديها الجيران للجار ، في الأعمال التي تحتاج الى أيدٍ كثيرة ، أو في الأعمال التي لا تتحمّل مرور الزمن ، بل يجب أن تُعمَل ضمن وقت قصير معيّن ، كقطف الزيتون وجمعه، ويتعاونون على سلق القمح ، وصنع البرغل ، وصنع الخبز . ولا تنحصر مظاهر النجدة في الاعمال اليدويّة والزراعية ، بل تتعدّاها الى الأمور الاجتماعية . ففي حال

الحريق أو التهدّم أو الكوارث أو الموت ، ترى الناس في صفورية يداً واحدة .
يجدر بنا هنا أن نذكر شيئاً عن النجدة والنخوة للطنيب الذي يحلّ عند أهل صفورية . فقد رُوي لي عدة روايات أوجزها بما يلي :
1- رَوَت لي فاطمة محمود رواية عن بدوي يدعى عَصْري . كان هذا البدوي مع افراد عائلته يعملون عند نعمة العواد مختار قرية معلول ، وكانت له ابنة عم آية في الجمال وهي مخطوبة له ، وأراد ان يتزوجها ، لكن نعمة العواد احْتَجَز الفتاة في داره لكي يتزوجها ، ولم يستطع المسكين فعل شيء أمام جبروت نعمة العواد . فلجأ عصري إلى أهل صفورية وطنب عليهم أن يعيدوا له عروسه من نعمة العواد .
أرسل مشايخ صفورية وفداً الى نعمة العواد ، كي يعطيهم الفتاة ، فرفض الطلب ، وعاد الوفد بدون الفتاة بعد ان توعد نعمة العواد بالقتل والقضاء على عائلته اذا انتهك شرف الفتاة .
روى الوفد بعد عودته للمشايخ ما كان بينهم وبين نعمة العواد وتمسّكه بالفتاة . فقرر المشايخ والوجهاء استعمال القوة ، ونادى المنادي في البلدة ، وهرع الكبير والصغير يلبي نداء النخوة ، وسارت جموع صفورية مشايخها وشبابها وعساكرها صوب معلول ، وقبل وصولهم هرب نعمة العواد من معلول . حاصر الصفافرة معلول واحتلوها ، واستخلصوا الفتاة ، وعادوا بها الى البلدة ، وبعد أسبوع أولموا للعروسين حفلة عرس عند ملات الشيخ علي ، لم تشهد صفورية ومنطقتها مثل هذه الوليمة من قبل . وبنوا له بيتاً وزوّدوه بجميع لوازم الحياة .
وكما قُلت سالفاً ليس هذا من باب الفخر والاعتزاز ، بل من باب الكرم والنخوة لأغاثة المستجير والفقير .
2- رُوِيَ لي حادثة قتل وقعت في قرية لوبيا ، وان القاتل من عائلة كبيرة مُسْتَبّدة ، ويريدون هضم حق القتيل لأنه من عائلة فقيرة لاحول لها ولا قوة . وجرت عدة محاولات لإصلاح ذات البين بين الفريقين ، لكنها باءت بالفشل . فقال أحد وجهاء منطقة لوبيا لأخ القتيل : اذا أردت حَقّك يعود لك فعليك أن تستجير بأهل صفورية ، لأنه لا يقدر أحد أن يُحصّل لَك حقّك إلاّ أهل صفورية ، لأنه الرطل بدّو رطل واوقيّة . فجاء الرجل طنيباً على أهل صفورية ، أستدعى المنادي مشايخ ووجهاء صفورية الى مضافة الشيخ صالح السليم ، وأُطْلِعوا على الأمر ، وبعد مداولات ومشاورات ، قرّر الجميع أيفاد الشيخ صالح السليم مندوباً لهم الى قرية لوبيا . وعندما وصل بيت المختار ، استقبله الخادم بالترحيب :

(أهلاً وسهلاً بالشيخ ، زارتنا البركة ، يا ميت أهْلا وسَهْلا) ، وأخذ الفرس ورَبَطْها ، وعَلَّق إلها (أي وضع في المخلاة تِبْناً وشعيراً) ، ودخل الشيخ صالح المضافة ، ولم يجد فيها أحداً ، فسَأَل عن المختار حسن أبو دهيس ، فقال الخادم حالاً يحضر . وعندما عاد حسن أبو دهيس من سفره ، ورأى فرساً مربوطة في ساحة المضافة أدرك أنه مُضاف ، فسأل خادمه مَنْ عِنّا ، فَرّد الخادم وقال : الشيخ صالح السليم الصفوري ، فَهَزّ رأسه وقال بلهجة الغاضب : الشيخ صالح بِبْلادُه مش هون . فدخلت العبارة أذن الشيخ ، وقام فَوْراً وأنْتَعَل نَعْلِه مستعداً للسفر ، فدخل حسن أبو دهيس الديوان ، وسَلّم على الشيخ وَرَحّب به ، مالك على عَجَلْ يا شيخ أرمي نعلك واجلس مكانك ، فَرَدّ الشيخ وقال له : اسْمع يا حسن يا أبو دهيس ، أنا راجع عَ بلادي ، بس لازم تعرف إنّه دِيّة القتيل بْعَشَر دِيّات، ولازِم تيجي عَ صفورية حافي القدمين مَكْشوف الراس وعقالك في رقبتك .

وعاد الشيخ الى صفورية ، واجتمع مع المشايخ والوجهاء ، وروى لهم ما صار معه . فَقَرّر الجميع واتفقوا على ان يأخذوا الحق بالقوة . فاستدعوا قيادة الثورة ورجالها وأطلعوها بالخبر كي تكون القوة التي تستخلص الحق لصاحبه . ووصل الخبر أهل لوبيا ، وبعد مشاورات ، أرسلوا طارش لأهل صفورية ، انهّم مستعدون للصلح ، وموافقون على شروط الشيخ صالح ، وتمّ الصلح بالشروط التي أملاها الشيخ صالح . وهذا من شِيَمْ واخلاق أهل صفورية ، وكرمهم ونخوتهم لمناصرة الفقير ، والطنيب ، وانْتِزاع حَقّه من ظالميه عملاً بقوله تعالى :

{ وَإِن طائِفَتانِ من المُؤمِنين اقْتَتَلُوا فَا صْلِحُوا بَيْنَهُما فإن بَغَتْ إحداهُما على الأُخْرى فقاتِلُوا التّي تَبْغِي حَتّى تَفيءَ إلى أمْرِ اللهِ ، فإنْ فاءَتْ فَاصْلِحُوا بيْنَهُما بالعَدْلِ وأَقْسِطُوا إنَّ الله يُحبُّ المُقْسِطين} . الحجرات : 9 .

{ وإذا حكمتم بين الناس أنْ تحكموا بالعدل } النساء : 58 .

3- رَوَى لي أبو محمد ، غازي زعبي ، أنه في أوائل العشرينات من هذا القرن ، وقعت طوشة بين عائلتين من أهل نين ، وقُتِلَت امرأة من صفورية كانت متزوجةً رجلاً من نين . فاستنجد زوجها بِنَسايبو الصفافرة ، وأتى الفزيع بِأشي لا يُصَدَّق ، لولا رَحْمة رَبّنا وَتَدخّل المشايخ من الطرفين ، لَقَضوا عَ البلد زغير كبير . وَتَمت الصلحة وانتهى كل شيء بسلام . أمّا بِتِعْرِف يا رجُل بحياتي ما شُفْت هيك نخوة وشهامة ، مُجَرّد ما وصلهم خبر قَتْل وْلِيّتهم هَبّوا زغير كبير ، وهجموا عَ البلد بِدْهِنْ يبيدوها ! والله هيك شهامة وإلاّ بلاش .

يجدر بنا هنا أن نذكر شيئاً عن الطريقة المتّبعة في ابلاغ الناس طلب العون أو النجدة . يتم ذلك عن طريق المناداة ، من على السطح بعد الغروب ، عندما يعود الناس الى بيوتهم ، وعندما يكونون قد جلسوا لتناول طعام العشاء . يصعد المنادي الى سطحٍ وسط القرية وينادي :
" يا سَامْعين الصُّوت صَلّوا عَ النَّبي ، أوّلكو مُحمد ، وثانيكو عَلي ، وثالِثكو فاطمة بنت النبي " . ثم يعلن الخبر ، وقد يكون الخبر المعلن يتعلّق بضياع شيء ما ، أو فُقدان دابّة ، أو دعوة نخوة تتعلّق بمساعدة جماعية .

3- القناعة :

نحن الذين ندعو اليوم أبناءنا الى الطموح ، والى العمل المستمّر ، والى جمع اكبر ثروة ، تكفل لهم أحسن مركز اجتماعي ، قد لا نُعِدّ القناعة فضيلة . لكن القول المأثور " القناعة كنز لا يُفنى " لا يزال دستور الحياة الصفورية الى حدّ بعيد . وهذا لا يعني أن الصفوري كَسُول اتكالي ، كلاّ ، فهو يعرف أن مَعْجنه لن يمتلىء خبزاً ، وخابيته لن تمتلىء قمحاً ، إلاّ بعرق الجبين . فهو من هذه الناحية دؤوب على عمله ، يُبكر الى حقله شتاء صيفاً . وانا أعرف فلاحين عديدين ، خلقوا من الوعر ، خلال سنين وسنين من العمل المضني ، جنائن سَخيّة بالغلال ، وبساتين تَدّر لبناً وعسلاً . ولم أسمع عن فلاحين في القرى المجاورة، يضارعون الفلاح الصفوري في مثابرته واجتهاده .
الى أي حدّ يبلغ طموح الصفوري ؟ لا يطمح الى كثير . أوّل ما يطمح إليه بناء عِليّة . اقتناء بيت موضع فخر واعتزاز . لا يصبح الرجل في صفورية رجلاً ، إلاّ بعد أن يصبح "صاحب بيت " والبيت ستره :

يا بيتي يا إبْويتاتي   يا إمْسَتِّر عيباتي
فيك بوكِل وفيك بشرب   وفيك بَمِد جْرَياتي

والبيت مثل الرزق لا يباع ، وما لا يتصرَّف به بيسر . فقد يخطر على بال أحدهم في ساعة ضيق واحتياج ، أن يبيع البيت ، ولكن البيت عقدة أي لا يسهل بيعه ، فيبقى الى زمن ربّما تكون الحاجة فيه أشدَّ وأعنف . ولذلك يقولون " البيت أول مقتنى وآخر مبيع".
ويطمح الصفوري الى أن يتزوّج ، " والزيجة سترة " والزيجة المبكرة حكمة . فالمرأة بَنّاءة خدومة مقتصدة . يقولون " الرجل جَنَّا والمرأَة بَنَّا " . والأولاد بركة من السماء . وفضلاً عن هذا فإنهم ضمانة المستقبل . كما أعان هو والديه فإنه يأمل أن يعوله أولاده في الكبر.

ويطمح الفلاح الصفوري أن يزيد كل سنة ، إذا استطاع الى ذلك سبيلاً ، " شْوَيّ عَ الرِّزقات " كَشراء قطعة سليخ رخيصة فينقبها ، أو رباع يعيد نقبه وغرسه ، أو قد يحفر بئر ماء . الشيء المهم أن يضيف الى الرِّزقات شيئاً من توفيره .

ويطمح الصفوري أن يكون كما يقول المثل " فلاح مكفي سلطان مخفي " ، فإذا جاء زمن المونة (شهر ايلول) ، يستطيع أن يشتري مؤونة الشتاء ، حتى إذا أتى الشتاء ، جلس على جاعد أمام الكانون خالي البال . (الحمد لله ! مَوَّنا البيت وارتاح البال) . ولا ينسى الصفوري أن يكون شكوراً . يعتقد أن بالشكر تدوم النعم ، فلا خابية الزيت تفرغ، ولا كوارة الطحين تفرغ ، إذا شَكر العبد مولاه .

4- التقشّف والصبر على المكاره :

تظهر روح التقشّف في الملْبس والمأكل ، وفي فرش البيت ، وفي الاقتصاد في النفقات ، وفي العزوف عن الدنيا ومباهجها . الصفوري محتشم رصين يترفّع عن الزهو ، ويبتعد عن مجالس الطرب والشراب .

أما الصبر على المكاره فميزة يتميّز بها الصفوري . إذا " حطَّ عليه الدهر " فإنه يصبر ويشكر . وإذا حلّت الكوارث يصبر ويشكر ، واذا نزلت ضائقة فإنه يتجالد ويصبر ويتحمّل .

5- حُسن الثقة والأمانة :

ومن الصفات الصفورية البارزة حسن الثقة والأمانة . ومن يعرف الصفافرة اليوم ، ويقابلها بالأمس ، يجد أن طباع الصفوريين آخذة بالتغيّر ، والتحّول عن العرف القديم .

يقول لنا آباؤنا إن الفقراء أيام الضيق (الشتاء والأيام القليلة الواقعة قبيل جمع الغلّة) كانوا يستقرضون لايستدينون . وكانت القرضة عَ الأمانة الى الموسم . والموسم الذي يعتمدونه في وفاء الدين موسم الفلاحة والزيت . وتظهر الأمانة في دفتر الدكنجي في القرية . فإنك تجد طريقة القيد تجري على هذا النمط :

بْذِمّة أبو محمد : 23 (ثلاثة وعشرون قرشاً).

بذمة أم سليم : زهراوي حقّ طحين . (الزهراوي قطعة نقود فضية قيمتها بشلك ، والبشلك (نحاس) قيمته 3 غروش) .

بذمّة أبو العبد : ريالين مجيدي للموسم .

ومن دلائل حسن الثقة والأمانة أن بيعهم الأرض ، وشراءها (ويسموّنها الملك أو الأملاك) كان يتم مراضاة أمام شهود . وإذا أرادوا المعاملة أن

تكون قانونيّة ، فإنهم يكتبون " حجّة " وعليها توقيع شهود الحال . وفي أدراج شيوخ القرية عشرات من هذه الحجج . وعندما شرعت الحكومة بمسح الأرض وتسجيلها ، اعتبرت هذه الحجج قانونيّة.
ومن الأمور الملاحظة قلّة السرقات في القرية . ولا يُستغرب ترك الباب بدون قفل ، أو ترك بعض الأدوات في الدار ، أو في الحوش ، أو تحت القنطرة ، كالدست والطنجرة والصاج وأدوات الفلاحة . وكذلك تترك المرأة غسيلها المنشور قرب العين ، وتعود مساء لتجمعه ، وقلّ أن سُمع أن الثياب سُرقّت .

6- الصدقات السرية :

تُعطى في القرية صدقات وإعانات سريّة ، لمن يسموّنهم عائلات مستورة ، أو عائلات "جار عليها الدهر " ، أي تلك التي افتقرت بعد الغنى . وكثيرات من نساء القرية الغنيّات عند جمع الغلال (الزيتون ، بزر اللوبيا ، خُضر ، حبوب) يرسلن بشيء من هذه الخيرات، إلى فقيرات العائلة ، ولا سيما الأرامل وذوات البنين العديدين . ومن اللطيف أنها ترسل بطريقة لا " ستكسر عزة النفس أو تكسر الخاطر " وذلك أن ترسل ليلاً ، أو بطريقة خفيفة أخرى .
وتُجمع أحياناً إعانات تعطى لعامل فقير في العائلة عند زواجه ، أو عند وقوع مرض ، أو حادث يقعده عن العمل .

7- المصالحة وحسم النزاع :

تتميّز قرية صفورية في حلّ خلافاتها بدون اللجوء الى المحاكم والدعاوي . وهذه الخلافات تحدث أحياناً حول الميراث . أو ربما يقع خصام عائلي بين الرجل وزوجته ، أو بين الرجل وابنه الضّال . في جميع هذه المنازعات يعودون الى كبير العائلة ، أو الى وجوه العائلة الذين يحلّونها بالمصالحة أو بالفرض (أي انهم أحياناً يفرضون الحلّ فرضاً ويستعملون الاقناع والضغط لقبول الحكم) . فإنه يستقبح أن يصل خبر الخلاف الى خارج العائلة ، ويعدّونه أمراً منكراً ، إذا أدّى الى إقامة الدعوى أمام المحاكم . الذهاب الى المحاكم مع وجود "المشايخ" عيب ، وقلّة احترام لهم ، واحترام الكبير في العائلة فرض وواجب .
أمّا إذا وقع الخلاف بين عائلتين ، فإن باقي العائلات تشعر أن واجبها يقضي عليها بإصلاح ذات البين . فيتدخلون ، ويقترحون الاجتماع في منزل محايد ، وإذا نجحوا تمت الصلحة فوراً . وأحياناً يشعر أهل القرية ، أن من واجبهم حسم المنازعات ، والخلافات ، التي تقع بين جيرانهم من

القرى المجاورة . فيؤلفون وفداً ، ويزورون وجوه العائلات المختلفة ، ويطلبون إليهم بحق الجيرة ، أن يكارموهم بقبول الصلحة . وأحياناً كثيرة يشعر المتخاصمون أن للزائرين حقاً ، وإكراماً ، يجب أداؤهما . فينزلون عند رغبة الجماعة ، وتتمُّ الصلحة .

والجميل أن المصالحة إذا قام بها الغريب ، أقرب الى الوقوع ، منها إذا قام بها القريب . وقد يَعْجَب المرء اليوم ، أن القدماء كانوا يحلّون مشاكل عويصة ، وخلافات خطيرة ، يمكن أن تؤدي الى عواقب وخيمة كحوادث السرقة والقتل والزنا والخطيفة . وإذا لم ينتصح المتخاصمون ، ولم يقبلوا بالوساطة ، فإنهم يعودون الى قريتهم شاعرين بالإساءة والإهانة .

8- احترام كبير السن :

يقولون في أمثالهم الشائعة " اللّي ما إلو كبير ما إلو تدبير " ! فكأنهم يعترفون ما للخبرة في الحياة ، وما للحنكة والتؤدة في تصريف الأمور من عظيم الفائدة . ذكرنا في الفقرة السابقة طريقة الفصل في المنازعات ، وأسلوبهم في حسم الخلافات البسيطة والخطيرة . ونضيف هنا أن الفضل في ذلك ، يرجع الى احترام الصفوري رأي كبير السن . فإنه إذا وقع أحدهم في مأزق ، يذهب الى كبير عائلته لأخذ مشورته ، وإذا أراد أن يزوّج ابنه ، أو ابنته ، طلب مشورة وجوه العائلة ، وإذا حزم أمره على سفر ، أو تجارة ، أو بيع ، أو شراء ، أخذ مشورة كبير العائلة . وإذا لم يذهب هو من تلقاء نفسه ، قالت له زوجته ، أو أحد أقاربه المقربين " روح تَنشاور الشيخ تَنْشوف شو بقول " .

ومن دلائل احترام الكبير ، احترام مجلسه ، فلا ضحك ، ولا خفّة طرب ، ولا كلمة بذيئة، ولا جلوس غير محتشم . في حضرة المشايخ يُظهر المرء الرصانة والوقار . وإني لأذكر عندما كنّا صغاراً ، كيف كانوا ينتهروننا بعنف إذا علا صراخنا ، أو ارتفعت أصواتنا بالضحك : " إخرس يا ولد ! إستْحِ يا ولد ! " مجلس كبير السن في البيت يجب أن يُحْتَرَم . والكبير في البيت بركة .

9- الاداب العامة :

ما لا شك فيه أنّ الاخلاق والآداب العامة في صفورية أفضل مما هي عليه في المدينة ، فإن طبيعة القروي طبيعة محافظة حذرة رصينة . فإن للكلمة البذيئة وقعاً شديداً على أسماع شيوخ القرية ونسائها . يحرصون في القرية على السترة . الله يُستُر عَ الناس ، يا رب سترك ، من الأقوال التي يرددها الرجال والنساء عند سماعهم همساً ، أو اغتياباً أو قيلاً وقالاً . وكثيراً ما

ينتهرون طويل اللسان لاذعُه . ويقولون " حرام اللّي بِسْتغيب الناس " ، ولا سيما عن الفتاة العذراء فإن ذلك في عرفهم خطيئة .
ولا تنحصر " السترة عَ الناس " أي عدم التشهير بهم ، في الترفّع عن الكلام في أعراض الناس ، وانما تتعدّى ذلك الى أمور اجتماعية أخرى . فإنه إذا وقع أحدهم في عسر ، أو حلّ به مكروه ، أو أخلَّ بعرف أو تقليد ، يؤاخذ عليه فانهم يحرصون ألاّ يُفْشى خبره : "الله يستر عَ الناس" . ومن فضائل صفورية فضيلة " المساهمة " . والمساهمة مشاركة الناس أحزانهم قبل أفراحهم . فإنه إذا مرض إنسان وجب عليهم أن يتفقدوه ، وإذا حلّ به مكروه ذهبوا لمواساته ، وللتخفيف عنه . ومن يجرؤ في القرية الاّ يحضر مأتماً " العدو اللدود يجب أن يحضر مأتم عدوّه " . ولا نذكر شيئاً عن العرس ، لأن العرس ، قد أفردنا له باباً خاصاً ، الزواج ومراحله . وقد ذكرنا سابقاً خبر العونة ونذكر هنا أن النساء كثيراً ما يذهبن الى الجارات لعونهن في أمور منزلية ، إذا شعرن أن المرأة تحتاج الى مثل هذه النجدة .
وفي القرية حفاظ شديد على المرأة . لا يجوز لفتى أن " يلفي " على " فلانة أو بنت فلانة" قبل اعلان الخطبة . وإذا شعر ذوو الفتاة أن " عين فلان عَ بنتهن " حذّروها وحذّروه . في القرية يجب أن يراعى العرف والتقليد . أمّا التعدي على الفتاة والمرأة ، فأمر نادر جداً وإذا وقع فإنه قد يؤدي الى عواقب خطيرة .

الاعياد والمناسبات الدينية

يمكن حصر هذه الاحتفالات بالاعياد والمناسبات الدينية . وهناك في صفورية مزارات ومقامات ، تناولناها في مقال خاص " معتقدات وأساطير " ولا تزال أكثريتها ماثلة الى اليوم رغم تهديم اليهود لصفورية ورغم عدم وجود أي فرد فيها .
وهذه المزارات أو المقامات كانت بمثابة امكنة مقدسة للسكان إذ كانوا يتوافدون اليها لتأدية النذور والتبريك وطلب الشفاعة . ومن المناسبات التي كانوا يحتفلون بها :

1- ليالي رمضان :

عند اقتراب نهاية شهر شعبان ، كان أهالي صفورية يقومون بالتحضير لشهر رمضان ، إذ يسارعون الى شراء حاجيات خاصة مثل الأرز والسكر

والشاي والحلاوة وقمر الدين . أما موعد بداية الصيام ، فيعلنه صوت المدفع الذي يطلق في القرية ، والذي يكون مسموعاً في جميع أحيائها .
وقد جرت العادة أن يكون الصيام شبه تام ، وقلما يجرؤ أحد على المجاهرة بإفطاره .
كما جرت العادة أن يقوم " المسحّر " بالتجوال على جميع بيوت القرية وهو يقرع على طبلته للنهوض من أجل السحور وهو يُردّد :
يا نايمين قوموا وحدوا الله
يا نايم وحد الدايم
يا نايمين قوموا على سحوركم أجا النبي يزوركم
ووقت السحور كان يعرف من صوت المدفع في البلدة . وفي شهر رمضان ، يقوم معظم الرجال بتأدية فريضة الصلاة في المسجد في أوقاتها ، ويكثرون من تلاوة القرآن الكريم ، وتكثر ، في هذا الشهر ، الولائم وتزداد النفقات . ومن هذه الولائم ما يخصص لأرواح الموتى . وفي ليلة القدر ، يذهب قسم كبير من الناس للصلاة في المسجد ، حيث يعتقدون ان الدعاء مقبول في هذه الليلة ، اذ تفتح أبواب السماء وتكون الدعوات مستجابة .
وتجري في آخر اسبوع من شهر رمضان ، أدعية " التوحيش " ليلاً ، ومنها :
لا أوحش الله منك يا رمضان
لا أوحش الله منك يا شهر القرآن
لا أوحش الله منك يا شهر الغفران
لا أوحش الله منك يا شهر الاحسان
وفي اليوم الأخير من شهر رمضان وهو يوم " الوقفة " ، يقوم الناس بشراء الأغراض والحلويات والملابس للأطفال ، وذلك تحضيراً للعيد .

2- عيد الفطر :

في صباح العيد ، يذهب الرجال الى المسجد لتأدية صلاة العيد في حين ينصرف الصغار الى لبس الثياب الجديدة وأخذ النقود من الأهل ، وبعد الصلاة ، يأخذ الرجال بمعايدة بعضهم في دار المسجد ، فيقول الواحد للآخر : " كل عام وانت بخير ، كل سنة وأنت سالم ، وياتي الجواب " وانت بخير " . وتكون مناسبة الأعياد ظرفاً مهماً في حياة البلدة لانهاء مشاحنات أو عداوات بين بعض الأهلين ، ويكثر الناس ، في هذا العيد وسواه ، من زيارة المقابر وتقديم الأطعمة عن أرواح الموتى ، كما يقومون بزيارة مقامات الأولياء لتقديم النذور . أما أكل العيد ، فيكون من الدجاج

المحشو واللحم المشوي والحلويات المتعددة ، والتي منها الكعك الأبيض والأصفر والمعمول ، وتحشى بالتمر أو بالجوز ، والمهلبية والزلابية .
ومن أجمل العادات التي كانت متبعة في صفورية ، أن يقوم المسلمون ، في أعيادهم بزيارة الأصدقاء من المسيحيين في الدير وتقديم الكعك وسواه من الحلويات ، كما يقوم المسيحيون سكان الدير بزيارات مماثلة في اعيادهم مقدمين الكعك وسواه ، وتتم المعايدات.
وتعقد ، أيام العيد ، حلقات الدبكة ، كما تتم المعايدات بزيارات متبادلة بين العائلات ، وتكون عادة كلمات المعايدة : " كل عام وانتم بخير ، كل سنة وانتم سالمين عيد الجاي بالحج " ، ويأتي الجواب : " وانتم بخير ، ان شاء الله بهداة البال " .

3- عيد الأضحى :

لا توجد فروق بين الاحتفالات بعيدي الفطر والأضحى على صعيدي الصلاة والأكل ، كذلك بالنسبة للمعايدات والدبكات ، فالاكل يكون من الدجاج واللحوم ، والحلويات والكعك ، وتنصب " الأراجيح " للصغار . وينصرف الأولاد ، بالملابس الجديدة ، للعب وشراء الحلويات والتفرج على " صندوق الفرجة " مقابل بعض النقود ، في حين يردد صاحبه قولاً معيناً ولحناً يتعلق بالمشاهد التي تظهر امام الأولاد ، ومن ذلك :

تعا تفرج يا سلام
ع العجيبة بالتمام
ع أبو زيد الهلالي
قوم تفرج ع بو زيد
صاحب الحيل والكيد
والدنيا كلها احلام
قوم تفرج يا سلام

4- الحج :

يبدأ الراغبون بالحج والمتمكنون من تأديته في تحضير المعاملات بعد عيد الفطر . وعند اقتراب موعد السفر الى مكة المكرمة يبدأ الأقارب والأصدقاء بتقديم الدعوات للغذاء أو العشاء للراغبين بالحج . وتجري ، في آخر ليلة ، قبل السفر ، سهرة وداعيّة يتم فيها توديع الحاج بغناء يُسمّى " التحنين " ، ومن ذلك :

حَنّنوا ، حَنّنوا ، عساه يسمح الله
والحجّة مقبولة والعودة من الله

يا جمّال يا ابو الحداجة
رايح تزور مكّة وبلاد الحجازِ
يا زايرين النبي خذونا بمحاملكم
ما في حديد ولا بولاد يثقلكم
وان كان زادي وزوادي ما يثقلكم
لاخذ زادي وزوادي واروح معكم
يا زايرين النبي معكم جمل هدار
زيدوا عليقهُ كرامة للنبي المختار

وتنتهي السهرة بالقول للحجاج " ان شاء الله تحجوا وترجعوا بالسلامة " .

5- عودة الحجاج :

يأخذ الأهلون بانتظار عودة الحجاج سالمين بعد عيد الأضحى ويهيئون بيوتهم لاستقبالهم، ولكنهم لا يقدمون على الغناء إلاّ بعد التأكد من عودة الحجاج سالمين . وحال وصولهم ، تتعالى الزغاريد واطلاق الرصاص والهاهات ومنها :

والعرس ما هو فرحة　　ولا طهور الصبيان
ما فرحة إلاّ طلوع الجبل　　والطوف بين العمدان

*　　*　　*

يا ناس صلّوا ع النبي　　حتى تلين الحجارة
ريتها حجة مباركة　　مكسب ما فيه خسارة

*　　*　　*

يا ناس صلّوا ع النبي　　حتى يلين الحديد
ريتها حجة مباركة　　يطعمها لكل حبيب

ثم يبدأ المهنّئون بالتوافد على بيوت الحجاج للسلام عليهم والترحيب بهم ويقبلونهم قائلين:

" حج مبرور وسعي مشكور وذنب مغفور " ، ويأتي الجواب : " عقبال عندكم "

ويقولون : " مبروك الحجة " ، ويأتي الجواب : " الله يبارك فيكم " ، ويقوم الحجاج بتقديم التمر الحجازي والمسبحات ويقدمون لهم في فناجين القهوة ماء من بئر زمزم أحضروه معهم ، كما يقدم أهل الحاج القهوة والمرطبات ، ويعود أقارب الحجاج لتقديم الدعوات لهم الى حفلات غذاء أو عشاء ، وقد تستمر لشهر كامل .

6- المولد النبوي الشريف :

لا تجري في هذا العيد احتفالات رسمية ، وتكثر فيه قراءة قصة المولد النبوي التي تستغرق حوالي الساعة ، والتي يبدأها الشيخ بقوله :

صلوا عليه وسلموا تسليما   الله زاد محمداً تعظيماً
ولد الحبيب ومثله لا يولد   والنور من وجناته يتوقد

7- راس السنة الهجرية :

لا تجري فيه احتفالات رسمية ، بل تقام الصلاة ويكثر الدعاء .

8- احتفالات ختم القرآن :

كانت تقام احتفالات للذين ينهون قراءة القرآن الكريم ، وذلك بزفّة وطواف في البلدة على فرس مزيّنة وسط الزغاريد والغناء ، ومن الهاهات :

العرس ما هو فرحة   ولا طهور الصبيان
ما فرحة إلاّ زيارة النبي   وختامة القرآن

كما جرت العادة ان يحضر أكل وحلويات ، ويأتي الأقارب والأصدقاء للمباركة والتهنئة.

الشعر العامي

من ألوان التراث الشعبي والفنون الشعبية ، العامي ، الذي يتميز عن غيره من الانتاج المطبوع بمحليته وشيوعه وتعبيره عن أحاسيس الناس وهمومهم ومعاناتهم . ومع أن بعضه ينسب الى فرد بعينه ، إلاّ ان طريقة روايته وتداوله وعدم كتابته وانشاده ملحناً كالأغاني، محفوظاً عن ظهر القلب ، حتى عند الأُميّين ، كل ذلك يجعلنا نميل الى اعتباره من الأدب الشعبي ، وفيه نلمح النفس الوطني والموقف البطولي ، كما نلمح لواعج الشوق والحب والحنين والألم . ومن هذه نرى قصيدة " عوض" ، الثائر الفلسطيني ، الذي اعدمته السلطات البريطانية في عكا عام 1936م ، والذي نشأنا ، منذ نعومة أظفارنا ، على سماع قصيدته وتلاوتها والاعجاب بها . غير أن عوضاً هذا غير معروف الكنية وغير مؤكد الاسم كما يقول غسان كنفاني في كتابه " الأدب الفلسطيني المقاوم " ، ومنها :

يا ليل خلِّ الأسير تايكمل نواحُه
رايح يفيق الفجر ويرفرف جناحه
تايمرجح المشنوق في هبّة رياحه
يا ليل وقف تاقضي كل حسراتي
يمكن نسيت مين أنا ونسيت آهاتي
يا حيف كيف انقضت بيديك ساعاتي

شمل الحبايب ضاع وتكسروا قداحه
لا تظن دمعي خوف دمعي على أوطاني
وع كمشة زغاليل بالبيت جوعاني
مين راح يطعمها بعدي واخواني
شباب اثنين قبلي ع المشنقة راحوا
وبُكرى مراتي كيف راح تقضّي نهارها
ويلها عليّ ويلها ع صغارها
يا ريتني خليت في إيدها سوارها
يوم ان دعتني الحرب تا اشتري سلاحها
ظنيت لنا ملوك تمشي وراها رجال
تخسا الملوك أن كانوا هيك أنذال
والله تيجانهم ما يصلحوا لنا نعال
احنا اللي نحمي الوطن ونضمّد جراحه

ومن القصائد الشعبية العامية التي راجت في القرى الفلسطينية ، وتناقلها الناس شفهياً وحفظوها عن ظهر قلب قصيدة " محمد الملحم " ، التي تتمثل فيها عواطف انسانية مختلفة، من الغربة والألم والفخر ، الى الحب والبطولة وفيها يقول :

يقول محمد الملحم قصيدة — بيوت مسطرة وسط الكتابِ
بديت أشرح على ما صار فيّ — ونار القلب زادت في التهابي
أمور الدهر تعمل لي العجايب — ومنها صار شحم القلب ذابي
انا اللي كان رايق لي زماني — عقيد القوم يمسك لي ركابي
انا كنت الألف قادر عليهم — بَرَق رمحي إذا بالجو غابي
كنت لو صاح صايح في عربنا — إذا يوماً غزت قوم الجنابي
أرّد القوم وارجع نحو ربعي — بقينا بعيش طيب والهنابي
انا اللي كنت انزل ع السرايا — حرام ان كان يتراجع جوابي
الدنيا خاينة والدهر عاطل — سقوني يا ربع كاسات العطابِ
انا ما كنت اعرف ايش صاير — وما أدري ايش كانت اسبابي
أتاري علقوا مرسة ببكرة — وكانت لأجل شنقي مع عذابي
ولما شفتها صحت الله اكبر — كؤوس السم أهون للشرابِ
دموع العين جودي لا تكني — دوم على فقدي لأهلِ والقرابهْ
ألا يا طارش الخلان عَدّي — الى حمص وودّي لي كتابي
سَلّم على حمص العديّة واهلها — وكل من يعزف وينشد ع الربابِ
سلامي لروح نوف وقلها غداً — يا نوف أدفن في الترابِ

فسلّوا سيوفكم يا بيض سلوا إذا ما أقبلت خيل الجنابي
وسلّوا سيوفكم يوم المعامع وخلّوا المعتدي يغذو ذهابي
ألا يا نوف خلّي الظعن يسري لمير الفضل دُقيّن الطنابِ
وقُصّي لي جعودك بعد موتي وحطيهم وسط لحدي في الترابِ
ألا يا نوف بالك لا تخوني وبعدي لا يغروك الشبابِ
ولا تبدلي عني رجل غيري ولا تغتري ببهجة الثيابِ
أنا محمد وانت تعرفيني وعزمي يقطع الصخر الصلابِ
يوم فكّيت هودجها برمحي على زَرْقا مثل ريح الهبابِ
يا زرقا وين راعيكي اسافة عجب دمعك على خدك سكابِ
أشوف الظعن عند الصبح ينعي ونعي الوالدة أم الضنابي
وتبكي نوف من قلب حزين بدمع منه صخر الصم ذابي
ألا يا نوف عندك ذيب اشمط كفرخ الباز أو طير العقابِ
توصّي في ولد ودلليه فهذا من الأعادي ما يهابِ
وهذا يشيل حملك يوم غارة إذا ما هاجموا بيض العصابي
بجيكم فوق مرفوع السواعد تقول محمد من الموت طابي
سلامي وروح حيي لي عمامي كذا أهلي وباقية القرابِهْ

ومن القصائد الشعبية التي راجت في القرى الفلسطينية وكانت محببة للسامعين ، وهي غير منسوبة لأحد ، القصيدة التالية :

وضحا الحزينة تنادي ربّها يا معين تفرج همومي ومن الكربات تجليها
حكمك عدل يا معتلي العرش والدين تلهم حمد ييجي لوضحا ينجيها
أبوها فكره يزفها لابن ستين وبعدها صبية ولون الورد غاويها
وحق من خلق الانسان من طين لازم عهودي لأبو العجّات أوفيها
بْجَيْتُه حمانا خلص قومنا وبنين من تحت مسموم أبتر الشفر حاميها
يصرخ على القوم صوته رَعْد يدوين في قلب جامد كما الجلمود قاسيها
ومياس مرعب بعزمه يدمّر الألفين لعيون وضحا فحول الجن يلقيها
وتشوف فعله يا بوي بملتقى الخيلين اكبر رؤوس الأعادي بالسيف يحنيها

قال لها أبوها يا وضحا أيش تعنين   غامض كلامك وما فهمنا معانيها

قالت يا بوي من يوم رحت تغزين   جتنا فوارس غزت الحي وال .. فيها

لولا "حمد" ما يجيرنا سلطان عفرين   وكنا سبايا صغار الحي تبكيها

جاوب أبوها حمد صعلوك عفنين   وكنا سبايا صغار الحي تبكيها

اعطيت قولي وانت غصب ترضين   يعرف "حلالك" أبو الغارات يسميها

قالت نصيبي من نسل جوين   مكحول للطرفين نسله من أعاليها

أبوه امير الشرق للجار يحمين   لو كان حوله ضيوف كالنجم يقريها

وانا عرفته يا بوي من نظرة العينين   وقت ما كان للدلاّت يغليها

انتصب أبو الغارات وقلها إيش تهذين   وأنا الأسود بهجم ع مخابيها

يللي بلحظك جراح القلب تكوين   كرمال غنجات مرار الصبر حليها

اذا الجبال تميل والصخر بيلين   من طرف جعدي شعرة ما بتحظيها

ويقوم نوح النبي ويعوم بسفين   وموسى يناجي ربه من الأقلام باريها

ولو قلب وضحا انغلق برصاص   مرتين ما تحيد عنه الذي أوفى ذماميها

قال أبوها من الافشار فلّين   وإلاّ ضلاعك بحد السيف أبريها

قامت وجالت عيونها صوب برين   شافت عجاجُه غبوق الجو طاليها

قالت يا عرب جاكم أبو الهولين   حوله المنايا تنادي من يدانيها

والله لكم حقوق الدين يوفين   بضرب قاطع للهامات يبريها

من فوق شهبا أصيلة ترفرف الجنحين   شبعة السلالي ولهذي العين بقريها

وصل حمد وقلها ليش تبكين   كِفّي دموعك هموم القلب بجليها

لو كانت حولك آلاف تعد سبعين   وحياة عينيك بها الصمام لَمْحيها

انتخى غريمُه وقال هالحكي لمين   اليوم يومك ووضحا ما بتحظى فيها
زمجر حمد وطعنه بين بزّين   طعنة منايا الموت أجت فيها
أرداه قتيلاً يبحش العفرين   ومن دفق دمه لعشب القاع يسقيها
وارتد ع القوم كأنه الضيغم بعرين   كفوا العمايم وقالوا العفو هديها
نظر لوضحا وقال ماذا بعد تبغين   هل كفى هذا إما الحرب أصليها
قالت كرامة لخاطري للحرب هَدّين   ابن الأصايل عفيف النفس صافيها
قالت كرامة لخاطري للحرب إنهين   موزون كلامك وأمور الصلح اجريها
وحياة جعدك كما للأرض بطوين   في لون وجهك حروف السعد قاريها
لاصون ودك مدى الأيام وسنين   بعيش صافي من الأحزان خاليها
وانعكفت وضحا تقبل العينين   وتقول يا فرحتي للروح أعزيها
انت وحيدي وانت نصرتي ومعين   وانت بلسم لجروح كان داميها
فرجت همومي وفرحت قلبي الحزين   وطردت عني احلام كنت آريها
ما فوت عهدك لا بحين ولا بحينين   وما زال وضحا إله العرش حاميها
وعادوا يطووا الفيافي أيام عشرين   حتى وصلوا الحمى ووصلوا أراضيها
لاقوه أهله وكانوا فيه مسرورين   وانزلوه بدار بديعات أوانيها
فيها من الديباج والخز الثمين   وصحون فضة بأحسن لون طاليها
وهذه قصيدة يا وجوه السامعين   غضوا النظر ان كان كسر بقوافيها

ليس غريباً أن يكثر ترداد هذه القصيدة ، فهي ترضي وجدان الشعب بكل قطاعاته ، ففيها الحب والفروسية ، وفيها زواج الاكراه غير المتكافىء ، وكل هذه أمور تعبر عن معاناة وتطلعات الأفراد ، كما أن الفروسية أمر محبب للجماهير . ومجمل ذلك جعل هذه القصيدة تروى بكثرة ، مُغنّاة في

المقاهي والبيوت وفي السهرات واثناء العمل ، وهي ، بذلك ، من صميم التراث الأدبي الشعبي الفلسطيني .
ومن " الشروقي " المتداول :

فلسطين لا تحزني يا زهرة البلدان   عندك رجال يعدو بالملايينا
وان كان بلفور يجهل قيمة الأوطان   نحن بأرواحنا نفدي أراضينا

أغاني السحجة والحدادة :
المحوربة :

طيرن يطير بنذبحُه
من فوق راسك يا عروس
يا بنتِ يللّي عَ السطوح
طُلّي وشوفي إفعالنا
طَلّت وقالت يا لَطيف
يا ربّي تنصر جندنا
ذبحتني وطفة بنت ذياب
رمتني بسود عيونها
يا شمس يللّي بالسما
أنوارك بتحيي النفوس
ولا تشرقي فوق الحمى
ع الأرض في عِنّا عروس
لا تشرقي فوق الحمى
ع برجك واقف أنا
وسيوفك بتنقط دِما
روس الأعادي عم نِدوس
يا شمس يللّي في السما
لا تغربي فوق النجوم
ع الأرض في عِنّا عريس
عريسنا واحنا رجالك
واحنا رجالك كُلّنا

ظريف الطول :

يا ظريف الطول وقف تاقلك   رايح الغربة وبلادك أحسن لك
خايف يا المحبوب تروح وتتملك   وتعاشر الحلوين وتنساني أنا

يا ظريف الطول والله انك ظريف نظيف صاحب المعروف أبو كفّ
مين يحب الله ويطعمني رغيف من خبز المحبوب يكفيني سنة
يا ظريف الطول واقف باب البيت ع حسْنُه وع جمالُه ما رأيت
ريتك يا شهر الفراق ما هَلِّيت فرقت بين الحباب وبيننا
يا ظريف الطول ماشي شوي شوي يا هوى الزينات كِنُّو نَسّم علي
مسكت النهد قالت لا تعضُّه شوي والنهد رُمّان على إمُّه ما استوى
يا ظريف الطول مَرْ وما حَكاش واستحى يطلع كلامُه عَ بلاش
كيف تعطوا المليح لها الوِحِش والمليح بدّو مثله وأحْسَنا
يا ظريف الطول وين رايح تروح الجروح جرحتنا يا زين وغمّقت
عشير الحلوين مش لازم يسوح لو كان عقله للجبال موازينا
يا ظريف الطول يا الاسمراني رماني العشق من الله والهوى
خايف يا المحبوب تروح وتسلاني وتعاشر الغير وتنساني أنا

* * *

يا ظريف الطول ماشي الواد الواد سعاد مرين الحلوين وعا أولهن
والله يا بنيّة ان أخلفت الميعاد لأفرمك فرم التتن عالمفرمة
يا ظريف الطول وين رايح تروح الجروح جرحت القلب وغمقت
عشير الزينات مش لازم تروح عينه ع روس الجبال معلقة
يا ظريف الطول وقف تاقلك لك رايح عالغربة وبلادك أحسن
خُفت يا المحبوب تروح وتتملك تعاشر الزينات وتنساني أنا
يا ظريف الطول ماشي شوي شوي علي يا هوى الزينات كنّو نسّم
مسكت النهد وقالت تعضُه شوي والنهد رمان ع امه ما استوى
يا ظريف الطول حبيتك صحيح المليح ليش يا ابن الحرام ضَيّعت
وان بحت بالسر أنا ما ببيح ما ببيح السر غير ابن الزّنى
يا ظريف الطول يا محمد أمين مصارين والخصر ضامر ما بِيُّو

قوم يا ابن العم تا نحلف يمين ما يْخُش البيت غير انت وانا
يا ظريف الطول عا عينِ المغار لا تلوموني يا رفاقي العقل طار
لامسك صديري وأدقُّو بالحجار واكثر دقّي ع اللّي ما شقّوا ضَنا
يا ظريف الطول مَر وما التفت هبّت نارُه بالقليب وما انطفت
ان كان يا ابن العم هالعشرة جَفت دَوّر عشرة غيرنا بلكي أحسنا
يا ظريف الطول على عين العنبري رخصت البنات ويا مين يشتري
رخصت البنات ويا مين يشتري بأربع تالاف والسعر إمْبَيّنا

القصص الشعبية

كان للقصص دور بارز في حياة أهل صفورية حتى النكبة ، ذلك أن أجهزة المذياع كانت نادرة والتلفزيون لم يكن معروفاً . ولقد كانت الأسمار في ليالي الشتاء هي المجال الخصب لرواية القصص ، حيث يتحلق الناس حول المواقد أو "الكانون" ، للتدفئة ، ويبدأ الراوي القصة بقوله : "كان يا مكان" ، وينتهي بقوله : "هذه قصتي حكيتها وعند فلان حطيتها". والقصص بكل أنواعها ذات مغزى ، "إذ تبدو فيها الطبيعة الانسانية على سجيتها بكل غرائزها ونزعاتها وكل معتقداتها ومقدساتها وتصوراتها وأوهامها عن الكون والحياة ".

ورواة القصص ليسوا مؤلفيها . "إنها إبداع فردي تصبح بالتواتر أدباً جماعياً باعتبار مصيرها لا أصلها ، إنها تعكس روح الشعب".

وترسم هذه القصص هموم الناس وصراعهم مع الطبيعة لضمان البقاء ، كما تصور أماني الناس وأحلامهم . "ان الحكاية الشعبية هي محاولة لِسَرد صراع الانسان مع الطبيعة وتصوير لمقارعة صعوبات الحياة ، ولكن الانسان يأبى أن يعترف بسيطرة الطبيعة عليه فيلجأ الى الخيال لتحقيق المعجزات ، وينهي الصراع بنهاية سعيدة متفائلة ، وهي الانتصار على الغول ، والطاغية ، والمرض العضال ، وقهر المارد الذي يمنع المياه عن الناس ، وقطع رأس الأفعوان العظيم الذي يمنع الماشية من الرعي ، وتذليل الصحراء بتحويلها لمروج خضراء بقدرة قضيب سحري يضرب البطل به الأرض فينبجس الماء ، وبهذا تطبق الحكاية الشعبية المبدأ القائل : ان الخير لا بُدّ منتصر في النهاية وان الشر مآله الخذلان".

وللقصص عَدا المتعة والترفيه دور تثقيفي وتربوي في المجتمعات التي تفتقر الى المعرفة والى فهم نواميس الحياة والكون ، وهي بذلك تقوم "بدور تثقيفي للجماهير التي لا تملك مصدراً آخر لتنمية معارفها وخبراتها ، وتستغل الحكاية الشعبية قدرتها على التسلية والترفيه عن السامعين لتعمل ، تحت هذه المظلة ، على الوعظ ، فتساعد على غرس الأخلاق الفاضلة كالوفاء بالوعد وطرح الكسل والحرية ومحبة الآخرين والتمسك بالعدل.ومن جهة أخرى ، فانها تصور لنا الأشرار بالطريقة التي تدفعنا الى كراهية الشر والمسيء . وتقوم الحكاية بدور كبير في تفسير الحياة التي يعيشها الناس وما يكتنفها من مظاهر طبيعية ، فتعطينا بعض المعلومات عن طبائع الحيوان وصلة بعضها ببعض ".

ومما يلفت نظر المستمعين ويشدهم بقوة للقصة ، شخصية البطل فيها ، إذ ان الشجاعة والبطولة هما من الأمور التي تثير الاعجاب ، خاصة عندما ينجح البطل في التغلب على الصعاب .

"ان مهمة البطل الشعبي هي الكشف عن الطريق المؤدي الى النجاح وان كان وعراً " و "إن المصدر الأول والأخير لفكرة البطولة يرجع الى إعجاب الشعب بفكرة البطل " .

وقد تكون القصص ، أحياناً ، عامل مواساة ووسيلة لتخفيف المعاناة من خلال نقل السامعين من واقعهم المرير على أجنحة الخيال الى عالم آخر يشعرون فيه بالطمأنينة الكاذبة، " وكلما اشتد الحرمان على الطبقة المسحوقة قويت فيها الأحلام بالفرح ، وصورت هذا الفرح صوراً خارقة بعيدة عن واقع الحياة ... تحاول الحكاية الخرافية ، دائماً، أن تضع بديلاً للواقع المؤلم ، وهي ، لذلك ، تنتهي بالفقر مثلاً الى الغنى ، وبالضعف الى القوة ، وبالانحطاط الى المجد والرفعة ، وبالحظ العاثر الى السعادة " .

ونلمح في القصص الشعبية ـ وهي في غالبها غير مدونة ـ شخصية البطل طاغية في "سوالف العرب" (حكايات البدو) فنجد البطل هو ذلك الذي يحمي الديار ، ويرد الضعن والأموال ويطرد الغزاة بعيداً " ، كما نلمح أخبار الغيلان وافرة ، كذلك أخبار الجان ، فالمرأة التي تمد يدها للحبوب أو الطحين أو الزيت دون ان تذكر اسم الله تخسر جزءاً كبيراً من أشيائها هذه ويسرقها الجن " . وتزخر هذه القصص بأخبار السحرة والأدوات السحرية العجيبة ، " وهذه الأدوات توسل بها الوجدان الشعبي ليحقق ، على صعيد الخيال ، ما عجز عن تحقيقه على أرض الواقع " . وتحتل المرأة نصيب الأسد من القصص ، إذ " تبدو صورة المرأة تحب ، تكره ، تكيد ، تخدع ، تتودد للرجل ، تكدح ، تخون ، تغري ، (ثم المرأة) الفاضلة ، الراعية

لأولادها ، الخاضعة للرجل ، المحتاجة اليه عيشاً ، وحماية الزوج سترة " . كذلك تظهر صورة الزوجة والحماة وابنة الحماة وأخبار السلفات والضراير ، وسيطرة بعض النساء " مش عارفين مين الرجال " . كما تظهر المرأة كأم حنون ، وتظهر تعاسة الأولاد عندما يتزوج أبوهم " امرأة الأب غضب من الرب لا بتحب ولا بتنحب " ، وتبرز في القصص معاناة القهر التي تلحق بالمرأة من سيطرة الرجل والأب ، وتبدو الفتاة غير المتزوجة مصدر قلق لأهلها .

أما حكايات الحيوانات ، فهي هادفة ، في مجملها ، الى مغزى تعليمي ، قد يكون محبة الأرض والتعلق بها ، أو اظهار بشاعة الغدر وجمال الوفاء ، الى ما هناك من أمور انسانية .

نماذج من القصص المتداولة :

من القصص ما هو للصغار ، ومنها ما هو للكبار ، على ان جميع هذه القصص ذات دلالات معينة ، ومن هذه القصص ما هو قصير ومنها ما هو طويل ، ومن هذه القصص التي كانت متداولة في صفورية سنورد بعضاً منها :

1- محمد يَرِث ومحمد لا يرث :

كان يا مكان في قديم الزمان فتاة أغواها الشيطان فحملت سفاحاً ، وخافت أن يقتلها أهلها عندما يعرفون أنها حامل ، فقررت أن تهرب الى بادية بعيدة ، وعندما وصلتها ، شاهدت أمير قبيلة يتمشى فاسرعت نحوه مستنجدة طالبة حمايته ، وقصت عليه ما حدث لها ، فأجابها : " الله حماك " .

وبعد مُدّة ، ولدت الفتاة صبياً سُمّي محمداً . وكان للأمير ولد ، يدعى محمداً ، وبعد مدة أصبح الأمير مُسنّاً فجمع أبناء قبيلته وقال لهم : " عندي ولدان : محمد يرث ومحمد لا يرث " ، ولم يُشِر الى أحد منهم ليحدد من لا إرث له . وبعد موته ، تشاجر الولدان على الإرث ، وذهبوا الى قاضي الشرع وحكوا قصتهم ، فاحتار القاضي وكانت ابنته قد سمعت الحديث الذي دار بين الاثنين وأبيها ، فتدخلت ، وعرضت على القاضي كيفية الحل الذي يقوم على استدعاء كل واحد بمفرده على ان يقول له القاضي إن باديتنا تُعاني من القحط ونريد من يذهب الى حوران لجلب القمح ، فالذي يقبل ، يكون محمداً الذي لا يرث . فاقتنع القاضي واستدعاهما ، فرادى ، وعرض عليهما أمر القحط ، فرفض الأول الذهاب ، أما الثاني الذي قَبِل أن يذهب فكان ابن المرأة التي جاءت طالبة الحماية ، إذ ذاك أصدر القاضي حكمه بحرمان الثاني .

تُمثل هذه الأقصوصة عدة مظاهر ، منها طبيعة الشر في المرأة ، وعادة العرب في حماية المستجير ، وأهمية العرض في عرف القبائل ، كما تمثل النباهة التي إرتأت الحل ، إضافة للتمسك بالأرض وعدم مبارحتها ، مهما كان الأمر .

2- الطير الأخضر :

كان يا مكان في قديم الزمان امرأة وزوجها وبنتها وابنها يعيشون سعداء ، وحدث أن ماتت الأم فأصبحوا حزينين ، وحدث أن تزوّج الأب من امرأة كانت قاسية على الولد والبنت ، فأخذت تضربهما وتعنفهما ، مرت الأيام والشهور وزاد حقد زوجة الأب عليهما ، وأخذت تقول ، اثناء غياب أبيهما ، إنها تريد أن تذبح الولد وتأكله . وسمعت الأخت ما قالته امرأة الأب ، ولما عاد الولد ، حكت أخته له ما سمعته من امرأة أبيها ، وأخذت البنت تبكي ، فقال لها أخوها : " يا أختي ، إذا ذبحتني زوجة أبي فأرجوك أن تلمي عظامي وتدفنيها تحت شجرة في الجنينة " .

وقامت زوجة الأب وذبحت الولد ذات يوم وطبخته (1) . ولما عاد أبوه أكل من لحمه وهو لا يدري انه يأكل لحم ابنه ، ولما انتهى من الاكل ، وأخت الولد تشاهد ذلك وتبكي ، جمعت عظامه ودفنتها تحت الشجرة في الجنينة حسب وصيّة أخيها .

مرت الأيام والشهور ، وصارت العظام طيراً جميلاً لونه أخضر ، وقد طار الى "الكندرجي" وقال له : " أنا الطير الأخضر ، بمشي وبتمختر ، امرأة أبوي ذبحتني ، وأبوي أكل لحمي ، واختي الحنونة لملمت عظامي وحطتهم تحت الشجرة " .

وطلب الطير من " الكندرجي " كميّة من المسامير ، وكميّة من الدبابيس ، فأعطاه "الكندرجي" ما طلب ، وطار فوق دار أبيه ورفرف فوق السطح ، ورأى زوجة أبيه جالسة مع نساء في ساحة المنزل ، فأخذ يقول : " أنا الطير الأخضر بمشي وبتمختر مَرَة أبوي ذبحتني ، وأبوي أكل من لحمي ، واختي الحنونة لملمت عظامي وحطتهن تحت الشجرة " ، فأخذت زوجة الأب تطرده قائلة : " روح من هون " ، فقال لها : " لا أذهب إلاّ بعد ان تفتحي فمك " ، ففتحت فمها ، فألقى فيه الدبابيس وماتت . ثم ذهب الى أبيه وأنشد . أنا الطير الأخضر ، الخ ، وحاول الأب طرده ولكنه طلب منه أن يفتح فمه ، فلما فعل ، القى فيه المسامير فمات الأب . ثم ذهب الى الحلواني فأنشده وطلب منه الحلوى فأعطاه بعضها ، فذهب بها الى أخته وأنشدها وطلب منها ان تفتح فمها وألقى الحلوى فيه ، وذهبت البنت الى عظام أخيها فوجدتها قد تحولت الى ذهب . وتوتة توتة ، خلصت الحدوثة .

يستوقفنا في هذه الأقصوصة عدة أمور ، منها :
أ- إنها أقصوصة خرافية للصغار ، ذات مغزى .
ب- إنها تمثل جوانب حياتية مُعاشة .
ج- تظهر فيها بشاعة زوجة الأب وقسوتها : " مَرْة الأب غضب من الرب " .
د- وتظهر فيها عاطفة الأخت القوية نحو أخيها .
ه- كما يظهر الوفاء في تنفيذ الأخت وصيّة الأخ ، وفي اطعامه لها الحلوى .
و- وتظهر فيها فكرة الأنبعاث " الفينيق " واسطورة " الهامة " والانتقام .
ز- وتبرز أخيراً صورة التعلق بالأرض من خلال وصيّة الأخ بأن يدفن تحت الشجرة ، ونلاحظ اليوم ان بعض الذين يموتون خارج فلسطين يوصون أبناءهم بأن يدفنوهم في تراب وطنهم ، كما نلاحظ ان بعض الذين يزورون مسقط رأسهم يعودون حاملي التراب والحَصى ، وهو عندهم أغلى من التبر والذهب .

---

(1) - في منتصف الستينات سمعت رواية على لسان أحد المصريين المقيمين في عكا من زمن الانتداب البريطاني ، وهي :
أن أحد المصريين تزوج امرأة بعد وفاة زوجته الأولى أم ولده وابنته ، وكان هذا المصري مُغرماً بولده ، ومن عاداته انه حينما كان يعود من عمله يغتسل ويستريح ، ثم يطلب الأكل ، وكان لا يقدر أن يأكل (لقمة) واحدة إلاّ والولد بجانبه يشاركه الأكل .
وفي ذات يوم قررّت الزوجة ذبح الولد وطبخ لحمه مع الملوخيّة ، ووضعت بقية اللحم والعظام في كيس وخبأته وراء الخابية ، وقالت لأخت الولد اذا تكلمت وقُلتِ لأبوك ، سأذبحك زيُّه ، كتمت البنت الانفاس الى أن عاد الوالد من عمله واغتسل وجلس يستريح، وبعدها طلب الأكل فأحضرت له الزوجة " صونية ملوخية مع لحمة " ، بعد أن سَمّى ولقم لقمة من الخبز ، مدّ يده ليغمسها في الملوخية فتوقفت يده عن الغمس ، وحاول عدة مرات أن يغمس اللقمة لكنه لم يستطع ، فتذكر ولده وسأل عنه ، فقالت الزوجة : انه يلعب في الحارة مع الصبية ، فقال الأب :اُئتوني به حالاً لا أقدر أن آكل بدونه . أخذت الزوجة البنت معها وخرجتا للبحث عن الولد ، وفي أثناء سيرهما قالت الزوجة للبنت : أوعك تنطقي بكلمة ، وإلاّ حَعْمل فيكي زَيّه فاهمة ، إذهبي من هون ولا تعودي إلاّ أن أقول لكِ ، وافترقتا كل واحدة في طريق للبحث عن الولد ، وعندما غابت الزوجة عن عيني البنت عادت

بسرعة الى البيت ووجدت أباها جالساً ينتظر عودة الولد ، فقال لابنته وجدتموه ؟ فصرخت البنت وقالت لأبيها : "لا تأكل يا أبي ، لقد ذبحت أخي وطبخت لحمه مع الملوخية والباقي وضعته داخل كيس ورمته في الخابية ، فبهت الرجل وقال لابنته بعد أن التقط أنفاسه : اُهربي واختبئي عند الجيران " وانتظر حتى تعود زوجته.

عادت الزوجة بدون الولد ، فسألها الزوج : أين الولد ، ردّت الزوجة وقالت : "مالقتوش" ، يمكن راح يلعب مع الأولاد في حارة ثانية - أجاب الوالد : طَيّب فوتي ، وبعد أن دخلت البيت ، قفز من مكانه نحو الباب بسرعة وأغلقه وأخذ يصيح بأعلى صوته : " يا ناس يا هو ، ياهل الحارة ، ذبحت اُبني ، وين الحكومة ، وين الشرطة ، جاي ياهل الحارة جاي " ، وهرع الفزيع واستدعيت الشرطة على الفور ، وحضرت قوات الأمن ، والرجل غالق الباب ويستغيث بالناس وبالشرطة ، كسر رجال الشرطة الباب ودخلوا ، وعندما تيقّن الرجل من حضور رجال الشرطة ، أخذ يصيح امسكوها لا تهرب منكم ، ذبحت ابني وقطعتّه إرباً ووضعته في كيس داخل الخابية ، وأشار بأصبعه على مكان الجثة ، أخرج رجال الشرطة الكيس ووجدوا فعلاً قطع جثة الولد ، واعترفت الزوجة بجريمتها ، وأحيلت القضية للمفتي العام ، وصدر الحكم ، كما يلي :

1- توضع في طشت رأس وأطراف الولد .

2- تُعَرّى الزوجة ، وتُطلى بالكلس البكر .

3- تحمل الزوجة الطشت بين يديها ، وتوضع في عربة عسكرية مكشوفة مع الحراسة ويطاف بها في شوارع البلدة ، وفي اثناء ذلك يروي أحد رجال الشرطة جريمتها التي ارتكبتها في حق ابن زوجها ، بعد اتمام عملية الطواف ، تحرق جثتها في ساحة القرية على مرأى من أهل البلدة ، لتكون عبرة لغيرها .

هذه الحادثة جرت في مصر على زعم الراوي ، ولكني سمعت حادثة مماثلة جرت في عيلوط أيام حكم الانتداب ، وهي :

" ان المدعوة ثريا عبد الحليم ، زوجة مفلح البندر ذبحت ابنه ووضعته داخل كيس واخفته وراء الخزانة ، وبعد التحري والتحقيق ، كشفت الجريمة ، وحكم على الزوجة خمس سنوات ، بعدها أصابها فالج مع شلل نصفي . " الزوج ما زال على قيد الحياة ، 1995/7م " .

قلنا سابقاً ، ان أقصوصة الطير الأخضر ، أقصوصة خرافية للصغار ، تمثل جوانب حياتية مُعاشة ، وعلى ضوء الحادثتين اللتين أوردناهما نقول : أن الخرافات كائنة ما كانت لها شخصيتها ولها حدودها ، والرموز التي

تحفل بها يجب أن تكون محل تقدير كبير بيننا ، لا على أساس أنها هراء أو عبث جنوني أو وسائل خاطئة للسيطرة على الطبيعة أو عمليات استبدال عالم جميل طيب بعالمنا الواقعي المليء بالشر - وهذا في الخرافة بصفة أعم - وانما على أساس أنها واقع حدث ، وان يكن الإطار الأدبي الذي صيغت به زيد فيه أو حُرّف.

الطب الشعبي

لم يكن في صفورية حتى نهاية الحرب الكونية الأولى أطباء ، وكان التداوي ومعالجة الآلام والأمراض المتنوعة تتم عند بعض الرجال أو النساء الذي كان عندهم إلمام محدود ، أخذوه عن آبائهم وامهاتهم ، أو حصلوا عليه من تجاربهم الخاصة ، وعلى الرغم من تقدم الطب وتنوع التخصص فيه أيام أيام الانتداب ووجود عيادة صحة في الدير ، فقد بقي للطب الشعبي شأن ، ولكنه أخذ يتضاءل تدريجياً ، غير انه لم يندثر حتى يومنا هذا ، إذ لا يزال البعض من ابناء البلدة - عندما تستعصي حالة مرضية على طبيب - يلجأ الى الطب الشعبي . ومما يزيد في قناعات الناس به ان البعض شفي من مرضه بوصفة طبية شعبية ، بعد أن عجز الطب الحديث عن شفائه .

وكما نجد في الطب الحديث تخصصاً ، كذلك نجد في الطب الشعبي ، فالبعض كان متخصصاً بتجبير الكسر ، والبعض بالجراحة في معالجة " الدمامل " والرضوض والبعض كان يعالج بالتشطيب والتحجيب ، والبعض كان له إلمام بوصف الاعشاب ، ومن المعروف ان القابلة " الدّاية " تهتم بعملية الوضع ، والحلاق بخلع الأسنان ، إضافة للمطهر، وفي حالات معينة ، كان أهل البلدة يأخذون مشورة بعض البدو على اعتبار ان لديهم خبرة .

ويمكن تقسيم الطب الشعبي الى أربعة أقسام :
1- الطب الوقائي
2- الطب الخرافي
3- الطب الشعبي البشري
4- الطب الشعبي البيطري

1- الطب الوقائي :

يقوم الطب الوقائي ، في المفهوم الذي كان سائداً ، على عدة أمور ، منها :
أ- عزل المريض عن بقية الأصحاء ، خاصة إذا مصاباً بالجدري أو الحصبة .
ب- الحمية ، أي منع المريض من تناول أطعمة معينة ، والاكتفاء بأنواع معينة في حالات مرضية مختلفة .
ج- النظافة العامة ، وهي في اعتقاد العموم مهمة وضرورية لاتقاء الأمراض .
د- تناول المآكل المغذية في حالات المرض والعافية ، ومن هذه المآكل الدجاج والبيض والألبان واللحوم .
" رُز ولبن عافية على البدن "
" كل زيت وانطح الحيط "
" ان قل الضاني عليك بالقطاني "
ه- العمل والابتعاد عن الكسل .
" الشغل بجوهر البدن "
" اللي بوكل على ضرسه بنفع نفسه "
و- أهمية دخول الشمس الى البيت وأهمية الهواء النقي .
" البيت اللي بتدخله الشمس ، ما بدخله طبيب "
" تغيير الهوا أحسن من الدوا "
ز- النوم والراحة .
" نام بكير وقوم بكير وشوف الصحة كيف بتصير "
" اتغدّى وتمدّى ، واتعشى واتمشى "
" السهر سوس العظام "
ح- تحاشي البرد والاهتمام بالدفء .
" البرد سبب كل علّة "
" الدفا عفا "
" البرد والقلّة اساس كل علّة "

" برد الصيف أحد من السيف "
والأمثلة السائدة توضح مدى الوعي الشعبي في تقدير أهمية الطب الوقائي ، ومن ذلك :
" درهم وقاية خير من قنطار علاج "
" عَصّب أصبعك مليح لا بِدْمي ولا بقيح "
" إسأل مجرّب ولا تسأل طبيب "
" ان أوجعك راسك إكرمه ، وإن اوجعك بطنك إحرمه "
" كل مع الكافر ولا توكل مع طويل الأظافر "

2- الطب الخرافي :

أ- طاسة الرعبة : وهي عبارة عن طاسة نحاسية مستديرة مكتوب على حافتها سورة "يس" يشرب منها الخائف ثلاث مرات ، يوضع فيها الماء في الظل بحيث لا يتعرض للشمس .
ب- الخرز : واكثره استعمالاً - الخرزة الزرقاء - وتستعمل لردّ العين وضد الحسد . ويكثر تعليقها في ثياب الصغار . وهناك خرزة الدرّة تلبسها المرأة المرضع لتكثير حليبها ، وخرزة راس القلب ، تلبسها المرأة التي بألم في قلبها أو أسفل بطنها .
ج- " ربط ثم الوحش " : ويستعمل لحفظ الحيوانات الضائعة " بالتقسيم " على سكين مع تلاوة آيات قرآنية .
د- الرصاص : حيث يذوّب الرصاص ثم يصب في وعاء فيه ماء فوق رأس المصاب بالعين.
ه- الحجاب : وهو عبارة عن أوراق تغلف بغلاف جلدي ويعلق برقبة المرأة أو الولد ، ويستعمل لرد العين والأمراض .
و- الرقوة : وهي عبارة عن صلاة على غصن زيتون ، ثم وضع الغصن على جمر أمام المريض أو المصاب بالعين .
ز- البخور : وهو إشعال غصن زيتون يابس مع البخور ، وذلك لمعالجة " صيبة العين " أو المرض .
ح- النذور وزيارة أماكن الأولياء :
تقدم النذور ، وهي عبارة عن مقدار من المال ، لمكان مقدس ، قد يكون مقاماً لأحد الأولياء والقديسين . وأحياناً يذبح أصحاب النذر خروفاً يوزع على الفقراء في حال شفاء المريض ، وأحياناً يوزع المال على الفقراء . ويحدث في بعض الأوقات أن تذهب المرأة لتأدية النذر حافية القدمين الى

مقام الأولياء ، وفي أحيان ، يأتي رجل الدين فيصلي للمريض صلاة خاصة ويرش الماء على فراشه ويدهن صباحه (جبينه) بالزيت .

ط- تبديل اسم المريض :

هناك اعتقاد بأن بعض المرضى من الأولاد قد نتج مرضهم بسبب عدم ملاءمة الاسم الذي اختير للولد ، وفي هذه الحالة تسرع أم الولد الى من هو عليم باختيار الاسم المناسب ، ويكون عالماً " بالفتح " ، أي التبصير والاستطلاع من خلال الكتب ، ويصار الى تبديل الاسم حسب اقتراحه .

ي- معالجة بعض الأمراض بالشعوذة : من ذلك معالجة حمى " المثلثة " وذلك بصنع قرص عجين على شكل فنجان يوضع داخله زيت وأربع فتائل من القماش مغموسة أطرافها السفلى بالزيت وتشعل الأطراف العليا ، ثم يأتي عادة كلب فيأكل قرص العجين ، ويتم بذلك ، على حد زعمهم ، انتقال المرض الى الكلب وشفاء المريض .

وفي معالجة " الفرحة " ، وهي تسمية لحالة تشنج تصيب الطفل ويخرج الزبد من فمه ، يوضع " سيخ " فوق رأس المريض ، وتشلح امرأة " لباسها " أي اللباس الداخلي السفلي ، ثم تقوم بتشطيب الولد بالموس وتحمله وتدخله من فستانها الفضفاض من عند عنقها وتخرجه من عند رجليها ، وتدفع نقوداً لأهل المريض على اعتبار انها تبنّته . وفي اعتقادهم ان ذلك يعمل على شفاء الولد المريض .

من ذلك ، أخيراً الثآليل : يقطع الشخص المصاب بها عود تين " سوادي " ، ولا يتكلم في عودته مع أحد ويعطيه لشخص مختص ، ويضع الشخص اصبعه على الثألول ويقول للمصاب به : " ما هذا ؟ " فيجيب : " ثؤلول " ، فيقول المختص : " هل أمرتني بقطعه ؟" فيقول المصاب : " نعم " . وهكذا حتى ينتهي من جميع الثآليل ، ويضع عود التين في مزبلة وتزول الثآليل ، وعندما يقول المصاب : نعم ، يحز الشخص المختص بعود التين كل مرة .

هذا ما يتعلق بالطب الخرافي ، بقي أن نشير الى القسم الثالث والقسم الرابع من الطب الشعبي المنطقي والمعقول والذي تستعمل فيه العقاقير والأعشاب مع الاشارة الى الأدوات المستخدمة في هذا الطب .

3- الطب الشعبي والأدوات المستخدمة فيه :

كانت الادوات المستخدمة في الطب الشعبي محدودة بخلاف العقاقير والاعشاب أمّا أهم هذه الادوات ، فهي :

أ- المسمار الساخن ، ويستخدم للكي عند الناس والحيوانات .

ب- المنجل الساخن لكي الحيوانات .
ج- الصوفان ، وهو نبات يستخدم ، بعد طحنه ، للكي .
د- الريشة ، وهي سكين تستخدم ، لمعالجة الدمامل وسواها من التورمات .
ه- البابير ، وهو نبات أشبه بالقصب البري ، لكنه ليّن يستخدم في عملية التجبير ، بحيث تلف اليد المكسورة به وتربط بشاشة عادية .
هذا بالنسبة للأدوات ، أمّا بالنسبة للطب الشعبي ، فسنعمد الى الاشارة للمرض المعين والعلاج الذي درج الناس على اتباعه بشكل عام .
3- الطب الشعبي البشري :
1- الأمراض الجلدية وما يتعلق بالجلد :
أ- البثور و " الحبوب " . تطلى بزيت السيرج والقطران .
ب- الجرب : يطلى الجلد بالكبريت الأصفر وزيت الزيتون .
ج- السماط : يطلى مكانه بتراب أبيض " تراب رَشق " .
د- التشقق في أسفل القدم وبين أصابع الرجلين : يطلى بالحنّاء المجبول بالماء وبالطحينة .
ه- الدمامل : تغطى بطبقة من ورق الحور ، أو قمر الدين ، أو لزقة من بزر الكتان أو من الخردل ، أو تشوى بصلة وتنزع قشرتها وتوضع وهي ساخنة على الدمامل .
و- الورم : تستعمل له " لبخات " مياه ساخنة .
ز- الخرام : يغرز دبوس في الثوم ثم يوخز الجزء المصاب بالدبوس مراراً .
ح- الحبة تحت اللسان : تكوى وتدهن بالسمن .
ط- الثآليل : تكوى بقشة حمص .
ي- الحزاز : يوضع على مكانه حليب نبات الفتنة .
ك- الجرح : يوضع عليه أوراق نبات السموة أو الطيّون والزيت .
ل- النزيف : يوضع على الجرح أوراق طيون ، أو سَكن (رماد) سجائر أو قهوة (بُن) مطحونة .
م- الحرق : يوضع على مكانه ملح ، أو نيلة ، أو طحينة .
ن- الكي : يستعمل في حالات كثيرة لأمراض جلدية وباطنية ، والمثل السائر يقول : عليك بالنار يا حمار .
2- الرأس وما يتبعه :
أ- وجع الرأس : تشطيب في الصباح ، طلي الرأس بالحناء ، تغطيته بعصبة تحتها قشر حامض ، طلي الجبين بالخل .

ب- ضربة الشمس : وضع نقاط من الماء المالح في الأذنين .
ج- الإغماء : يعالج بالعطبة ، أي اشعال خرقة من القماش ووضعها عند أنف المغمى عليه ورش الماء البارد على رأسه .
د- وجع العينين : الرمد ، غسل العينين بالشاي المر ، وضع الكحل فيهما ، غسلهما بماء الخبيزة ، اكل الجزر : " الجزر بقوي النظر " .
ه- وجع الاسنان : وضع الملح على اللّثة ، أو الكربونات ، التنظيف بمسحوق الفحم والملح ، الخراج يداوى بالخل والكربونات ، الخلع على يد الحلاق بالكلاّبة والزردية .
و- نزيف الأنف : وضع قطعة نقود بين الحاجبين والضغط عليها بالاصبع ، أما بالنسبة للزكام فيوضع طحين ذرة على جمر ويتنشق المزكوم الرائحة المنبعثة فيسيل المخاط .
ز- وجع الأذن : زيت زيتون دافىء .
3- أوجاع الصدر والبطن :
أ- السعال : البابونج المغلي ونبات الخاتمية المغلي .
ب- للبول : ماء شعير مغلي وماء بقدونس مغلي .
ج- الرشح : دهن الصدر بالزيت الدافىء ، شرب البابونج أو الزوفا بعد الغلي .
كاسات هوا على الظهر " كاسات الهوا بتقيم علّة من غير دوا " ، التشطيب للرشح الثقيل و " للملطوشة ريّاتة " .
د- وجع الظهر : لزقة بيض وبخور .
ه- وجع البطن : ماء الزهر ، بابونج ، مرميّة ، قرفة ، يانسون بعد الغلي بالماء .
و- الامساك : نبات الحلبة حيث تنقع بذوره بالماء ، دبس خروب ، حليب غير مغلي .
ز- الاسهال : صعتر ، شاي ثقيل ، قهوة ناشفة .
ح- المغص والنفخة : لزقة عجين مع نعناع .
ط- للتقيؤ : سمنة بلدية ، وضع الأصابع بالحلق .
4- التجبير والكسور : عند كسر اليد أو الرجل يستدعي " المجبر " ، ويسخن الماء ويدلك العضو المكسور بالماء الساخن والصابون ويمزج البيض بالعجينة ويطلى بهما العضو المكسور ويضع حوله بعض قضبان البابير وتلف بالشاش لمدة شهر أو أكثر . واذا كان "زر" الكوع أو القدم قد خرج من مكانه فيعيده المجبر الى مكانه مستخدماً الماء الساخن والتدليك ،

وبنفس الطريقة يعالج " الفكش " وهذا غير الكسر . وأحياناً ، كان المجبر يطلب من المكسورة يده حمل سلة فيها حجارة لبعض الوقت .
5- الأمراض :
أ- الحمّى : توضع على جبين وأطراف المحموم لبخات ماء بارد ، ولبخات خل .
ب- الزائدة الدودية : لم تكن معروفة ، كان الكي على الخاصرة .
ج- عرق النَّسا : الكي في القدمين بمكان معين .
د- الملاريا : الكينا ، " طرابين " الزيتون أي أطراف الاغصان .
ه- الرمل والبحص : شرب الزيت ، " الحسكة " المغلية والبقدونس المغلي .
و- الديزنطاريا : قهوة سادة عليها عصير ليمون ، أكل بطاطا شوربة ، رز ولبن .
ز- أبو دغيم : يدهن من قاع القدر .
ح- الريقان : كي على الرقبة ، قطع شرش تحت اللسان ، اكل عسل .
ط- البردية : لبخات مياه ساخنة .
ي- الحصبة والجدري : عزل المريض ، غسل عينيه بالبول .
ك- التيفوئيد والكوليرا : عزل المريض ، اطعام المريض الشوربات والحليب .
6- لسع الحشرات :
أ- لسع العقرب : وضع ثوم مدقوق على مكان اللسعة .
ب- لسع الدبور والنحل : ماء ساخن على مكان اللسعة .
ج- عض أفعى : ربط محكم بقطعة من القماش فوق مكان العض ، كي مكان العض بالنار كي يسيل السم ، اعطاء الملدوغ الحليب والزيت كي يتقيأ ، منعه من النوم لكي يستمر في التقيؤ فيخرج كل السم الذي دخل معدته .
الطب البيطري :
من الطبيعي ان يهتم الفلاح بالماشية ويحافظ عليها ، فهي عماد عمله الزراعي ووسيلته للنقل ، اضافة لاستفادته من حليبها ولحمها وروثها . لذلك نراه شديد الحرص عليها والاهتمام بسلامتها ، وقد كانت للفلاحين معرفة معينة بأمراض المواشي وكذلك معرفة بمداواتها ، أمّا أشهر تلك الأمراض ووسائل علاجها فيمكن حصرها فيما يأتي :
أ- الامساك : سقي الدابّة ماء حلبة مغلية .

ب- النفاخ : كي على خاصرتي الداية ، شطب اذنها .
ج- التشقيق : دهن الفم بالطحينة أو الدبس .
د- الجرب : دهن الجلد بالقطران والكبريت .
ه- الظفر : يصيب الحمير والخيول ، يقطع من الأنف ويكوى .
و- أبو صراع : شرش غليظ في بطن الثور يعالج بكي الثور على قائمتيه الأماميتين ورأس ذنبه ، وبين قرنيه .
ز- قملة اللسان : وهي حبيبات في جلدة الفم ، تلتقط بملقط ويدهن مكانها بالملح .
ح- الهذلان : يصيب البقر ، فينحني الرأس وتتهدل الأذنان ، وعلاجه الكي بجانب الأذنين .
ط- المنوقرة : تصيب البقر ، وهي " جورة " عند الاضلاع . تسخن قطعة من الفخار ثم توضع على " الجورة " ويدهن مكان الكي بالزيت والملح .
ي- الحافر : الدهن بالزيت ووضع " حدوات " للخيل والحمير أثناء الدراسة على البيدر .

الامثال وعلاقتها بالتراث الشعبي

مما لا شك فيه ان الأمثال الشعبية جانب هام من التراث الشعبي ، فهي تكشف عن فلسفة المجتمع الاجتماعية والاخلاقية . كما ان هذه الأمثال السائرة لا يعرف من قالها ، وهي ، بالتالي ، لا تنسب الى أفراد معينين . ان أهم شرط في المثل الشعبي هو عدم معرفة قائله كفرد ، فذاكرة الجماهير الشعبية لا تحفظ بتاريخها بصيغة المفرد ، ولكنها تلتحم مع ابداعاتها الجماعية في صراعاتها المستمرة ، حيث تنتج امثالها جماعياً . ومن مراجعاتي للأمثال التي وردت في عدة كتب وابحاث ، تبين لي أن اكثر من تسعين بالمائة من الأمثال التي ذكرت في هذه الدراسات هي نفس الأمثال التي كانت تردد في اغلب القرى الفلسطينية ، وقد يكون هناك تبديل قليل في بعض الألفاظ ، وسنورد هنا ما كان متداولاً، في مجموعات حسب المواضيع :

أ- أمثال تتعلق بالشهور والفصول :

في كانون الاصم اقعد في البيت وإلْتَم

شباط ما عليه رباط

شباط ، إن شبط وان لبط ريحة الصيف فيه
آذار يا ابن عمي ، أربعة منك وثلاثة مني ، تنرجع العرب عامشاتيها وانخلي العجوز تحرق دولابها .
آذار الهدار شهر الزلازل والأمطار ، فيه سبع ثلجات كبار ، غير صغار .
خبّي فحماتك الكثار لعمك آذار
الشتوة بنيسان بتحيي السكة والفدان
شباط عدو العجايز
بآذار ساعة شمس وساعة أمطار ، بدْفا الراعي من غير نار
في أيار احمل منجلك وغار
في تموز بتغلي المي في الكوز
في آب اقطف العنب ولا تهاب
في تشرين بِغْبَر العنب والتين
ما بين تشرين أول وتشرين ثاني صيف ثاني
ما في أنقى من قمر تشرين ولا أظلم من عتمة كانون
لو بِدْها تشتي غَيّمت
صار يخلط شعبان برمضان
بكانون كُون ببيتك وكثر حطبك وزيتك
الصيف كيف
الشتا ضيق ولو انه فرج
الشهر وَرا الباب
بَرْد الصيف أحدّ من السيف
غيمة صيف ، ومارقة

ب- أمثال تتعلق بالعمال :

الحيط الواطي بتنطة كل الناس
الله ما بسمع من ساكت
ما بقطع الراس إلاّ اللي ركبّه
ركوب وركبّتك ، وكمان بتهز رجليك
اللي بعمل حالُه حمار ، الكل بركب عليه
فوق المعروف ضرب كفوف ؟
قطع الاعناق ولا قطع الأرزاق
لا تدير ظهرك للدبابير وتقول تقادير
مسكين اللي خدم وما تعلم

التكرار بعلّم الحمار
الولد العاطل بكسر الخاطر
العلم في الضغر كالنقش في الحجر
العلم للكبير مثل الدب في الحمير
من خلّى الصغار خدمه ، يا ندمه
من امنّك لا تخونه ولو كنت خاين
اشتغل بالخرا ولا تعتاز الخرا
فلان خبزته مغمسة بالدم
فلان بوكل من عرق جبينه
اللي بشقى بلقى
فلان شغيّل
فلان بحرثوا عليه
الكسل ما بطعم عسل
البطالة بتعلم الهمالة
الفاضي بعمل حالُه قاضي
قلة الشغل بتعلم التطريز
اكل ومرعى وقلة صنعة
ما عيب إلاّ العيب
شو بهمه ، مصروفه من أمّه
يا شايف الزول يا خايب الرجا
مش كل مَرّة بتسلم الجرة
مش كل الطير اللي بتاكل لحمه
مش كل الاكلات زلابية
يوم إلَك ويوم عليك
يوم عسل ويوم بصل
مين صار نعجة اكلته الذياب
العين بصيرة واليد قصيرة
واوي بلع منجل ، عند خراه تسمع عواه
هيك مزبطة بدها هيك ختم
اللي غريمه القاضي لمين يشكي همُّه
شو صبرك على المر ، غير الأمر منه
يا طالب الدبس من طيز النمس
بقول له ثور ، بقول احلبه

الطمع ضر ما نفع
الطمع في الدين
ابن العازة عكازة
كَبّر العمّة ، ووسع الذمّة
تحت اللّفة قرود ملتفة
كل شملة وتحتها عملة
مطرح ما ترزق ، إلزَق
في كل بلد ، دق لك وتد
الرزق بدو نطة
بلاد الله واسعة
السعي مطلوب

ج- البدوي في المثل الشعبي وأمثال أخرى:

البدوي ان عرف باب بيتك ، غيره
هربنا من الحرامية ، لحقونا النهابة
عريان وقع عا مشلّح
سَكّر بمفتاح ، ونام مرتاح
سَكّر بيتك ، وأمّن جارك
حاميها حراميها
كنت راعي ونشلني ذراعي
أهلك ولا تهلك
عمر الدم ما صار ميّة
ان جار عليك الدهر ، عليك بالأهل
عُقّال بلا جُهّال راحوا قطايع
وجهال بلا عقال حقهم ضايع
الصبر عقل
بلاد الله لخلق الله
الغريب أديب
الغريب اعمى ولو طاف بعيد

د- المرأة في الأمثال الشعبية :

كل فولة مسوسة وإلها كيّال اعور
كرة ودورة على راس العورة
العورة لابن عمها

مَرَة حلوة بالاعمى خسارة
مش كل بيضا شحمة ، ولا كل سودا فحمة
خذها بيضا ولو انها مجنونة
البنت الحلوة نص المصيبة
حمارتك العرجة ، ولا سؤال اللّئيم
شو تعمل الماشطة في الوجه البشع
بخت عوّاية ولا بخت قرّاية
ما لقوش في عيب ، قالوا له إحْوَل الخدّين
اذا انا ست وانتِ ست ، مين تكب الدست !
اذا أنا أمير وانت أمير ، مين يسوق الحمير ؟
الغول اكل كل الناس إلاّ مَرته
خفّف حمالها بتطول اعمارها
الخشب اللّين ما ينكسرش
مين رَقّعت ما عِرْيت ، ومين دَبّرت ما جاعت
مكسور لا توكلي ، وصحيح لا تكسري ، وكلِ تاتشبعي
العيد ساعة والرعنة قتلت حالها
اللي ما بطعمك ولا بسقيك ، ما بميتك ولا بحييك
تيتي تيتي مثل ما رحتي جيتي
بنت الستين خَرْج السكين
احذر النساء قبل العشرين ، واتركهم بعد الأربعين
الدهن في العتاقي
اللي ما إلو كبير ما إلو تدبير
المرة بنص عقل
مَرة ابن مَرة اللي بعطي سرّه لمرة
اسمع للمرة ولا توخذ برايها
حيل النسوان غلبت كيد الغلان
صباح الحيّة ولا صباح البنية
لا توخذ رأي المرة ، ولا تتيع الحمار من ورا
أم ثمانية عروس ثانية
وام ولد قايمة ، وام عشرة نايمة
ابن امي ذهب في كُمي
ابن بطني بعرف رطني

ه- البكارة والزواج في المثل الشعبي :

زوجك قبل ربك

اللي بحط فلوسُه بنت السلطان عروسه

أبوي باعني وجوزي اشتراني

اللي ما بقدر عا الحمرا وعليقها يزل من طريقها

العرض ما بنحمي بالسيف

إلْعَب وعاشِر والعرض مش داشر

الحُرّة سبَع والرجل كلب

حب حبيبك ولو انه عبد اسود

الرِّجِل محل ما بتحب بِدب

ضرب الحبيب زبيب وحجارته قطين

الرايب للنسايب ، والزبدة للحبايب

الحب أعمى

من شاف احبابه ، نسي اصحابه

البنت بلا حَلَق ، زي الدالية بلا وَرق

الشب بلا سيجارة ، مثل البنت بلا إسوارة

الشب بلا دخان ، مثل البنت بلا نسوان

و- الأسرة في المثل الشعبي :

اللي بستحي من بنت عمه ، ما بجيهش اولاد

لا انت أحمر مني خد ، ولا أطول مني قد

خذ المليح واستريح

مين بشهد مع العروس ، غير امها وخالتها وعشرة من قرابتها

صح لها زوج ، قالت عنه أعور

اجفوهم تلقوهم

عَمْيَة تحفف مجنونة ، والطرشة عا الباب تسْتَنّا

خطبوها تدللّت ، فلتوها تندمت

الله مع جوز المدبّرة

مين خرب البنت ، غير أنا وانت

مْشَنْشَلات الحلق ، صيدات الانذال

نوم السراري للضحى العالي

يا ريتني لولو لاسمع شو بقولوا

دموع الفاجرات على الخدود سايلات

المرة بتحب يوم ، وبتكره أربعين يوم
النسوان وديعة الأجاويد
من كثر هَمُّه ، تجوز قد أمّه
في نِسَا ، وفي فِسَا
مين رقّعت ما عِرْيَت ، ومين دبرّت ما جاعت
رجعت حليمة لعادتها القديمة
بعد ما انقرصت ، احترصت
يا مآمنة بالرجال ، زي الميّة بالغربال
القحبة ان تابت عابت
يا داخل بين البصلة وقشرتها ، ما بنوبك غير ريحتها
ماتت الحمارة ، وانقطعت الزيارة
عند الغولة عرس
ماتت النوارة وظلت القوارة
لا تنسى ولا تُسكر إلاّ بعد سنة وستة اشهر
شو طبخت العمشة ، جوزها بتعشى
الخال مخلّى ، والعم مولّى
دَوّر لبنتك قبل ابنك
صام وأفطر على بصلة
شوف المليح تسبيح
لا انسان ولا حلاوة لسان
لولا الغيرة ، ما حبلت الاميرة
السعادة بثلاثة : الدار الوسيعة والمرة المطيعة والفرس السريعة
بيت الشباب عذاب ، وبيت البنات خراب
حرامي الدار كيّع مية حارس
جبتك يا عبد المعين تعين ، أثاريك بدك مين يعينك
طب الجرة عاثمها ، بتطلع البنت لامها
مين وَفّر غداه لعشَاه ، ما شَمّت فيه إعْداه
صوم شهر ، تشبع دهر
جاجة حفرت ، عا راسها عفرت
عليك بالدرب لو دارت ، وبنت العم لو بارت
طنجرة ولقيت غطاها
فضيحة وعليها شهود
ثلاثة ما بتخبّوش : الحب والحبل والركب عا الجمل

الناس بتقتلني ، وانا بقتل مرتي
مين أحب أولادك ؟ قال : الغايب ليرجع ، والمريض ليشفى ، والصغير ليكبر
أول نظرة إلك ، والثانية عليك
حبلى ومرضعة ، وقدّامها أربعة ، وطالعة على الجبل ، تجيب دوا للحبل
ابن الحلال عند ذكره يبان
اكسر جاه ميّة ، ولا جاه وليّة
الدار بلا باب مأوى الكلاب
البنت اما جبرها واما قبرها
الرجال عند حاجتهم نسوان
الولد لو لعب في خراه ، في خير من وراه
المرة دولاب ، والرجل جلاّب
حرثوها السبوعة ، وحصدوها الضبوعة
الجوز رحمة ، ولو انه ما بجيب فحمة
ريحة الجوز ولا عدمه - من طول الرُّمْلِة تعَلَّمْنَا الغْناج
اسمع للمرة ولا توخذ برايها
كيد النسا بالنسا ، ولا تكيدهن بالعصا
الكي بالنار ولا حماتي في الدار
قرعة بتتباهى بشعر بنت خالتها
المحتاجة غنّاجة
خذوا الأصيلة ولو انها على حصيرة
خطية الولايا بتحرق في الزوايا
وعد بلا وفا ، عداوة بلا سبب
خذ من الزرايب ، ولا توخذ من القرايب
اذا شفت بلد دايرة على مَرة ، قول الله يعين البلد عليها
العروس للعريس ، والجري للمتاعيس
شو بريحك من القاروط ؟ إلا طلاق امّه
الدار دار أبونا وأجو الغُرب يطحونا
الأقارب عقارب
كون نسيب ولا تكون ابن عم
عُمر الدم ما بيصير ميّة
انا وأخوي عا ابن عمي ، وانا وابن عمي عا الغريب
خذ من تراب بلادك ، وحط على خدادك

مراة الأب غضب من الرب ، لا بتحب ولا بتنحب
جوزت بنتي لارتاح من بلاها ، اجتني واربعة من وراها
ابن الضُرة مرة لو كان ذان جرة
اللي بفتح بيرو كل الناس بتعبيلو
ما أعز من الولد ، إلا ولد الولد
أجت الحزينة تفرح ما لقتش الها مطرح
المرة بدق عا ركبتها بتطلع حيلتها
قاضي الاولاد شنق حاله
بعملوها الصغار ، بقع فيها الكبار
اللي تشوفو راكب العصايا ، قولّو مبروك الحصان
ماتت ولِيْتَك من صفاية نِيْتَك
المرة عمارة
الألفة بترفع الكلفة
لا تشتري حمارة وامها في الحارة
اجت تطل سبقت الكل

ز- أمثال تتعلق بالأقارب :

روايدنا ولا القمح الصليبي
اللي ما فيهوش خير لأهله ، ما فيهوش خير للناس
الشجرة اللي ما بتظلل أهلها حل قطعها
الأقربون أولى بالمعروف
أهلك إن مضغوك ما ببلَعوك
الدم بيحن
ما بيحمل همك إلاّ اللي من دمك
ما بحن عا العود إلاّ قشره
اللحمة منا لو أنْتَنَت
يا طُخه يا اكسر مخه
يوم عرسه وجعه ضرسه
يا مستعجل وقف تاقولك
الواحد ما بيتعلم إلاّ من كيسه
الله بيكسر جمل ليعشي واوي
راح الجمل لا أسف على الرسن
كل حاجب له واجب وكل لحية ولها مقص

اصبع زاهر بيوجعه عَوّقه عن الجيزة
قلة الشغل بتعلم التطريز
حصانين ما بيرتبطوا على طوالة
اتعب قدامك ولا تتعب لسانك
ان طلعت لحية ابنك خبي لحيتك
الغايب ماله نايب
مثل اللي بيفضي البحر بطاقيته
مثل القرعة تتباهى بشعر بنت اختها
سنة الزرزور أحرث في البور
لسانك حصانك ان صنته صانك وان خنته خانك
شابت لحاهم والعقل لسَّا ماجاش
من قلة هدانا انقلب صيفنا شتانا
أهل السماح ملاح
رافق المسعدين بتسعد
الجاهل عدو نفسه
الكلام صفات المتكلم
الضحك بلا سبب من قلة الأدب
الفرس من الفارس
يا طول مشيك في البراري حافي
الديك الفصيح من البيضة بصيح
كل متعدي خسران
اللي مالوش ظهر بموت قهر
ريحة الأم بتلم وريحة الأب بتخم
البغض بالأقارب والحسد بالجيران

ح- أمثال تتعلق بالجيران :

جارك القريب ولا اخوك البعيد
جارك مثل أخاك إن ماشفش وجهك بشوف قفاك
النبي وَصّى ع سابع جار
ما دام جارك بخير انت بخير
عليك بالجار لَوْ جار ، ولو رجمك بحْجار
صباح الخير يا جاري ، انت بحالك وانا بحالي
اصبر ع جارك المشوم يا بيرحل يا بِقوم

طبختُه ع النار ، وعينُه ع طبخة الجار
فتش بيتك سبع مرات قبل ما تخّون جارك
تمنّى الخير لجارك بتشوفه بديارك
الجار قبل الدار والرفيق قبل الطريق
الحسد من الجيران ، والغيرة من الأهل
مرتك وانت قوي ، وأهلك وانت غني ، وجيرانك وانت سخي
بَرْميه في الحارة ولا بَعْطيه للجارة
انت جار والاّ كَشّاف اسرار ؟
الجيران نيران

ط- امثال تتعلق بالطب والصحة :

آخر الدواء الكي
أوّل الرّشح أُفرش ونام ، وآخرته روح ع الحمّام
البرد أساس كل علّة
طبّاخ السم بذوقه
كل زيت وانطح الحيط
الخبز الحاف بيربي الكتاف
قلّل طعامك تحمد منامك
أشد الوجع ، الحاضر
الدفا عَفا ولو بعز الصيف
المعدة بيت الداء
الدراهم كالمراهم
تغدّى واتمدى واتعشى واتمشى
لاقيني ولا تغذيني
بطن مليان ، كيف تَمام
أكل الرجال ع قد فعالها
كاسات الهوا بتقيم العلّة بلا دَوا
اللي بوكل رغيف ما هو ضعيف
كل شيء مع العافية مليح
الثوم قتّال السموم
نقطة دم بتفرج هم
تغيير الهوا أحسن من الدوا
وجع ساعة ولا كل ساعة

الجزر بقوي النظر

ي- أمثال تتعلق بأحداث تاريخية :

جايب راس كليب

أمكر من يهود خبير

بعد خراب البصرة

ما بيجي من الغرب شيء بسر القلب

ك- امثال تتعلق بالخير والشر :

إبعد عن الشر وغنّي له

ما تعمل خير وتندم عليه

اعمل مليح وإرمي بالبحر

يا رايح كثر الملايح

ل- امثال تتعلق بالنظافة :

حلوة من حلاوتها ومُرّة من عفانتها

من فوق رخام ومن تحت سخام

من برّة طقشي طقشي ومن جوا خرا محشي

غسّل خدك ما بتعرف مين ببوسه ، ونظف بيتك ما بتعرف مين بدوسه

من برّه ها الله ها الله ، ومن جوا يعلم الله

أمثال تتعلق بالحظ :

إللّي ما إلو حظ لا يتعب ولا يشقى

قيراط بخت ولا قنطار شطارة

على بخت الحزينة سكرت المدينة

ان اقبلت باض الحمام على الوتد وان أدبرت شخ الحمار عا الاسد

ن- امثال تتعلق بالعاقل والمجنون :

المجانين اوْلاد ناس

الجنون فنون

مجنون يحكي وعاقل يسمع

العقل زينة واللي بلاه حزينة

اللي عقله براسه بعرف خلاصُه

الفقير فقير العقل

الجاهل عدو نفسه

س- امثال تتعلق بالغربة :

يا معمر في غير بلدك ما هو إلك ولا لولدك

الغريب أعمى
الغريب لازم يكون أديب
الغربة كربة
الغربة مْضَيْعَة الأصل
البعد جفا
قَرينا قليل وكثير ورجعنا نركب حمير

ع- أمثال تتعلق بالمال :

مال جابتُه الرياح بتوخذُه الزوابع
ما في شيء ببلاش إلا العَمى والطراش
بيت رجال ولا بيت مال
يا ميخذ القرد ع ماله ، بروح المال ويبقى القرد قبالُه
طول ما الكيس مَلْيان بكثروا الخلاّن
الدراهم مراهم
شاب في السوق ولا مال في الصندوق

ف- امثال تتعلق بالميت :

البُكا ما يُرد الميت
الموت مع الناس نعاس
كا واحد يبكي على حاله
الميت ما بجوز عليه إلاّ الرحمة
الميت كلب والجنازة حامية
الموت حق
أهل الميت صَبروا والمعزيين كفروا
ما في حدا بِسِد جورة حدا
الطعن بالميت حرام
الموت كاس داير ع كل الناس
فلان صارت عظامُه مكاحل
بالمال ولا بالعيال

ص- امثال تتعلق بالثأر والتحدي :

اللي بِتطلّع علي بعين بتطلع عليه بالثنتين
ما بجيب الرطل إلاّ رطل ووقيّة
مش كل طير بِتّاكل لحمُه
ما بقطع الراس إلاّ اللي ركبُه

اللي ما بوخذ بالثار بكون حمار
اللي بِعمل نفسه حمار الناس بتركبُه
الحبس للرجال
البدوي قعد أربعين عام وأخذ بثاره وقال : استعجلت
ما كبير إلاّ الجمل
ضربوا الاعور على عينُه قال لهم : تلفانِة
وجع ساعة ولا كل ساعة
عمر شجرة ما وصلت لربها إلاّ وأجا الهوا وهبها
السلاح بيد الخرا بجرح
ما بضيع حق وراه مطالب
الحيط الواطي كل الناس بتنطه
اكثر من هالقرد ما سخط الله
كلام الأسى ما بتنسى
ان ما خربت ما عمرت
اللي بنزل من السما بتتلقاه الأرض
الشمس بتطلع والناس بتقشع
بيت الظالم خراب

ق- امثال تتعلق بالطب الشعبي :

أربط اصبعك مليح لا بدمي ولا بقيح
ان سال دمك انفرج همّك
الدفا عفا
اتغدى وتمدى وتعشى وتمشى
اسأل مجرب ولا تسأل طبيب
نام بكير وقوم بكير وشوف الصحة كيف بتصير
اللي بوكل ع ضرسه بنفع نفسه

ر- أمثال تتعلق بالموسيقى :

لا تقول للمطبل طبّل ولا للمغني غني
مثل ما طبلنالهم زمروا لنا
زقف له برقص
انخزق الدف وتفرقوا العشاق
ما شي ع الدقة ونص
موال براسه وبدو يغنيه

أول الرقص حنجلة
ابعد عن الشر وغني له
بأيام الخير ما غنينا يا ليل
ساعة لقلبك وساعة لربك
الزمار بعرف دار المطبل
صوته ملعلع للسما
تسمع صوته وتقول نيالك يا أطرش
بأيام الحصايد كان يغني قصايد
ش- أمثال فيها أسماء مدن فلسطينية :
يا خوف عكا من هدير البحر
طلع زي مصيفين الغور ، لا من هون ولا من هون
أهل الجبل هبل
يا أرض ليش بتعنّي ، ترشيحاني مرق فوق مني .
ت- امثال تتعلق بالضيافة :
بيجي الضيف وبيجي رزقُه معه
أكل اثنين بكفي ثلاثة
بيت الضيق بِسَع ألف صديق
إظهر عذرك ولا تظهر بخلك
الضيف أسير المهلي
يا رايح من غير عزيمة يا قليل القيمة
الضيف المشوم بوكل وبقوم
الشبعان إلو أربعين لقمة
إطعم الثم بستحي العين
ضيف المسا ما إلو عشا
أكلة وانحسبت عليك ، كُل وبحلق عينيك
ض- امثال تتعلق بالأكل :
مفتاح البطن لقمة ومفتاح الشر كلمة
كُل على ذوقك وإلبس على ذوق الناس
مُر على عدوك جوعان ولا تمر عليه عريان
أكل الرجال ع قد فعالها
أكل الرجال على الرجال دين وعلى الانذال صدقة
عند البطون بتضيع الذهون

اللي بوكل على ضرسُه بنفع نفسُه
بالقوت ولا تموت
قرقط ولا تبات جوعان
بطنه إلو ، عينيه مش إلو

ظـ- أمثال أخلاقية ساخرة :

شحّاد ومتشرط وبدّو رغفان كبار
المنحوس منحوس ولو علقوا ع بابه فانوس
ركبناه ع الفرس مد إيده ع الخرج
سألوا البغل مين أبوك ، قال : الحصان خالي
يا داخل بين البصلة والثومة بتطلع بالريحة المشومة
يا داخل بين البصلة وقشرتها ما بنوبك إلاّ ريحتها
بعد ما شاب ودّوه ع الكتّاب
شعرة من جلد الخنزير حلال
الطويل هبيل
الكلب مهما سمن ما بِتّاكل لحمُه
كلب خلّف جَرو طلع أَطْقَع من أباه
مثل اللي أسلم الظُّهُر ومات العصر ، لا عيسى شفع فيه ، ولا محمد (ص) دِري فيه
مثل البرغوث في اللبن
مثل البوم بِزعق بالخراب
مثل الخاتم بالاصبع
الهريبة ثلثين المراجل
هين قرشك ولا تهين نفسك
ما حدا من الهم خالي
مش رمانة إلاّ قلوب مليانة
معك قرش بِتسوى قرش
من خلّف ما مات
المكتوب ع الجبين تشوفو العين
مِن شاف أحبابه نسي أصحابُه
مِن شب على شيء شاب عليه
منفعة ما منُّه دخانُه بعمي
الموت بين الناس نعاس

وقع الجمل وكثرت سكاكينه
الولد ببكي ، يا جوع يا موجوع
يا ميخذ القرد ع ماله ، بروح المال وببقى القرد قبالُه
ياما تحت السواهي دواهي
ياما الجمل كسّر بطيخ
اللي مثلنا ييجوا لعنّا
يا ويل من كان عِلتُه مَرتُه
الشهر اللي ما إلك فيه ، ليش بتعد ايامه
المكتوب بنقرا من عنوانُه
يا مِسْتَرْخِص اللحمة ، عند المرقة تندم
الولد ولد لو صار قاضي بلد
اللي فيها بِكفيها
ما بِجيب الرطل إلاّ رطل وِوْقِيّة
الجاجة بتشرب وبتتطلع لربها
من الدلفة لتحت المزراب
اربط الحمار مطرح ما بقولك صاحبُه
التلم الاعوج من الثور الكبير
اتعب ع الشيء بتلاقيه
أجاك يا بلوط مين يعرفك
أجا زبون العوافي
أجت وجابها الله
مجنون يحكي وعاقل يسمع
اذا قل الحيا زاد البلا
الأرض بِتفرق بالشبر
الأرض الواطية بتشرب ميتها وميّة جارتها
فرجي عُذرك ولا تفرجي بخلك
خلي العسل بجراره تتجيه اسعاره
صرارة بتسند خابية
كرمال الورد بشرب العليق
العتاب صابون القلوب
فرجاه نجوم الظهر
عبدنا العجل
العَتَب ع الظهر

الغنى بالغربة وطن ، والفقر بالوطن غربة
العادة في البدن ما بغيرها غير الكفن
فروته بتجر للأرض
قاطع شرش الحياء
قرد موالف ولا غزال مخالف
قلبي من الحامض لاوي
كلها عجرة ولا يوكلها غيرك مستوية
لو يشوف الجمل حردبته كان وقع وانكسرت رقبتُه
لعب الفار بعبُّه
زبّال وبأيُده وردة
واحد حامل ذقنه والثاني تعبان فيه
البرطيل بحل السراويل
رجع ايد من ورا وايد من قدام
شايبة وعايبة - شايب وعايب
وين ما ضربت الأقرع بسيل دمُّه
واحد كسر ايدُه والثاني شَحَد عليها
فخار يكسّر بعضه
جبنا الأقرع تيوَنسنا كشّف عن قرعته وخوفنا
أجو تيحدوا الخيل مد الفار رجلُه
السكافي حافي والحايك عريان
خمنّت الباشا باشا ، طلع الباشا زلمة
مجنون رمى ببير حجر ، مية عاقل ما اطلعو
الميت كلب والجنازة حامية
ابليس ما بخرب بيته
بوس الكلب من ثمه تتوخذ حاجتك منه
بين حانا ومانا ضاعت لحانا
دموع العواهر نواهر
الذبّان بعرف بيت اللبان
معروف مثل الثور الابرق
ما في شيء بلاش إلا العمى والطراش
ما بعرف الخمسة من الطمسة
لوز ما تقشري وجوز ما تكسري وكُلي لتشبعي
عيش يا كديش تينبت الحشيش

الحكي ما عليه جمرك
الجمل ما بشوف حردبتُه
ما بعرف الطينة من العجينة
بظل ذيا الكلب اعوج لو حطيته بألف قارب
صباحه بقطع الرزق
قال كيف حالك ؟ قال له : بَسَنْسِل
صباح القرود ولا صباح الجرود
شعرة على شعرة بتصير لحية
إلْحق العيّار لباب الدار
تراعيني قراط أراعيك قراطين
بتطلع عليّ بعين بتطلع عليك بالثنتين
الصباح رباح
كل مين ع دينه الله يعينه
راحت السكرة وأجت الفكرة
الشجرة اللي ما منها ثمرة حل قطعها
عُمر الشقي بقي
المنطق سعادة
الموت كاس داير ع كل الناس
الأرض قفرة والمزار بعيد
كل وردة بتخلف قردة ، وكل قردة بتخلف وردة
ان ضاعت المخازن إجعل مخزنك عُبَّك
الغيرة بالقرايب والحسد بالجيران
سلامة الانسان في حفظ اللسان
اصرف ما في الجيب يأتيك ما في الغيب
اطعم الثم بتستحي العين
الاعادة فيها افادة
اللي أوله شرط آخره سلامة
اللي بدك تصاهره لا تقاهرُه
اللي بشوف مصيبة غيره بتهون عليه مصيبته
اللي بوكل خبز السلطان بضرب بسيفه
اللي بوكل العصي مش مثل اللي بعدها
اللي بتجوز بالدين بيجوا أولاده بالفائدة
اللي بيحضر السوق بتْسوّق

اللي ما بفهم بالوما ، الحكي معه خسارة
اللي فات مات
ايد وحدها ما بتصفق
أصل الشر شرارة
ناس بتوكل جاج وناس بتقع بالسياج
بوس الأيادي ضحك ع اللحى
الكبار بوكلوا الحصرم والصغار يضرسون
لا تنام بين القبور ولا تحلم احلام مزعجة
ضربني وبكى ، سبقني واشتكى
وقت ما كُنت قدك ، كنت شامة على خدك
عمر مقسّم ما دخل جنة
اللي بحكي فيه بحلم فيه
دُور مع الدرب لو دارت
الله بعطي اللحمة للي مالوش سنان
اللي بدو يسكر ما بعدش قداح
القرش الأبيض لليوم الاسود
من بعد الكبرة لبس جبّة حمرا
من عاشر القوم أربعين يوم صار منهم
لبّس العود بجود
إسأل مجرب ولا تسأل طبيب
صبّح القوم ولا تمسيهم
كل جيل مع جيلُه بلعب
كبير القوم خادمهم
عصفور باليد ولا عشرة ع الشجرة
لا بِرْحمك ولا بخلي حدا يِرْحمك ولا رحمة الله تنزل عليك
الكذب ملح الرجال
أطهر أرض وأنجس قوم
اكثر من الهم ع القلب
اللي إلو عُمر ما بتقتلُه شدّة
اللي بدلل ع بضاعته بترخص
اللي بوخذ مالك خذ روحه
اللي بوكل هالأكلات بِموت هالموتات
اللي ما بيغار بِكون أبوه حمار

اللي من إيده الله يزيده
وعد بليس بالجنة
الحب أوله دلع وآخره ولع
يا أرض اشتدي ما حدا قدّي
بالمال ولا بالعيال
بيت السبع ما بخلى من العظام
حط راسك بين الروس وقول يا قطاع الروس
خليها بالقلب تجرح ولا بين الناس تفضح
الخير بالخير والبادىء أكرم ، والشر بالشر والبادىء أظلم
خير تعمل شر تلقى
دوام الحال من المحال
رضى الأب من رضى الرب
الزايد أخو الناقص
زيادة الخير خيرين
حدا بيشتري سمك ببحر
شو أعز من الولد ؟ قال : ولد الولد
شو بده الأعمى ؟ قال : ققة عيون
صاحب الحاجة ارعن
صاحبك اللي بِدّك تبقيه ، لا توخذ منه ولا تعطيه
الصهر بسند الظهر
الطعن في الميت حرام
الظّفر بعمي البصر
طنجرة ولاقت غطاها
ع قد فراشك مد رجليك
عز نفسك تجدها
عقلك براسك بتعرف خلاصك
على بخت الحزينة سكرت المدينة
على عينك يا تاجر
عمرك أطول من عمري
عند العقرب لا تقرب ، عند الحية افرش ونام
العين بصيرة واليد قصيرة
غاب القط إلعب يا فار
غالي والطلب رخيص

كرمال عين تكرم مرج عيون
الغايب حجته معه
الفاجر اكل مال التاجر
فرخ البط عوام
القرد بعين امه غزال
كثر الشد برخي
اكرام الميت دفنه
الكرم ستار العيوب
كل الطرق بتودي ع الطاحونة
كل ديك ع مزبلته صيّاح
كل طلعة قبالها نزلة
بكل عرس إلو قرص
كل عنزة معلقة بعرقوبها
كل ممنوع مرغوب
كل واحد همّه على قدهُ
كلب الشيخ شيخ
كلمة بتحنن وكلمة بتجنن
كلنا في الهوا سوا
كله عند العرب صابون
كيد الرهبان غلب كيد النسوان
لا معلقة ولا مطلقة
لا يموت الذيب ولا تفنى الغنم
لبّس الاسمر احمر واضحك عليه
لولا إلكسورة ما عمرت الفاخورة
ما بتعرف خيري ت تجرب غيري
ما بحن ع العود إلاّ قشرة
ما بِروح يوم وبيجي مثله
ما بِضيع حق وراه مطالب
ما بعد الصبر إلاّ الفرج
ما باليد حيلة
مال الحرام ما بدوم
بقتل القتيل وبمشي بجنازتُه
اللي بعرف بعرف واللي ما بعرف بقول كف عدس

اللي بطرق الباب بسمع الجواب
علمناه ع الشحدة سبقنا ع الابواب
ربيته كل شبر بنذر
ما بحك جسمك إلاّ ظفرك
العز للرز والبُرغل شنق حاله
اللي ما إلُه عتيق ما إلُه جديد
لاقيني ولا تغديني
هربنا من عزريين تلقانا قباض الأرواح
بِشوف القبّة بِحْسَبها مزار
ألف إم تبكي ولا إمي ينزلها دمعة
اللي اصبعه بالمي مش مثل اللي اصبعه بالنار
اكلة وانحسبت عليك كُل وبحلق عينيك
صغير وفعله كبير
شبعان من حليب امّه
شحّاد ما بِحب صاحب مخلاية
صار له زمان هالقمر ما بان
على هامان يا فرعون
ما في دخان بلا نار
نفسي فيه وتفوه عليه
قتيل بطنه لا رحم
تاجرنا بالكفان بطلت الناس تموت
لا تقول فول حتى يصير بالعدول
الأسى ما بِتنسى
اشتهينا الجاجة اكلناها بريشها
اضحك بْعُبّك
اللي بلاعب القط بِصْبر عَ خراميشُه
اللي ما بدّو يجوّز بنته بِغَلّي مهرها
اللي ما بيجي معك تعال معه
اللي بشرب من بير ما بِرمي فيه حجر
بِطعم حالُه جوز فارغ
البطن ع لقمة والشرّ ع كلمة
بطيخ يكسر بعضه
البعد جَفا

بعد ما وصلت اللقمة للثم
بِطوش ع شبر مَيّ
بقاتل خيالُه
خذوا البنات من صدور العمات
بالوجه مراي وبالقفا مذراي
ببني قصور بالهوا
البيت اللي رباني ما بنساني
بيت الضيق بِسع ألف صديق
بِتخبّا بخيال اصبعه
بِتعلم البيطرة بحمير النَّوَر
بِحرق حارة لَيْوَلع سيجارة
بركض ورا الرغيف ، والرغيف بركض قدامُه
بكره الضيف وزوادته معه
بِلْهي الحمار عن عليقُه
بِمْسَح جوخ
إتْغَذاه قبل ما يتعشّاك
ثلاثة ما بِنطاقوا : الطق والنق والبق
الجنة بلا ناس ما بتنداس
حامل السلم بالعرض
حايص مثل الجاجة اللي بدها تبيض
حبل الكذب قصير
الحجر مطرحُهْ قنطار
دُق الحديد وهو حامي
حُطْ ايدَك في مَيّة باردة
حُط بِالُخْرج
الحَكي ما عليه جمرك
خالف تُعرف
خذ اسرارهم من صغارهم
دمّه ثقيل مثل دم البق
الدنيا صندوق فرجة
الدنيا من عُسر ويُسر
الدنيا مع الواقف - الحق للقُوّة
الدنيا وجوه وعتاب

الدهر دولاب : يوم معك ، ويوم عليك
دود الخل منه وفيه ـ وسوس الخشب منه وفيه
رايح جاي مثل مكوك الحايك
ربنا ما عنده حجارة تراجد
رخيص وكويس وابن ناس
المال السايب بعلم الناس السرقة
زاد الطين بلّة
سحبها مثل الشعرة من العجين
السمكة الكبيرة بتوكل السمكة الصغيرة
شاف الموت بعينه
خليها عشرة حلبية
الشغل بجوهر البدن
شم ولا تذوق الاعمار والأرزاق بيد الله
عزموا جُحا ع العرس ، قال : يا لِزَق الميّة يا لتكسير الحطب
لقمة وعا الماشي
الحسود لا يسود
القناعة كنز لا يفنى
شاور غيرك وارجع لشور نفسك
اذا تفرق الحمل بِنشال
شمّام هوا ، قطاف ورد
الصلح سيد الأحكام
شدة وعافية ما احلاها
اهل البيت صبروا والمعزيات كفروا
بهون الموت ع صحابه
عمل البحر مقاثي
عمل جريهن من قصب
من ذقنه واعْملّو حبال
الله يقلعها حتى أقعد مطرحها
على لساني ولا تنساني
كل الجمال بتعارك ما عدا جملنا بارك
ايد الحر ميزان
بدك تحيرُه خيرُه
جوابه تحت أباطُه

بِخَرّب قبّة وبعمر مزار
بِحْلب النملة
جبل ع جبل ما بِلْتقي ، بني آدم ع بني آدم بِلتقي
مثل قوس الندافة
يا غافل إلك الله
الناقة - ناقة لو هدرت
مثل الحداد بلا نار
عُمر الميّة ما بتدوب ، وعُمر القحبة ما بتوب
مثل الغنم بلا راعي
رايح جاي مثل بيضات المغربل
التاجر لما بفلس بقعد يدور في الدفاتر العُتُق
لاحق العيار لباب الدار
بعمل من الحبّة قُبّة

غ- أمثال تتعلق بمقاومة الصهيونية :

صاحب الذقن السكسوكة أخبث من ابليس
ضربوا اليهودي بصحن لبن ، قال : من زمان أنا مشتهيه
ان كانت الحيّة بْتِنْحَط بالعُب ، عُمره العدو ما بنحب
عمر العدو ما بصير حبيب إلاّ لما بصير الحمار طبيب
عمر الحيّة ما بتصير خيّة

ث- أمثال تتعلق بالتحدّي :

اللي ما بعدّك لا تعدّه ، ولو كان السلطان جدّه
فلان لقمته مغمّسة بالدم
عيش يوم ديك ولا مية يوم جاجة
الموت ولا المذّلة
تعب الحر مُر
صبرك على نفسك ولا صبر الناس عليك
كنت راعي ونشلني ذراعي
انا بفكر الباشا - باشا ، أثاري الباشا زلمة
لما بيجي الصبي بنصلي ع النبي
صوتك يا نذل بقطع سلسلة الظهر
فلان بحب الكبرة ولو على خازوق
بذوب الثلج وببيّن المرج

مثل طيز البقرة ، لا مع اللحم مطبوخ ولا مع الجلد مسلوخ
مين صار نعجة اكله الذيب
فوق المعروف ضرب كفوف
واوي بلع منجل ، عند خراه تسمع عواه
لولا النواطير كانت الكروم ما تحمل قناطير
حاميها حراميها
اللي بسكر ما بعد قداح
النار ما بتحرق إلاّ حواليها
زرعنا إل " لو " طلعت يا ريت
شو صبّرك ع المر إلاّ الأمر منه
هو المختلي - زي المبتلي
اللي حاكمك ظالمك
فلان حامل دمّه على كفه
مال هالوتد نازل بالوطاه ؟ قال : من الدّز اللي بالقفا
الحق البوم بِدّلك ع الخراب
اللي بموت يموت شهيد واللي يعيش يعيش سعيد
مش كل مّرة بتسلم الجرة
القلّة دوا العرصات
كلب داير ولا سبع نايم
في الهم داعيني ، وفي الفرح ناسيني
ان ما عكرت ما صفيت
شجرة بلا ثمرة حل قطعها

خ- أمثال تتعلق بالحانوتية " الدكانجية " :

ألْحَس سنّي وأبات متهني
زبون الفساد بنفع في الكساد
طقطق بالعيار ولا يقول الناس بطّال
بدّو من الذواق سبع أواق
الشطارة في الفصيلة مش في الميزان
هو بالكيل وإلاّ بالهيل
مثل ما قالوا - شالوا
بيع واندم ولا تخّلي وتندم
الدفع قبل الرفع

رزق المي مي
تاجر المي مش خسران
الوفق بعين ع الرزق
اشتغل بالمقصوص ل يجيك الطيّار
النصاب خرب بيت الطماع
الشاطر ما بموت
عنزة ولو طارت
صار للخرا مَرّة ، وصار يحلف عليها بالطلاق
عدّي رجالك عدّي ، من الأقرع للمصدي
اللي امه بصلة وأبوه ثوم ، تجيه الريحة الحلوة منين
طولة عمرك بثلاث كلمات : أخذك البنات ، وركبك الفرسات ، ومشيك على النبات.
وقصرة عمرك بثلاث كلمات : أخذك الأرملات ، وقطعك المفازات ، ومشيك في الجنازات .
شو عرّف الحمير بأكل الزنجبيل
انت بدّك عنب ، وإلا تقاتل الناطور
الناس مقامات
اللي بوكل رغيف مش ضعيف
إن إسْلِمِت من الأسد ما تطمعش في صيده
العين ما بتعلاش عن الحاجب
حَطّوا النورية بسبع قصور وعن كارها ما غيّرت
هِتْ بعصا العز ولا تضرب فيها
مين قَلّد معيشة غيره ، عيشته حرمت عليه
المنازل ان اعطوها لغير أهلها ذلّت
كشّر عن نابك ، كل الناس بتهابك
اعمص وبتجعمص والدرب منين
اللي إلك إلك ، واللي لغيرك محرّم عليك
اللي بتطلع لفوق بتنكسر رقبتُه
الشحادة عادة والشكوى ادمان
زبّال وحامل وردة
كلب يعوّي معك ولا كلب يعوّي عليك
عند الزحمة ما في رحمة
اللي ما معه إشي يتعشى ، بشتري فجل وبتدشى

العز بلبق لاصحابُه
الناس أجناس ، انظر لاصابيعك
عمرُه ما طِلِعْ من النَوَر خطيب
ان عاشرت عاشر أمير ، وان إلبست إلبس حرير
بالشكر تدوم النعم
حَزانى وطَفْرانين واشتروا بعشاهم ياسْمين
نام بظل السبع ولو انه بوكلك
راح الحمار يطلب قرنين ، رجع بلا ذنين
شاة القاضي ما بتآذي
خوض الميّة بغيرك
لا تركض ركض الوحوش غير رزقك ما بتحوش
ابن العازة عكّازة
اذا انجنّوا أهلك ، عقلك ما بنفعك
إنتوا جُقُم وإحْنا عُور ، خلّوا هالطابِق مَسْتور
اللي ما بيجي معك ، تعال معه
ساير زمانك وتهنّى
الناس على دين ملوكهم
ويل أهْوَن من ويلين
اللي بحتاج الكلب بقول له يا حاج احمد
كف ما بِلاطِم مِخْرَز
امشِ الحيط الحيط وقول يا رب الستر
إن أقبلوا طبّلنالهم ، وإن رَوّحوا بَعْبَصْنالهم
اللي إلو عينين وراس بعمل زي الناس
كلام الناس هو الأساس
بالقوت ولا تموت
قتلة وتفوت ولا حد يموت
كل من همّه ع قدّه
كل من ذنبه ع جنبه
لما بتقع الفاس بالراس ما في خلاص
المعتدي دايماً خسران
إن جيت ع ناس بعبدوا العجل ، حِش واطعمه
الهزيمة ثلثين المراجل
مهما أجا من الأمير كثير

حط راسك بين الروس وقول يا قطاع الروس
اللي بصير ع غيرك ، بصير عليك
اللي فيها بكفيها
الايد اللي ما بتقدر عليها ، بوسها وادعي عليها بالكسر
اللي بوخذ إمّي هو عمّي
حبيبي اللي نافعني
كلمة شو بعرفني بتريحني
ألف قلبة ولا غلبة
فخّار يكسر بعضه
نيّال الراضي بعقله ، لا بتغيّر ولا بخس اكله
فص المليحة ما لو ريحة
بات مغلوب ولا تبات غالب
كل تأخيرة فيها خيرة
الاعمى اللي بتشوفه كب عشاه ، انت مش ادرى باللي عماه
حب وداري وابغض ووّاري
الطاقة اللي بجيك منها الريح سدها واستريح
خُذ ما تيسّر واترك ما تعسّر
من هون لعشيّة ، بفرجها رب البريّة
المكتوب ما منّه مهروب
السعد وعد
المنحوس منحوس لو علقوا على طيزه فانوس ، ان فَسا بطفيه وان ضرط بنوس.
لما بقع القدر بنعمي البصر
احنا بالتفكير والله في التدبير
اللي ما بتقدر عليه ، حيل الله عليه
ان طلع صاحبك طمّاع ، اعمل حالك غشيم حساب
اسحب الخيط ومُطّه ، واللي عليك لازم تحطّه
خُذ من عبد الله واتكل على الله
اللي بحبه ربنا وبختاره ، بجيب له الخير لداره
الأرزاق والأعمار بيد الله
خلّ الحساب ليوم الحساب
تشب في الزفة ولا مال في القفة
زي صوص التين ، بوكل وبنين

اللي ما بطعمك ولا بسقيك ، ما يميتك ولا بحييك
اللي بالقِدِر بتطوله المغرفة
خُذ فالها من اطفالها
السكوت علامة الرضا
اللي ما بفهم بالاشارة ، الحكي معاه خسارة
لسان ملس وقلب نجس
فرّينا قليل وكثير ، ورجعنا نركب الحمير
قليل البخت لاقى العظمة في الكرشة
قيراط بخت ولا قنطار شطارة
ان سال دمك ، انفرج همّك
دخان يعمي ولا برد يقتل
البرد والقلّة اساس كل علّة
كُل مع الكافر ولا توكل مع طويل الأظافر
رُز ولبن ، عافية على البدن
مطرح العقرب لا تقرب ، ومطرح الحية افرش ونام
كل قُرنة والها عفريت
الليل والسيل ما بتسابقوا
جبنا الاقرع تيونسنا ، كشف عن قرعته وخوفنا
يا حافر جورة السوء يا واقع فيها
نصبنا فخ ، صاد الأخ
الجود من الموجود
العيال سوس المال
إللي إلو قيراط بالخيل بركب
الفرس الأصيلة ما يعيبها جلالها
الخيل الأصايل بتجود في الآخر
يا قاعدين يكفيكو شر الجايين
كلمة بَتْ ولا عشرة لَتْ
اللي بنزل من السما ، بتتلقاه الأرض
مثل اللي غاب يوم وقال وين باب الدار
ما أكذب من شَبْ اتغرّب ، إلاّ شايب ماتت إجيالُه
لو جحا بعمر ، عمّر في بلاده
هو كُل عجل قوقب بدّو رباط ؟
مثل حراث الجمال ، اللي بحرثه بربصُه

مثل الأطرش في الزفّة
الميدة (المائدة) ميدان ، والحق ع اللي بقوم جوعان
الشبعان إلو أربعين لقمة
لقمة هنيّة تكفي ميّة
ضيف الحارة بطفي المرارة
ضيف وبأيدو سيف
إذا عيبُه من ثمّهُ ، شواربُه بِتْلِمُّه
نَفَس الرجال بيحي الرجال
كُل أكل الجمال ، وقوم قبل الرجال
الرجال محاضر مش مناظر
الكذب ملح الرجال
الطايح رايح
اللي بلمُّه السعدان بوكلُه الجحش
ما بعرف كوعُه من باعُه
الغرقان بتعلق بحبال الهوا
بعبي البحر بطاقيتُه
كسرنا الدف وبطلنا الغناني
اللي وراه امّهُ لا تحمل همُّه

الألعاب في صفورية

تتميّز ألعاب صفورية بميزتين ظاهرتين : أولاً بالخشونة والشدّة والعنف . فإنها ألعاب تتطلب صبراً وجلداً وقوة جسدية . فهي ، من هذه الناحية ، ألعاب ممتازة تقوّي السواعد والركب والصدر . ثانياً تتميّز ألعاب صفورية ببساطتها وقدميتها ، يظهر لك ذلك في كثير من الألفاظ الغامضة ، التي تتكرّر في العديّات التي يردّدها الأولاد في بعض هذه الألعاب . ويخيّل إليّ انها عربية قديمة (كنعانية أو آرامية) وصلت إلينا على ألسنة الأطفال جيلاً بعد جيل ، مشوّهة تشويهاً ، أخفى علينا حقيقتها الأولى ، كما هي الحال في ألعاب كثيرة سيأتي ذكرها . وتظهر لك قدميتها في بساطة المبدأ ، الذي يقوم عليه جوهر اللعبة . فانها في اكثرها ألعاب خالية من الصنعة والفن . ولكن هذا لا يفقدها عنصر البهجة عند الأولاد ، ولا يفقدها قيمتها الرياضية . فإن من يرى أولاداً في ساحة القرية ، يمرحون ، ويصفقون ، ويستعملون حناجرهم ، لا يشك في أن هذه الألعاب ، تؤدي وظيفتها على أحسن وجه : بهجة ورياضة وحماس وتعاون .

يلعب أولاد صفورية في ساحة القرية أو ساحاتها . لكل حارة في صفورية ساحة ، وكثيراً ما يكون في الساحة شجرة قديمة : سنديانة ، سدرة ، زنزلختة ، أو أشجار خروب ، في ظل هذه الاشجار يلعب الأولاد . وأحياناً يتضايق من جلبتهم شيوخ القرية من ذوي اللحى المتقاعدين ، فيطردونهم فيذهبون الى ساحة العين ، وقد يفتشون عن منبسط في جوار القرية : بيدر عتيق مهجور ، أو قطعة أرض مستوية تعرف بالبورة أو تحت أشجار الزيتون . هناك يجدون لأنفسهم ملعباً .

العاب أولاد البلدة يصحبها كثير من الصياح والضجيج . وبالأخص العديات منها ، وأخص بالذكر " عدّية " كان الأطفال يحبونها كثيراً : " يا حجّ محمد " كانوا يدورون في الحارة وفي الزقاقات مردّدين بحناجرهم القومية

" يويا - يويا " يحمل الزعيم بيرقاً ويقول : يا حجّ محمد ! فيرد عليه الأطفال كمجموعة : يويا - يويا .
وقد ارتأينا أن نصف الألعاب في صفورية ، والتي هي مشتركة على الأقل من حيث المبدأ بين قرى عديدة ، كما وجدنا ذلك بالاختبار . وتسهيلا للقارىء سنبحث اللعبة تحت نقاط فنذكر :
1- اللاعبين وعددهم .
2- الأدوات المستعملة في اللعبة .
3- المبدأ الذي ترتكز عليه اللعبة .
4- الخطوات المتبعة أو قوانين اللعبة .
وقبل أن نأتي على ذكر أهم الألعاب القروية الشائعة في صفورية ، نودّ ان نأتي على ذكر كيفيّة انتقاء الفريقين بواسطة " القرعة " . قبل أن يبدأ الأولاد باللعب يقومون باجراء القرعة أولاً ، ويتم ذلك بوسائل عملية أو لفظية ، ومن الوسائل العملية :
1- فن القرش : والوجه الرابح منه هو الذي يكون الى الاعلى .
2- القدم : يقف اثنان بينهما مسافة قصيرة ويسيران نحو بعضهما البعض واضعين أقدامهما بالترتيب ، ومن تأتي قدمه فوق قدم الآخر يكون له الاختيار .
3- الصيف والشتا : تؤخذ حصاة صغيرة رقيقة مفلطحة ويبصق على أحد وجهيها . الوجه المبلّل بالبصاق يُسمّى " شِتا " والوجه الناشف " صيف " يطلب أحد الرّوسيّة من زميله أن ينتقي : " صيف ولا شِتا ؟ " فينتقي ، عندئذ يرمي الحصاة في الهواء عالياً قائلاً:"يا صيف صيّف ويا شتا شتي " وعندما تقع الحصاة الى الأرض ، يركضون جميعاً ليروا إذا جاءت " صيف " أو " شتا " فإذا كان المحزّر قد حزر ، فإنه يكون قد ربح حق البدء في عديّة تقرر الأوّلية في انتخاب الفريق . يبدأ العدية الذي لم يربح القرعة فيقول :

الأول : حَبيّتك
فيرد عليه الثاني : ما حبيتك
الأول : دم الجاري
الثاني : خاب بختك
الأول : شيش نعار
الثاني : شنق الحمار
الأول : نقّي واختار .

ومن الوسائل اللفظية أيضاً : يقوم أحد الأولاد بترديد جملة من الجمل الآتية ، مشيراً عند كل كلمة أو عدد على ولد ، ومن جاءت عليه القرعة يربح : حكرة بكرة قال لي سيدي عد العشرة : واحد ، اثنين ، ثلاثة ، أربعة ، خمسة ، ستة ، سبعة ، ثمانية ، تسعة ، عشرة، فاسي فندي ، عقرب بندي ، طاها باها عند الذي أفساها .

طلعت فوق فوق ، لاقيت الشايب نايم ، ضربتو وغميتو ، وشربت من زيتو ، زيتو تمر حِنّا ، حنّا يا شواشة ، شواشة ابن عمنا ، حلف يوخذ إمنّا ، إمنا المغربية ، دق المحلبية ، مطرح ما دقيتها ، بالسجر خبيتها ، يا سجر يا ناقة ، يا عروق الدفاقة ، تدفق باب عكا ، عكا يا مردومة ، بيكي حمام زغيّر ، يوكل ، يوكل ويطيّر .

الأوليّة والطشية :

والأولية معناها الحق في البدء في اللعب ، أي الدور الأول . يقول الواحد منهم : أنا الأول أو " أوّلتي " . يقول الثاني : ثنيتي ، والثالث ثَلّثتي ، والرابع رَبّعتي ... الخ أمّا الأخير ، ويسّمى الطش ، فيقول طشيتي . فالطشية تعني الدور الأخير ، والطش هو الأخير .

النزلة :

من جملة ألعاب القرية ، يكون فيها أحد الفريقين مُهاجِماً ، والآخر مُهاجَماً . والمهاجَم هو الذي تقع عليه القرعة أن يكون المعرّض للضرب إذا كان في اللعبة ضرب . هذا الفريق المهاجَم هو الفريق " النازل " .

يقولون : النزلة عليكو أو نزلتكم أو صار دوركم تنزلوا .

بعض الالعاب :

نتقدم الآن الى وصف أهم ألعاب القرية ، مبتدئين بأفضلها وأحسنها واكثرها حماساً ، وهي لعبة فيها كثير من الفن ، والسرعة ، وحسن الملاحظة ، نعني لعبة طابة العصا . وألعاب الطابة كثيرة ومتنوعة ، وانما طابة العصا قديمة وأصلية ومشتركة .

طابة العصا :

1- عدد اللاعبين : اللاعبون فريقان متباريان ، وعدد الفريق غير محدّد . يحددّه أحياناً صغر الملعب أو اتساعه ، أو عدد الحاضرين من الأولاد . إنما يجب أن يكون عدد الفريقين متساوياً ، وتكون اللعبة أفضل وأكثر حماساً وبهجة ، اذا كان الفريق الواحد من 6-8. ولا يلعب في هذه اللعبة من هم دون العشرة .

2- الأدوات :

طابة مصنوعة عن خرقة متينة كغلاف لها ومن حشوة من صوف أو قطن أو خرق بالية . وقد يكون غلافها جلداً عتيقاً ، يخيطها لهم الاسكاف الحنون في ساحة القرية . أما اليوم ، فإنهم يستعملون الطابة الأوروبية المصنوعة من المطّاط .

الماد حجر مربع أو مستطيل يوضع في الجهة الثانية من الملعب ، وهو هدف الوصول الذي يجب على اللاعبين إصابته .

3- قوانين اللعبة : ينتقي الرئيسان (ويسمّونها الروسية) فريقيهما بعد القرعة ، ثم يقترعان ليريا من يبدأ اللعب ، والذي يبدأ اللعب يأخذ الجهة المقابلة للماد ، وينتشر الفريق النازل بجهة الماد .

تقوم اللعبة على ضربة لكل لاعب من الفريق الأول وثلاث ضربات للرئيس .

وهذه الضربات هي :

يقف رئيس الفريق النازل أمام الفريق الطالع وبيده اليمنى الطابة . يتقدم أحد الفريق الطالع وبيده العصا مستعداً لضرب الطابة ، يقوم رئيس الفريق النازل برمي الطابة في الهواء، يقوم اللاعب بتلقّي الطابة وضربها قوياً بالعصا ناحية الفريق النازل ، وأثناء طيران الطابة في الهواء يركض اللاعب الأول تجاه الماد ويلمسه . واذا كان بامكانه العودة الى حيث يقف الرئيس فقد ربح اللعب مرة ثانية . واذا لم يستطع ينتظر عند حجر الانطلاق الذي يبعد مسافة المترين عن رئيس الفريق النازل .

على أعضاء الفريق النازل أن ينتشروا في الملعب ، لكي يتلقّوا الطابة بالهواء ، أي قبل أن تسقط فتلامس الأرض . فاذا استطاع أحد المدافعين أن يتلقاها ، وهي بعد في الهواء يقذف بها اللاعب المتّجه ركضاً نحو حجر الماد ، فاذا أصابه قبل وصوله الماد ينزل فريقه ويطلع مكانه الفريق النازل .

ومن الملاحظ انه لا يستطيع لاعب واحد ان يجتاز المسافة بين الرئيس والماد دون خسران . فإن الأمر أعسر ممّا يتصوّر لأول وهلة . لأن المدافعين إذا أحسنوا الانتشار في الملعب ، واذا كان بينهم من يحسن إصابة الهدف ، فإن اللاعب يخسر بعد ضربات قليلة .

عندما يموت اللاعب ، يتقدم الثاني فالثالث فالرابع ، الى أن يأتي الدور على كل أعضاء الفريق ، فإذا ماتوا قبل اجتياز مسافة الماد والعودة ، يبقى ثلاث ضربات رئيس الفريق ، في هذه الاثناء يحاول الاعضاء الميّتون بكل مهارة وحذق الوصول الى الماد والعودة الى مكان الرئيس ليحيوا الفريق مرة ثانية ،فإن لم يفلحوا ، وخسر رئيسهم الثلاث ضربات ، عليهم أن

يخسروا حقهم في اللعب ، ويصبحوا النازلين ، فيتركون جهة القاعدة ويأخذون مكان الفريق النازل . وهكذا دواليك ، إلى أن يملّوا اللعب .

أوّلك يا اسكندراني :

1- عدد اللاعبين غير محدد ، ولكن يحسن أن يكون عددهم كبيراً .
2- يقترعون ليروا من ينزل أولاً . النازل يقف عند أول الملعب ويضع يديه على ركبتيه ويحني ظهره .
3- يأتي أول لاعب ، عادة الزعيم ، ويقفز من فوق ظهره قائلاً :

أولّك يا اسكندراني

ثم انه يبتعد عنه مسافة مترين وينحني أيضاً ، فيأتي اللاعب الثاني ، ويقفز من فوق الأول ثم من فوق الثاني مردداً .

ثانيكِ فلفل يماني

ويأخذ مكانه في الانحناء . ثم يأتي اللاعب الثالث ، فيقفز من فوق الأول فالثاني فالثالث. مردّداً :

قتلني ما قتلتو - ويأخذ مركزه في الانحناء الى جانب رفاقه ، ثم يأتي الرابع فيقفز من فوق ظهور المنحنين مردداً :

ما قتل غير ابن عمّي

ثم لاعب آخر ويردّد:

شَلّح السيفين مني

وهكذا الى أن تنتهي العدّية . واللعبة لا آخر لها لأنها حلقة متصلة . يظل الأولاد يلعبونها الى ان ينهكهم التعب ، أو الى أن يأخذهم الملل .

أما العدّية فهي :

اولك يا اسكندراني
ثانيكِ فلفل يماني
قتلني ما قتلتو
ما قتل غير ابن عمّي
شلّح السيفين مني
دهسهم بشنب عنتر
وقع القضيب وتقنطر

قفة الحمام :

وهي لعبة من ألعاب ركوب ظهر الخصم . يلعبها فريقان وأول شيء يقومون به القرعة لمعرفة الفريق " النازل " والفريق المهاجم .

1- عدد اللاعبين غير محدّد . يحسن أن يكون فوق الخمسة في الفريق الواحد .
2- قوانين اللعبة : الفريق النازل يقف في دائرة قطرها متران تقريباً يقف اللاعب النازل ويداه على كتفي زملائه . عليه أن يكون مستعداً لقبول مهاجم يقفز على ظهره ويركب دون أية مقاومة .
3- للفريق النازل حامٍ يحميه . عليه ألاّ يدع أحداً من المهاجمين أن يقفز على ظهر أحد من فريقه . وبطبيعة الحال لا يستطيع أن يحمي جميع الجهات ، فإنه قد يحاول أن يردَ أحد المهاجمين من اليمين ، فيأتي واحد من اليسار ويركب ظهر أحد النازلين .
4- إذا مسَ الحامي أحد المهاجمين ، ولو مسّاً بسيطاً بطرف إصبعه ، فإن الفريق المهاجم يخسر ويصبح هو الفريق النازل . ولكن الى أن يستطيع الحامي مسَّ أحد اللاعبين ، يكون فريقه قد أرهِق ركوباً وعذاباً ، لا سيما وانه يحق للاعب في الفريق المهاجم ، أن ينزل عن ظهر خصمه ويهرب ، فيمتطي ظهر لاعب آخر من الفريق النازل ، وذلك إذا أحسَّ بخطر هجوم الحامي .

مين نقفك يا قربوص :

وهي لعبة شائعة ، عدد اللاعبين : غير محدد . يحسن أن يكون اكثر من 7 لأن اللعبة تقوم على حزر الناقف كما سيأتي وصفه ، وكلّما كان عدد اللاعبين كبيراً قلّت إمكانات الحزر .
قوانين اللعبة : يتفقون على نازل ، وهذا النازل يقعد على حجر ، ويأتي الحكم في اللعبة ، ويغمض عينيه جيّداً بيديه . ثم يتقدم اللاعبون واحداً واحداً وينقفونه بالاصبع الأوسط على اصبعه الممدود والحكم يسأل :

مين نقفك يا قربوص

وعلى النازل المنقوف أن يحزر فيقول : نقفني فلان فإذا حزر نزل الناقف مكانه . ويظلّون يلعبونها الى أن يأخذهم الملل .

المرجيحة :

وهي لعبة مستحبة . تعلّق المرجيحة بين شجرتين متقاربتين ، أو في فرّاع شجرة عالية ، أو في حلقة في قنطرة عالية ، ومن الأغاني التي يرددّونها :

يا مرجيحة التيتي
وين رُحتِووين جيتِ
رُحت عابلاد الشام
وجبت الخوخ والرمان

لعبة القال :

القال (الذي يلتقط به) حجر صغير مستدير ، يلعب هذه اللعبة اثنان أو ثلاثة أو أربعة كلّ لنفسه (دون أن يكون هنالك شراكة) . ومبدأ اللعبة هو أن يمرّ اللاعب في مراحل اللعبة دون أن يخسر . قبل كل شيء يقترعون فيما بينهم ليروا من الأول فالثاني فالثالث فالرابع . عدد حجارة القال خمسة ، ويحق لكل لاعب أن يحتفظ بخمسة أحجار خاصة به. يبدأ الأول بأخذ الحجارة كلها جملة ، ويبعثرها على الأرض ، ثم يأخذ حجراً واحداً ويرفعه في الهواء ، ثم يحاول أن يلتقط من الحجارة المبعثرة هنا وهناك واحداً بيده ، ويتلقى القال الذي في الهواء . واذا مسَّ قالاً ولم يأخذه بيده ، فإنه يخسر حقّه في اللعب ويأخذ الدور اللاعب الذي بعده .

بعد جمع الحجارة كلها يرميها في الهواء ، ويضع يديه تحتها ، قبل ان تصل الى الأرض محاولاً أن تقع جميعها على قفا يديه . ثم انه يرفع ما على قفا يديه في الهواء ويدير يديه الى جهة راحتي الكف ليتلقاها كلها ، فاذا فشل وسقط منها واحد الى الأرض خسر دوره ، فيأخذ الثاني محله باللعب . أمّا إذا تلقاها كلها فإنه ربح ، ثم يتابع اللعب للمرحلة الثانية ، وهي شبيهة بالاولى ولكنه يلتقط في المرحلة الثانية زوجاً زوجاً من الحجارة ، وعندما يتم المرحلة الثانية بنجاح ، ينتقل الى المرحلة الثالثة ، وفي هذه المرحلة يجب عليه ان يلتقط الحجارة فرادا ، أي حجراً واحداً ، ثم ثلاثة حجارة دفعة واحدة ، واذا نجح ينتقل الى المرحلة الرابعة وهي الأخيرة . مرحلة الفرن . يضع اللاعب أصبعه الشاهد والإبهام على الارض بشكل قنطرة ، ثم يبعثر الحجارة كما في بداية اللعبة ، يأخذ حجراً واحداً بيده اليمنى ، ويرفعه في الهواء ، ثم يحاول أن يدخل الحجر الى الفرن عن طريق قنطرة الأصابع ويتلقى القال الذي في الهواء وهكذا حتى يتم جميع حجارة القال ، وبهذا يكون قد أتم اللعبة بنجاح . وتستمر اللعبة على هذا النحو الى أن يتعبوا أو يسأموا .

لعبة الابرة والدبوس :

1- عدد اللاعبين : يفضل ألاّ يكون اكثر من أربعة : اثنين ضد اثنين .

2- أدوات اللعبة : أولاً ، عود قوي رفيع من السنديان طوله 25-35سم ويسمونه الإبرة . ثانياً ، عود قوي أغلظ من الابرة وأطول وهو الدبوس . توضع الابرة على حجرين يسميان الماد على علو 25سم . أمّا الدبوس فعصا يضرب بها اللاعب الابرة ليبعدها عن الحجرين .

3- قوانين اللعبة :

يقترعون ليروا من يبدأ اللعبة . توضع الابرة على الحجرين ، فيأتي اللاعب الأول ويضربها ضربة قوية ، يطيّرها بعيداً ، على لغتهم . فاذا تلقاها الفريق الثاني على الطاير خسر اللاعب دوره فيحل الثاني محله . أمّا إذا لم يتلقها الفريق الثاني على الطاير ، فإن أحدهم يأخذ الابرة ويرميها نحو الماد ، فاذا أتت الابرة عالية وهي بعد في الهواء ، يحق للذي ضربها أن يردّها بضربة من دبوسه . في هذه الحالة تقاس المسافة بالابرة من حيث استقرت الى الماد ، أي ليرى كم ابرة هنالك بين الماد والمكان الذي استقرّت فيه : 5 إبر،6 ، 20 إبرة . وهذه تحسب نقطاً ربحاً للاعب ، أما إذا لم يستطع اللاعب الأول أن يردّها فتُقاس المسافة من حيث استقرت الى الماد . واذا استقرت على مسافة من الماد أقصر من طول الابرة فان اللاعب يخسر . واللعبة تقوم على من يصل أولاً الى العدد مئة . الذي يصل أولاً هو الفائز ، ثم تعاد اللعبة مرة أخرى وهكذا دواليك .

لعبة سكركبة عا المركبة قرش قديش هو :

ومن ألعاب الركوب على الظهر لعبة تعرف ب " سْكَرْكَبة عَا المرْكبة " . ينزل أحدهم ويضع يديه الى حائط يسند بها جسمه . فيأتي ولد ويركب على ظهره . ثم ان الراكب يضع يده وراء ظهره ويشير بأصبعه الى عددٍ ما : 2-3-4 ... الخ ، وعلى المركوب أن يحزر يقول الراكب : سكركبة عا المركبة قِرش قَدّيش هو ؟ فيحاول المركوب أن يحزر . وهنالك حكم واقف يراقب أمانة المحزر . فاذا حزر المركوب نجا وحلّ محله الراكب . (امكانية الحزر من 1-5) .

المنقلة :

وهي من العاب التسلية ، وقد قيل فيها بشكل أحجية :

أرملة وإلْها زوجين   عَمْيا باربَعْتاشر عين
عاقِر ما بتجيب إوْلاد   إلْها ميّة إلاّ إثنين

وتُسمّى منقلة (من نقل) لأن اللعبة تقوم على نقل - أو بالأحرى تفريق - الأحجار في الخانات من واحدة الى اخرى بحيث تنتهي - أحياناً - في خانة فيها زوج أو أربعة من الحجارة فيربحها اللاعب كما سيجيء وصفه . والمنقلة لوح خشبي سميك مستطيل طوله 65-75 سنتيمتراً بعرض 25-30 سنتيمتراً . وهذا اللوح من الخشب الصلب (السنديان أو الجوز) الصقيل الناعم . يُنقر في هذا اللوح 14 جورة في صفيّن متقابلين ، لكل لاعب جهته التي فيها 7 جُوَر أو خانات . يضعون في كل جورة 7 أحجار صغيرة

ملساء بحجم حبة الفول الصغيرة ، تؤخذ من على شاطىء البحر أو من مجرى النهر .

مبدأ اللعبة :

يقوم على الفوز بربح اكثرية الحجارة ، أي 50 حجراً من أصل 98 .

قوانين اللعبة :

يقترعون لمعرفة البادىء باللعب . ينتقي اللاعب جورة من جوره ويأخذ الحجارة فيها (وعددها 7) ويوزعها واحدة واحدة على كل جورة مبتدئاً من اليسار الى اليمين . والمهارة في اللعب ، أن توزّع حجارة الجورة بطريقة يظن صاحبها (أو يقدّر تقديراً) أنها تنتهي في جور يصبح فيها ، بعد التوزيع ، زوج أو أربعة من الحجارة في جورة أو جور متتالية . في هذه الحال يربح هذه الأزواج أو الأربعات . والأفضل أن يكون الربح في خانات الخصم لا في خاناته . ولنأخذ مثلاً نبين فيه طريقة الربح . لفترض أنّ في خانات الخصم 3 خانات متتالية في كل واحدة منها حجر حجر . فاذا استطاع اللاعب أن ينتقي جورة يقدر أن حجارتها ، تنتهي بعد التوزيع في هذه الخانات الثلاث ، فإنه يربحها لأنها تصبح 3 أزواج في ثلاث خانات متتالية . ولنفرض على سبيل المثال أيضاً أن في خانات الخصم خانتين في كل منها 3 أحجار فاذا استطاع اللاعب أن يُنهي التوزيع في هاتين الخانتين ، فإنه يربح حجارتهما لأنه يصبح فيها بعد التوزيع أربعة أربعة . فتكون مهارة اللعب إذن في ألاّ يفرّغ الخصم خانات متتالية كثيرة . وفي حال اضطراره (وقد يضطر الى ذلك لأن قوانين اللعب تفرض عليه أن يوزع حجارة خانة كلما جاء دوره في اللعب) فيحسن به ألاّ يترك فيها حجراً حجراً أو ثلاثة ثلاثة ، لأنه يسهل على الخصم ربحها . واللعبة التي تقرّر الربح النهائي ، هو ان يحتفظ اللاعب بخانة لا يوّزع حجارتها ، بل يتركها ليزداد عددها . وله أن يحصي عددها ، ليعرف أين تنتهي ويبقى إحصاءها سرّاً يحتفظ به . هذه الخانة أو الخانات الكبيرة ، إذا وزّعت في آخر اللعب ، فإنها أحياناً تنتهي بأزواج عديدة ، أو أربعات عديدة ، لأن خانات كثيرة تكون قد فرغت من الحجارة .

قد يبدو لأول وهلة أن اللعبة بسيطة لا فن فيها ولا حساب ولا خطة . ولكن الأمر على نقيض هذا ، فإنها لعبة مسليّة ممتعة ، تحتاج الى وضع خطة والى ملاحظة ودقة حساب . فإن بعضهم يستطيع أن يعرف عدد الحجارة في خانات الخصم (أو على وجه التقدير) . تنتهي اللعبة عندما لا يبقى في خانات الخصم حجر واحد ، إذا ظل هناك حجر واحد أو حجران فإن من

شروط اللعبة أن يظل ينقل من اليسار الى اليمين حتى تستقر هذه الحجارة أخيراً في خانات صاحبه فيربحها ذاك .

لعبة يا حلمبو يا جلمبو :

ومن الألعاب التي يستأنس بها الصغار ويميلون الى لعبها " عدّية يا حلمبو " . يشكل الأولاد الصغار ، بناتاً وصبياناً ، حلقة . يتماسكون بالأيدي شرط أن يكون التماسك بإدخال أصابع اليد الأخرى ، أي أن تكون الأصابع متشابكة . ثم إنهم يختارون واحداً منهم ، أو قد يتبرّع أحدهم ليكون في نصف الحلقة ، ويسمونه الوسطاني . تدور الحلقة فيقول الوسطاني . تدور الحلقة فيقول الوسطاني :

يا حلمبو

فترد عليه الحلقة : يا جلمبو

الوسطاني : وين الجمال ؟
الحلقة : تحت القنطرة
الوسطاني : شو أكلهم ؟
الحلقة : حبّ الذرة
الوسطاني : شو شربهم ؟
الحلقة : قطر الندى
الوسطاني : يا عمّي القاق
الحلقة : جوّزني بنتك

عندما يصلون في عديتهم الى هنا يتركون أيدي بعضهم المتشابكة ، ويقفزون قفزاً ويصفقون قائلين :

حَبّ الطقش
بِفْقِش فقش
بْيِبْري قلام الصوّانة

ويخيّل إليّ أن هذه اللعبة قديمة ، وظاهر أنها بقية باقية من لعبة لها شروط أخرى غير هذه . ذلك لأنها لا تنتهي بفوز أو خسارة ، ولا تقوم على مبدأ معين من مبادىء اللعب ، كغيرها من الألعاب . ناهيك عن أن الألفاظ المستعملة مبهمة مما يعزّز ظني أنها بقية لعبة قديمة تعود الى زمن الكنعانية أو الآرامية .

نشاطات الأطفال :

تتنوع نشاطات الأطفال وتتعدد ، ومن هذه النشاطات :

1- الغناء : بعضه مرتبط بمناسبات معينة ، ومن ذلك ما يقولونه في الشتاء :

شتّي يا دنيا وزيدي   بيتنا حديدي
عمنا عبد الله   خزق إلْنا الجرّة
رزقنا على الله
يا رعدة وارعدي   خذي فلان وابعدي
يا ربي تشتيلنا   تا نغسل غسيلنا
غسيلنا بالخابية   تا نعمل زلابية
كل واحد قرص قرص   والباقي لام العرس
يا ربي تشتي   تروح عند ستّي
تعمل فطيرة   قد الحصيرة
اكلها ونام   عا رَف الحمام
خالتي صبحية   واردة عالميّة
لاقوها شبيّن   من شباب حسين
واحد إسمو سلامة   والثاني إسمو محمود
راكب القعود
حط سوارة على سوارة   وصار يبرطع بالحارة
برطع برطع يا بنيّة   برطع برطع يا بنيّة

ومن هذه الأغاني ما يدور حول واقع اجتماعي معين :

بُلْبو البلابل   عا روس الشجر
يا أهل المدينة   اسمعوا الخبر
جابوا للجديدة   اساور ذهب
جابوا للعتيقة   اساور خشب
جابوا للجديدة   صندوق بغني
جابوا للعتيقة   صندوق ببكي
ماتت الجديدة   في ضو القمر
ماتت العتيقة   في سحب المطر
كفّنوا الجديدة   في شرشف حرير
كفّنوا العتيقة   في جلود الحمير
رَشّوا عالجديدة   قنينة عطر
رشّوا عالعتيقة   إشْخاخة حمير

وهنالك تمثيليات غنائية يقوم بها بعض الأولاد بتمثيل خطف بنت ، حيث ينقسمون الى صفين ، وقد لاحظت ان هذه الأغنية والأغنية السابقة كانتا شائعتين في القرى الفلسطينية:

الصف الأول : صبحكم بالخير يا العُميّرة العُميّرة
الصف الثاني : مسيكم بالخير يا العميرة العميرة
الصف الأول : جايين نوخذ منكم جايين نوخذ منكم
الصف الثاني : مين بدكوا توخذوا مين بدكوا توخذوا
الصف الأول : بدنا نوخذ فلانة بدنا نوخذ فلانة
الصف الثاني : ما منعطيكوا إياها إلاّ بألف وميّة
الصف الأول : حطينّا هالمية جوّات الصينّية
الصف الثاني : مننزل على داركو ومنخلّع ابوابكو
الصف الأول : والجامع طوابكو وهذي عروستنا

وهنا يتم خطف العروس .

عديات وأقاصيص للأطفال

في الفلكلور الفلسطيني ذخيرة طيبة من أغانٍ وأشعار ، وأقاصيص مسلية مثيرة تغنّيها الأم عند السرير ، أو تقصّها عليهم وهم مستلقون على الأرض ، جاعلين من ركبتيها مخدّة . ولا يسعنا في مؤلف كهذا ، أن ندوّن جميع ما وصلت إليه أيدينا في هذا الحقل ، إنما حرصنا أن نقدّم للقارىء ، نماذج صالحة منها ، نماذج وجدنا أنها تقريباً مشتركة في قرى فلسطين . وقد حرصنا على تدوين القديم منها ، ولا سيما تلك التي تتمثل فيها الروح القروية البسيطة البعيدة عن الصُنعة والتكلّف .

يسمّون الشعر القصصي عِدِّية . والعِدّية شعر عامي فَكِه يروق للأولاد كثيراً . ويُنشد لهم إنشاداً مرفوقاً بنغم . وإليك بعضها :

عدية شيخ البنيات :

تَعوا نِمْشي نْعِد بْيات   عَلى شيخ إِلبْنَيّات
عَا خُبزاتي رَبيّتو   أَكَلّي كُلّ الجبنات
قُمْت إِحْمِلْتوُ وْوَقَّعْتو   وعند القاضي شارَعْتو

طِلِع لي بأربع فتوات

أول فتوى إِبْرِزْقاتي　　أَكَل أَغْلَب موناتي
بِتْلاعَب بْعَقلاتي　　وْبِنْبِش كل المخَبّايات
بِنْبِش لي هالمحْلوُبة　　مَطْرَح ما بَحُطّ الرُّوبِة
قُمْت لَقيتها مقلوبة　　وقالبها أرْبَع قَلْبات
قالبها عاذِنيها　　وطلع ركب عا ليها
قيشانِيّة بِكْسِرْها　　بكسرها أربع شقفات
لا ، بكسرها تناشر شقفة　　وبِعْمَلاّ رقصة وزَقْفِة
وبجيني نْهار الوَقْفِة　　بِدّو فرخة من الجِجات
بِدّو فرخة ودجاجة　　والدَّعْوَة ما هي محتاجة
قَلّي قوم جيب الصّاجة　　بِدْنا نِخْبِز لُزّاقات
بِدْنا نخبز فطاير　　وعَقْلوُ بالسما طاير
وَأنا بِفْكاري حاير　　عقلي بْمِسْمَنْةِ الدِّهْنات
أخذها من قُدّامي　　وقال إِحْسِبْها غَرامة
بِدّو مِدّين إقضامِة　　وبدّو تِلْتين التّينات
بِدّو أَهَنّي لْعُرسُو　　تَيِبْقى إيْحَلّي دِرسُو
قُلْتِلّو التينات خِلْصو　　قال لي من دينك قُوم هات
قَلّي من دينك قُوم جيب　　مِدْ إقضامِة وْكيل زبيب
من عند خالك الحبيب　　مقضيتك هَالْلَتْلَتات ... الخ

طليت من الطاقة :

عا الزرزور بُكْرَة مِنْزور
ست سنين وْسَبْع شهور
حَيّا الله عا بلاد الشام
فيها الخوخ والرُّمان
فيها زقزقة العصفور

طلعت عَا العِلّيّة　　لاقيت الشيخ نايم
وخواتمو مْذَرّاية　　ظَلّيت لَمْلِمْ لملم
تَ تعبت إيدَيّ وِجْرَيّي
طَلّيت من الطاقة　　لْقيت خَيّالة مارْقَة
مْحَمْلين صواني　　أَخَذِتْ صونِيّة
إمْزوزقة وْمَجْلِيّة　　حَطيّتها بالطاقة
أَجَتْ عَمْتي السرّاقة　　سَرْقتها وْراحَت

ظَلّيت أرْكض وَراها حَتّى زلقت ب (...) (كلمة نابية)
(...) كبشول جِنّة ان شاالله بتموت الحماه
وريتها تِسْلم هالكِنّة

صف العسكر :

صف العسكر رايح يسكر وخبّالي قالب سُكر
دَلّتْني سِتّي عا البير وجابت لي شال حَرير (أو منديل حرير)
قُلْتِلاّ يا سِتّي مْنين قالت لي من عند الأمير
دَق الكوز بتفاحة جَتْنا خيول الرَّماحَة
رماحْتَك يا لْهِنْدي الورد مِنّو عندي
الورد عند الضُرَّة أم خدود المحمّرة
بترخي سالفها غُرَّة سُبْحان رَبِّ المتجَلّي

يا حادي ويا مادي :

يا حادي ويا مادي خَلّي جْرابَك زوّادي
إنْ كَنَّك عا بلادي غادي بلدي بْلاد الشام
فيها الخوخ والرمان فيها سكيكة العصفور
فيها الشيخ بلا طنطور طنطورك عَلاّ وعَلاّ
حَطْ عا حيط المُلاّ شاف الحماه بْتِتْفَلّى
وقملتها هالطول
يا حادي واحدي لها الورد بِمنْديل لها
ويا بوها وَدّي لْها سبعة ثَمَنْ ذهبات كبار
تَتْحُطهن بسريرها
يا حادي واحدي دَغْشِة رَكّب فلانة عا الجَحْشِة
رَكّبها وسير فيها وْدير بالك ترميها
بْيِعْمَل لك أبوها بَلْشِة

يا سِتّي العرجا العرجا :

يا سِتّي العرجا العرجا يا مفتاح الطّبَنْجا
خَبيّتو ورا الصندوق أجا خالي سَرَقو
سَرَقو ما سَرَقو لَبّسْني من حَلَقو
حلقو شَقلة بقلي حلقو طَيّر عقلي
يا بنت الملوكي أجو يخطبوكِ
من إمّك وَبُوكِ

كَعْك الشام غالي   بِسْلَم ذقن خالي
خالي بالبَريّة   عَمْ بُوكِل تمريّة
قُلْتِلّو طعميني   ضربني سكينة
سِكيّنتو حمرا حمرا   فيها الجوخ والتمرا

شاهدين يا بنات :

شاهدين يا بنات   يويا
عالست نعمات   يويا
أبوها مصري   يويا
قاعد عالكرسي   يويا
بِعِدْ فلوسو   يويا
عَلَشان عروسو   يويا
عروسو بيضا   يويا
مثل الحُميّضا   يويا
حَجْ اسماعيل   يويا
بَعْدو مامات   يويا
خَلّف بنات   يويا
بَناتو سود   يويا
مثل العَبيد   يويا
يا حَجْ محمد   يويا
قَدّيش مصَمّد   يويا
مصَمّد عَصْريّة   يويا
مثل الثمِنيّة   يويا
ثمنيّة مين   يويا
عَمّي شاهين   يويا
شاهين ما مات   يويا
عندو بنات   يويا
بناتو سود   يويا
مثل العبيد   يويا

جاجة طوزة :

جاجة طوزة
بْراسِ الجوزة
حمار مربوط

بْجَل التوت

فريدة وبربارة وهيلانة :

يا فريدة شو بتريدي ؟
شغل ايدِك تَنْتَنات
يا بربارة ليش محتارة ؟
بالصحارة اللّيمونات
يا هيلانة ليش زعلانة ؟
بالخزانة الزيتونات

بنت زغيرة :

كان في بنت زغيرة خِلْقِة رَبها
بيتها زغير عا قَدْها
كَنّسَت بيتها لِقْيَت فيه قرش
اشترت فيه دِبس حَطّتو عا الرف
أجا البس كب لها اياه ، ضربتو على ذنبو ، قَصّت لو ذنبو
راحت لَعِنْد القاضي وقالت لو يا قاضي : أنا بنت زغيرة
قال لها : رَبّك خَلَقك
قالت لو : بيتي زغيّر
قال لها : عا قَدّك
قالت لو : كَنّست بيتي
قال لها : تْنَظّفتي
قالت لو : لقيت فيه قرش
قال لها : زَنْكَلتي
قالت لو : اشتريت فيه دبس
قال لها : تْحَلّيتي
قالت لو : حطيتو عا الرف
قال لها : تْعَلّيتي
قالت لو : أجا البس كب لي إياه قطشت لو ذنبتو
قال لها : حسناً فَعَلْتِ !

العصفورة والغراب :

كان في عصفورة ، بَحَشَت بَحشت : تْحَنّوا إيديها
تْطَلّعَت لَرَبْها : تكحلوا عينيها
راحت لعند الأمير : اعطاها شقفة حرير

شافها الغراب قال لها : مْنَلّك ومْنَلّك ؟
قالت لو :
بحشت بحشت	تحنّوا ايدَيّي
تطلعت لربيّ	تكحلوا عينيّ
رُحت لعند الأمير	أعطاني شقفة حرير
راح الغراب :
بحش بحش	تكَسّروا ايديه
تْطَلّع لَرَبو	تْقَلعّوا عينيه
راح لعند الأمير	دَبّو بالبير

أقاصيص للأولاد :

قبل البدء بقص القصة على الأولاد ، يقدّمون لها مقدمة يسمونها فرشة وللفرشة عدّيات كثيرة فكهة ، تروق للأولاد ، لا يسعنا ذكرها . إنما نكتفي بفرشة مشتركة وإن بدا فيها هنا وهناك بعض الاختلاف في الألفاظ : كان ياما كان في قديم الزمان ، نْخَرّف وإلاّ إنّام، عن حكي عن بكي عن جعفر ابن البرمكي ، عن الدبس اللذيذ إلّلي ما بينشال لا بالمغرفة ولا بالأيد ولا بمسمار حديد إلاّ باصبع ستي ام شديد .

الكذب ما بعرف بكذبو	بسْرج البرغوث وبطلع بركبو
بخوض فيه جوّات سبع بحور	ما بتغمرو المي لطيّة ركبتو
يا طالع عا الحيط	يا نازل عا الخيط
يا مزّنر بالعصا	ضربني ضربتو
من زخمي جيت تحتو

وبعد مقدّمات كهذه تبدأ القصة . وقد اخترنا قصتين تمثلان في نظرنا اكثرية القصص ، التي تُقص على الأطفال . القصة الأولى من النوع الذي يبدأ بقضية تُرْبَط بقضية أخرى ، والأخرى تربط بقضية أخرى ، ويظّل القاصّ يربط أجزاء القصة بأجزاء متتالية ، إلى أن ينعس الطفل ، أو إلى أن يرى القاصّ أن القصّة أصبحت طويلة ، فينهيها عوداً من آخر حلقة ، إلى أول حلقة . وأفضل مثال على هذا النوع من القصّة ، يمكن تسميتها بالقصة الحلقيّة (مركبة من حلقات) قصة العنزة والغولة ، وإليكها :

قصة العنزة والغولة :

كان لعنزة سبعة جدايا . وكانت تنظف بيتها ، وتكنسه ، وترضع أولادها ، وتغسلهم ، وترتب أمورهم . ثم إنها تقفل باب دارها ، وتذهب الى الحقل ،

وتوصي الصغار ألا يفتحوا الباب للغولة . وعندما كانت تعود الى البيت ، كانت تقول لهم :

هم هم يا وليداتي
الحشيش عا ظهيراتي
والحطب عا قروناتي
والحليب بِبْزيزاتي
افتحوا لي يا وليداتي

فيفتحون لها .

وكان بالقرب غولة تحاول افتراس الصغار ، ولكنّها لم تُفلح . وأخيراً أنصتت الى العديّة التي كانت العنزة تقولها على الباب فتعلّمتها . ومرّة ، أثناء غياب العنزة ، أتت الغولة وردَّت :

هم هم يا وليداتي
... الخ ... الخ .

فاستغربوا صوتها وقالوا لست أمّنا . ولكن الغولة أصرّت على أنها أمهم . فقالوا لها:"مدّي ذنبتك من طاقة المصرف قرب الباب " . فلمسوها ووجدوها خشنة ، وليس "حلسة ملسة مثل ذنبة العنزة " فلم يفتحوا لها .

ذهبت الغولة الى عند الماشطة وقالت لها :

يا ماشطة مَشّطيني
ومشطي ذنبتي
تَتْصير حلسة ملسة
مثل ذنبة العنزة .

فقالت لها الماشطة : ليس عندي مشط . إذهبي الى عند العطّار ، واشتري مِشْطاً وعودي . فذهبت . قالت له : يا عطّار أعطني مشطاً للماشطة ، حتى تمشط لي ذنبتي ، حتى تصير حلسة ملسة ، مثل ذنبة العنزة . فقال لها : أعطيني بيضة ثمناً له . فذهبت الى الدجاجة . قالت الدجاجة : أريد قمحاً . فذهبت الى الدرّاس (الذي يدرس القمح على البيدر) . قال لها الدرّاس : إذهبي إسقي الفدان من العين . أخذت الفدان الى العين ، فقالت لها العين : أريد شتلة حبق لتفوح رائحتي . قالت الحبقة : أريد زبلاً من الكلب . قال الكلب: أريد لقمة خبز من الطابون . قال الطابون أريد حطباً من الحرش . قال الحرش : أريد حاشوشة من عند الحدّاد . قال الحدّاد : تعالي انفخي الكور .

وهنا عادة تنتهي القصة . فيقول القاص : فصنع لها حاشوشة أخذتها الى الحرش فأعطاها الحرش حطباً ، والحطب أخذته للطابون ، فأعطاها لقمة

خبز للكلب ... ... الخ الى ان تذهب الى العطار فتدفع ثمن المشط بيضة . تأخذ المشط الى الماشطة ، وتمشط ذنبتها ، حتى تصبح " حلسة ملسة مثل ذنبة العنزة " ثم تذهب الى بيت العنزة ، فَتُدْخِل ذنبتها وإذا هي مثل ذنبة العنزة ، فيفتحون لها فتهاجمهم وتأكلهم كلّهم .

عادت العنزة الى بيتها فوجدت أن الغولة قد أكلت أولادها . فذهبت وصعدت الى سطح الغولة . فسمعت الغولة حركة على السطح فقالت :

مين عم بدبّك عَا سطيحاتي
كَسّر فخاراتي
فخاراتي ما هِنّ ليّ
فخاراتي لجاراتي

أجابت العنزة :

أنا عنزة عْنوزيّة
قروني من حديد
وإلي اكَلّي وْليداتي
يلاقيني عَا البريّة

فقبلت الغولة التحدّي ، وعملت قروناً من عجين ، وركبّتها على رأسها ، وذهبت الى البرية ، حيث التقت بالعنزة . فتناطحتا وتناطحتا ، فكسرت العنزة قرون الغولة بسهولة ، ثم نطحتها في بطنها ، فبقرته ، وأخرجت أولادها سالمين ، وعادت بهم الى البيت . هذه قصة سمعها جميع أطفال القرية من جدّاتهم . وهي قصة تستدعي انتباههم الكلّي.

قصة القملة والبرغوث :

وهي قصة لطيفة تروق للأولاد الصغار كثيراً ، واذا سمعها الكبار وجدوا فيها متعة وطرافة، سواء أكان ذلك في براعة القصص ، أو في غرابة الكلمات العربية ، وسجعها ، وصعوبة تذكّرها بالتسلسل كما سيأتي ذكره .

والطريف في هذه القصة ، أنها فلسطينية مشتركة ، سمعناها في نواح مختلفة من فلسطين ، وفي كل مكان سمعناها كنا نجد انحرافاً وتغييراً طفيفاً ، ولكن دون أن يتناول هذا الاختلاف صلب القصة .

والآن أروي القصة على الشكل الذي حفظته عن زوجة عمّي احمد :

تزوّجت قملة برغوثاً . وفي ذات يوم ذهب البرغوث ليساعدها في خبز الطابون ، وقع رغيف من الخبز في النار ، فقالت له القملة : إقفز الى النار وخلّص الرغيف ، فقفز واحترق . فحزنت عليه حزناً شديداً وجلست تبكي وتنتف شعرها . فمرّ بها غراب وقال لها :

مالك يا قملة ناكتون
فأجابت القملة :
القملة ناكتون على أمير الطبقون
نط نطّة قوية
أصبح مشوي بالطابون
فذهب الغراب وجثم على شجرة زيزفون ، وأخذ ينتف ريشه ، فقالت له شجرة الزيزفون:
مالك يا غراب حالطون (1)
فقال :
غراب حالطون
على قملة ناكتون
على أمير الطبقون
نط نطّة قوية
واصبح مشوي بالطابون
فحزنت شجرة الزيزفون وتناثر ورقها ، وسقطت أغصانها من الحزن . فجاءت عنزة لتستظل تحتها فوجدتها بدون ورق وأغصان فسألتها :
مالك يا زيزفونة ناثرون ؟

---

(1) - رواية ثانية تجعل القافية " آن " فتصبح هكذا - مالك يا قملة شاكيان باكيان . يخيّل إليّ أن القافية سواء أكانت " ون " أو " آن " متأثرة باللفظ الأرامي ، لغة البلاد قبل العربية .

قالت الزيزفونة :
زيزفونة ناثرون
على غراب حالطون
على قملة ناكتون
على أمير الطبقون
نط نطة قوية
واصبح مشوي بالطابون
فحزنت العنزة وامتنعت عن الأكل فصارت هزيلة ، ثم انها ذهبت الى عين الدالقون ، فسألتها العين :
مالك يا عنزة ناصلون ؟

فقالت العنزة :
عنزة ناصلون على زيزفونة ناثرون على غراب حالطون على قملة ناكتون على برغوث حارقون ، فحزنت العين المتدفقة ، وجفّ ماؤها ، فأصبحت العين المتدفقة ناشفون . فأتت صبايا القرية لتملأ الجرار ، فوجدن العين ناشفون ، فسألن عن الخبر ، فقالت العين:

عين ناشفون
على عنزة ناصلون
على شجرة ناثرون
على غراب حالطون
على قملة ناكتون
على برغوث حارقون

وعند سماعهن الخبر ، حزّن كثيراً وكسرن جرارهنّ فأصبحن - كاسرون .
وفي اثناء عودتهن سألهن أهل القرية عن الخبر ، فأخبروهم الخبر المفجع ، فقال أهل القرية :

نحن راحلون

وفي رحيلهم عن القرية مَرّوا تحت الجسر ، فسألهم عن خبر رحيلهم ، فقصوا عليه قصة البرغوث فحزن وقال :

وأنا طابقون

وسقط عليهم فماتوا جميعاً . وهنا تنتهي القصة .

عقلية الصفوري كما تتراءى لنا في تراثه الشعبي

بعد أن سايرنا عامة الصفوريين ، في معتقداتهم وخرافاتهم وألعابهم وأفراحهم واتراحهم ومعيشتهم ومكاسبهم ، لنا أن نسأل : ترى هل يعكس هذا التراث الشعبي الصفوري عقلية خاصة وطابعاً روحياً خاصاً ؟ هل نرى خلال هذا التراث الاجتماعي ذهنية خاصة هي ذهنية الصفوري القروي ؟ ذكرنا في فصل سابق الفضائل الصفورية وجئنا على ذكر السجايا الحميدة كالنجدة والكرم والعِفّة والأمانة واحترام الكبير وفعل الخير . وقلنا ان الصفوريين بشر يستوي فيهم الخَيْر والشّر . ولكننا حرصنا في ذلك الفصل على ذكر الخصائص الروحية التي كان ولا يزال يتميّز بها أهل صفورية . اما في هذا الفصل فإننا سنأتي على ذكر الناحية الثانية :

نقائص الخلق الصفوري :

إن الحكم على صفات مجموعة ما وعلى أخلاقها ، من الأمور المحفوفة بالمزالق . فإن الأمة مجموعة أفراد ، وتختلف الأفراد خلقاً وذوقاً وتعقّلاً واستعداداً . وعليه يحرص المرء على أن يكون متئداً في إصدار أحكامه العامة . وإلى جانب هذا المحذور ، يأخذ المرء بعين الاعتبار قضية التربية والبيت . فإن اكبر عدوّ للتراث الشعبي هو المدرسة . المدرسة والبيت والصحيفة والنادي ، جميع هذه المؤسسات تشنّ حرباً عواناً على الخرافات والتقاليد والأساطير وعلى أساليب العيش القديمة . وصفورية اليوم آخذة بأسباب المدنية الحاضرة ، ومتمسكة بأهداب الثقافة الغربية . صفورية في حالة تطوّر اجتماعي وكل حكم على الشعب عامة عرضة لتحديدات واستثناءات كثيرة . فإن ما يصدّق على زيد من الصفوريين لا يصدق على عمرو منهم . ونحن بدورنا نوّد أن نؤكد ثلاثة أمور :

أولاً : إن ما سنقوله عن العقلية الصفورية كما تتراءى لنا خلال التراث الشعبي الصفوري أقرب الى التعميم منه الى التخصيص . ما سنقوله مبنّي

على الشائع المشترك بين الجماعات لا على الخاصّ الذي تنفرد الأفراد والجماعات الصغيرة به .
ثانياً : ما سنقوله هو رأينا الخاص ، ورأينا الخاص يبقى رأينا . قد نكون على وهم ، وقد نكون على خطأ في التقدير ، وقد نكون أننا ضللنا السبيل في التعليل الصحيح . إنما رائدنا أن نخلص الى قول ، يكون مدار بحث ونقاش ، بين الذين سيتبعون خطواتنا إن شاء الله . ونرجو ألاّ يعتبر بعض الذين لا يروق لهم هذا الرأي أنها إسادة ، أو أنها تثبيط عزائم . سنحاول أن نكون مخلصين متجردّين عن الغرض والهوى ما استطعنا الى ذلك سبيلاً .
ثالثاً : ما نسميّه الخلق الصفوري قد لا يكون خلقاً يتميّز به الصفوري وحده ، بل خلقاً يتميّز به كل من كانت بيئته الطبيعية والاجتماعية ، البيئة ذاتها التي يعيش فيها الصفوري. فإن الأخلاق وأساليب العيش والعادات والتقاليد تتأثر الى حدّ بعيد بالجغرافيا .

العقل الجماعي :

نلحظ ، أول ما نلحظه ، أن عقلية الصفوري (1) (العقلية العامّة) هي من النوع الجماعي. عقل الفرد الصفوري عقل الجماعة . فإنه ليس من الأفراد الذين يستقلون في تفكيرهم ، أو من الذين يستطيعون الخروج على العرف القروي . فهو من القبيل جامد لا حيوي خلاّق متطور . هو عقل يعمل بفعل التقليد ويسير بوحي العرف .
نعم ، نحن جميعاً الى حدّ بعيد عبيد العرف والتقليد نعمل ونسير بعقل الجماعة . العرف يحدّد السلوك الى حد بعيد . والتقليد يفرض التصرف الى حد بعيد . فإن الناس لا يجرأون على الخروج على العرف بِيُسْر . الخروج على العُرف والتقليد يحتاج الى جرأة وإقدام ولا مبالاة لا تتوفرّ في كل إنسان .
ولكن الحياة العقلية والروحية في صفورية ترينا بوضوح عجز العقل القروي عن التطور التلقائي . تغيّرت أساليب العيش في القرية وتبدلت معالمها ، ولكنه تغيُّر وتبدُّل فُرض على القرية من الخارج ولم يكن تطوّراً أو تجدّداً من الداخل .
ان الصفوري محافظ الى أبعد حدود المحافظة ، وتقديسه التقليد والعرف واضح تمام الوضوح في بيته واثاثه ومطبخه ، وفي زراعة حقله ، وفي نظرته الى جسده وما يصيبه من خير أو شرّ . حكمته وفلسفته - إذا كان هنالك حكمة وفلسفة - تحجّرت في شبه كليشات كلامية يرى فيها دستوراً

للحياة . تسمعه عند حلّ المشكلات يقول : " مش سامع شو بقول المثل ؟ " فإن المثل عنده حقيقة أزلية وحكمة سماوية فيها القول الفصل.
لا نكران أن هذه الأساليب في العيش وهذا التراث الاجتماعي الغني ، فرضهما عليه المحيط الطبيعي ، وخلقتهما الظروف التاريخية . ولا نكران أن الاختبار قدّس هذا التراث ، وأحلّه دستوراً للحياة . ولكن هذا لا يغيّر من حكمنا بأن عقل الصفوري عقل جماعي . فإننا نرى ، مثلاً في الجماعات المتطورة ميلاً تلقائياً للخروج من إطار التقليد ، وثورة على الأساليب القديمة ، لا نراها في الحياة الصفورية التي تسير ببطء وثبات . فإن المشحرة ، والتون وسكة الفلاحة ، وزراعة القمح ، وضع دبس العنب ، والخروب ، وعصر الزيتون، وتحضير وجبة الطعام ، وغيرها كثير ، هي هي كما كانت في العصور القديمة . وأغرب من هذا أن تظل معايشة للآلة في منتصف القرن العشرين (2) .
والصفوري ، بفضل قوة التقليد وسيطرة العرف على أعماله وتصرفاته ، لا يستطيع أن يكون مبدعاً بل أن عمله ، ينحصر في إبقاء القديم على قدمه ، وفي المحافظة على استمراره وانتقاله من جيل الى جيل . ولا غرو فإن من كان ينشد القناعة ، ومن كان يطلب الرضى، يكره التغيير ، وينفر من الطفرة ، ويخشى المجازفة ، فإنها أمور قد تسبب له قلقاً روحياً وعدم استقرار واطمئنان .
تعوّد فلاح مثلاً على زراعة سليخه قمحاً ، وهو بفضل اختباره يعرف أن هذا السليخ - إذا لم يطرأ مفاجأة - يعطيه 100 كيلو قمحاً ، فيقول له قائل أن يغرسه عدساً أو أن يحوّله الى كرم أو بستان مُشجّر ، فإنه يتلكأ مع العلم أنه يقدر على القيام بهذا العمل ولكنه يخشى المخاطرة ، طبيعته محافظة . ولكننا بدأنا نشهد تغييراً في الآونة الأخيرة . وغرس الرمان والزيتون أفضل شاهد على هذا . فإن هنالك صفوريين غرسوا الرمان منذ 30 سنة واستغلوا وعرفوا إمكانات الأرض وأدركوا مبلغ النفع الاقتصادي .

فقدان الذوق الفني :

ان الجمود المبتلي به الصفوري ، والقناعة في العيش ، والرضى بما قدّر له ، جميع هذه الصفات تفسّر لنا ، إلى حد بعيد ، فقدان الذوق والتذوّق . فإننا قد لحظنا أن الصفوري، رغم أن الجمال الطبيعي يحيط به من كل جانب ، فإنه لا يستشعره ولا يحسّه ، وأحياناً لا يعبأ به أو لا يراه . السطحية الجميلة المسوّره بتنكات تزرع فيها الورود والأزهار والحبق والفل ، من النواحي الفنية الجميلة في البيت الصفوري . ولكن ابن المدينة

يرتاح اليها وتستدعي انتباهه اكثر مما يرتاح اليها الصفوري . تذهب الى الوعر أيام نيسان ، فترى جلاً أبيض مجلّلاً بحلة من الأقحوان ، فتقف برهة مشدوهاً تبارك عظمة الخالق ، وترى جلاً آخر أحمر تكسوه حلة حمراء من شقائق النعمان ، فتكبر جلال الطبيعة وجمالها الفتّان. غير أن الفلاح الصفوري يمرّ بهذه المناظر يوماً بعد يوم ، فلا تاخذه دهشة ، ولا يعتريه شعور ما . تجلس على سطحه تشاطره العشاء ، تتلفت يميناً وشمالاً فترى جلال صفورية ليلاً ، وقد تبدي دلائل إعجابك ، وإذا شاطرك الشعور فإنما يشاطرك مجاملة . نظن ، وقد نكون على خطأ ، أنه لا يستشعر ما تستشعره أنت . فكأن الذوق الجمالي ليس فطرة بل نتيجة الثقافة العقلية والروحية . وقد يكون أن هذا الصفوري قد ألف هذا الجمال ، فأصبح شيئاً عادياً لا يهزّه . وقد يكون أنه لا يُحسن التعبير عن اختلاجاته الداخلية ، فيعطينا فكرة أنه لا يستتشعر الجمال .

فقر الحياة فرض عليه الحرص والتحايل :

والصفوري كريم في نواح ، بخيل حريص في نواح أخرى . هو الى الحرص والتقتير ، أقرب منه الى الكرم والبذخ . فإذا استضافه ضيف اكرمه ، واذا صعد أقاربه من المدينة ، أحسن وفادتهم ، وفتح لهم العليّة ، وأرسل لهم السلال المملوءة بالخضر والفاكهة . ولكنه في أكله وشربه وملبسه ، حريص مقتصد الى حدّ التقتير . فإننا نعرف منهم لا يَملُّون أكل الخبز والزيتون والبصل والمجدرة والمسلوق من الخضر ، السنة بكاملها ، رغم يسرهم المادي. أما إذا سئل الصفوري عطاء للخير والاحسان فإنه لا يعطي عن طيبة خاطر . وقد نعذرهم بقولنا إن التربية الاجتماعية مسؤولة عن هذا النقص . ولكن عذرنا لا ينفي الحقيقة : أكثر الصفوريين مقتصدون الى حدّ التقتير ، وحريصون الى حدّ البخل .

التكيف :

يحسن الصفوري التكيّف ويجيد فنّ التلّون والإخفاء . قد يثور ويغضب في داخله ولكنه لا يريك ذلك ، وقد يفرح ويطرب فلا تظهر دلائل الفرح والطرب عليه . وجهه وجه لاعب البوكر المحترف . حذر في كلامه ، متأنق في حديثه ، حتى إنه يظهر أحياناً التصنع والتكلّف . ولكن حسن التكيّف هذا إذا وُجّه الى الخير كان مصدر بركة ونعمة ، يتعاطاها عند هجرة القرية . وسواء أكانت هجرته الى المدينة في بلاده ، أو الى الخارج ، فإنه برهن على مقدرة عجيبة في التكيّف والتطوّر .

الصبر العجيب :

وقد علمته الأرض الصبر والانتظار . يزرع الزيتونة ويعلم أنه لن يأكل من ثمرها قبل سنوات لا تقل عن العشرة . ولكنه يتعهدها بصبر وحنان . يحمل قفة التراب من مكان الى آخر ، ليضعها فوق الصخر ليزرع فيها كرمته ، يفتت الصخر ويدرّج السفح لتحتفظ الأرض بالتراب لئلا يجرفه السيل ، يفعل هذا وغيره بصبر وجلد وإيمان راسخ . ومن كان يؤمن بالقضاء والقدر ، ومن كان يؤمن بأن الخير من الله وان الشر افتقاده للأنقياء لا يتذمر ، ولا يتأفف ، بل يتحمل المكاره صابراً حامداً . في الشدائد والضيقات تجد الصفوري رصيناً محتفظاً برباطة جأشه .

الاجتهاد والتحسب :

والصفوري مجتهد بطبيعته دؤوب على العمل . فإن هنالك أناساً يعملون أيام السنة كلها . وهنالك أيضاً شاهد على فقير معدم لم يخلّف له والداه سوى القلع ، فترك القلع بساتين موّاجة بالأخضر ، مكسوة بالأشجار المثمرة . فهو يختلف عن الفلاحين في الأقطار المحيطة به . إنه لا يعيش ليومه بل يحسب غده . وأفضل شاهد على تحسّبه للزمن وطوارئه ، ادخاره المؤن أحياناً لسنة ، وأحياناً لسنتين إذ إنه يحسب حساباً لمحل الموسم القادم .

قبلية :

وكما أن القرية تنشىء في أبناء القرية ، بفضل البيئة الزراعية ، نجدة وارتباطاً اجتماعياً ، يتجلّى في التعاون الذي أشرنا إليه ، عند كلامنا عن العونة ، فإنها تنشىء أيضاً في صدور أبنائها ، ضيق صدر وقصر نظر . للترابط القبلي فضائله في بيئة قروية معرّضة لأخطار انعدام الأمن ، ولكن هذه القبلية تنتج تعصباً أعمى . ففي القرية تجد حمولتان أو ثلاثة تتطاحنان وتتنافسان على الجاه والزعامة . والاغتياب والقال والقيل على العين والفرن والطابون وأمام الموقد ، من صفات الناس الذين يسكنون محيطاً ضيقاً . فإن قلة الاعمال وضيق الآفاق ، تجعل اهتمام الناس ينصّب على أمور الناس . ولو أن الأمر يقف عند هذا الحد لعذرنا الصفوريين ، ولكن اهتمامهم بأمر الجيران مدعاة للشجار والقتال والعداء المستحكم . وهذا من خصائص البيئة القبلية .

نواة خير :

ولكن الى جانب هذه الهفوات التي يتميّز بها المحيط الصفوري البدائي ، هنالك صفات واخلاق محببّة . في الصفوري نواة خير ، نواة إذا تعهدناها بالتربية والتوجيه فإنها تتفجّر ينبوعاً صالحاً . وفي هذا التراث الصفوري المشوب بشيء من البدائية غنى ، يصلح أن يكون مادة لأدب شعبي راقٍ ،

وأن يكون موضع درس من قبل الذين يهمهم بقاء صفورية خالدة في القلوب روحياً واخلاقياً .

---

(1)- ليذكر القارىء أنه ليس من الضروري أن تنطبق هذه الأحكام على جميع الأفراد كما قلنا في غير مناسبة .
(2) - لسنا نفاضل أو نحبذ أو ندعو الى دعوة خاصة . فقد يكون دبس العنب والخروب المصنوع على الطريقة القديمة أفضل من الدبس الذي يصنع على أساس إنتاج تجاري اقتصادي . إنما غرضنا تبيان شدة المحافظة .

شكر خاص

وختاماً فإن الواجب يدعوني الى تقديم جزيل شكري وامتناني الكبير ، إلى بناتي بت زباي (الزباء) وديانا ، في تحويل أوراق البحث لمختلف مواضيع الكتاب من مسودات ، إلى صفحات مرتبة ومنسّقة وواضحة ، بطباعتها على الآلة الكاتبة ، تمهيداً لدفعها الى المطبعة .
ولا بُدّ من كلمة شكر خاصة لوالدتي فاطمة محمود وزوجتي هيلانة صفوري لما أملياه عليّ من مادة غزيرة لتراثنا الشعبي في صفورية قبل الشتات وبعده !

والله ولي التوفيق

محمد امين بشر (صفوري)

مراجع الكتاب

المراجع العربية :

عمل ميداني ومقابلات
الكتب المقدسة :
القرآن الكريم
التوراة
الأناجيل
تاريخ الأمم والملوك
تاريخ ابن خلدون
سيرة ابن هشام
أغاريت (حفريات رأس شمرا)
من الساميين الى العرب
لبنان في التاريخ

العصور القديمة : برستيد
تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين
مصر القديمة : سليم حسن
اليهود في تاريخ الحضارات الاولى
قصة الحضارة
تاريخ سوريا : للدبس
فتوح البلدان : البلاذري
المحاسن والمساوىء - البيهقي
النجوم الزاهرة
كتاب الحيوان : الدميري
حياة يسوع : رينان
القبائل العربية وسلائلها في بلادنا فلسطين
بلادنا فلسطين
الكامل في التاريخ
ظاهر العمر : معمر توفيق
تاريخ ولاية سليمان باشا
فلسطين في مذكرات الفارس دارفيو
مدن بلاد الشام
الاساطير اليونانية والرومانية
مروج الذهب
الاسبتارية (فرسان القديس يوحنا)
معجم البلدان
بلدانية فلسطين العربية
معجم ما استعجم

الفهرس

صفحة